شرح كتاب التوحيد

قام بشرحه: منصور بن محمد الصقعوب

M0505148411@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

الكلام على التوحيد في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف التوحيد

التوحيد مصدر كلمة وحد، في اللغة: لها معاني منها الانفراد، وانقطاع النظير، ونحو ذلك.

وأما في الاصطلاح: فقد عرف بتعريفات يجمعها أنه: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، بأن نفرد الله بربوبيته ونخلص له في عبادته ونؤمن بأسماءه وصفاته.

المسألة الثانية: أقسام التوحيد

أهل العلم يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

١- **توحيد الربوبية** .

وهو توحيد الله بأفعاله، وذلك بالإقرار والاعتراف بأن الله هو : الخالق ، الرازق ، المدبر. وهذا التوحيد أقر به مشركو العرب ، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام .

ولهذا النوع أسماء أخرى: فيسمى توحيد المعرفة والإثبات، ويسمى التوحيد العلمي، وغير ذلك.

وهذا النوع لم ينكره أحد من البشر، إلا من عاند وكابر، كفرعون وأضرابه، ممن نفوا بألسنتهم وجود الرب، وإن كانت قلوبهم تخالف ذلك ولذا قال الله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) [النمل: ١٤].

وممن ينكره: الشيوعيون، بناء على عقيدتهم الفاسدة التي تقوم على الكفر بالغيب، والإيمان بالمادة وحدها.

٢- توحيد الإلهية .

وهو: إفراد الله بالعبادة، فلا يصرف أي عبادة قولية أو فعلية أو قلبية إلا للمستحق وهو الله، ولا يشرك مع الله أحد في عبادته .

ولهذا النوع أسماء: فيسمى توحيد الألوهية، ويسمى توحيد العبادة، ويسمى توحيد الإرادة؛ لتضمنه الإخلاص، ويسمى توحيد القصد؛ لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده، ويسمى توحيد العمل؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده.

وهذا النوع هو أهم أنواع التوحيد، فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وسلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين

٣- توحيد الأسماء والصفات .

وهو أن نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل

وهذا التوحيد أيضا شرط لتمام الإيمان، فلا يصح إيمان العبد حتى يعتقده، قال ابن القيم: لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان – حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه ، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان ، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان.

ومن أهل العلم من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول: التوحيد نوعان :

١/توحيد المعرفة والإثبات: وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

٢/توحيد الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهية والعبادة.
وهذا ما يذكره ابن تيمية وابن القيم في كتبهما، والمؤدى واحد.

المسألة الثالثة: موضوع كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب
هذا الكتاب ضمنه مؤلفه أنواع التوحيد الثلاثة، إلا أن جل أبواب الكتاب تدور حول توحيد الألوهية، وإنما اعتنى الشيخ بهذا لأمور:
١/ أنه أهم أنواع التوحيد، وهو الذي يخرج المرء من الإسلام بمخالفته.
٢/ أن هذا النوع من التوحيد هو مدار الخلاف بين النبي ﷺ وبين المشركين في أول عهد الإسلام.
٣/ أن هذا النوع هو الذي وقعت فيه المخالفة من الناس في عهد الشيخ رحمه الله.
ولأجل كل هذا اعتنى الشيخ بهذا النوع وأكثر من ذكر فروعه ومسائله.
واعلم أن أهل السنة كانوا يؤلفون كتبا باسم التوحيد، ككتاب التوحيد لابن منده ولابن خزيمة غيرها، ويذكرون فيها صفات الله تعالى والرد على من نفاها، ووجه تسمية السلف كتبهم المؤلفة في إثبات الصفات كتب التوحيد: لأن نفي ذلك وإنكاره والكفر به إنكار للصانع وجحد له وإنما توحيده إثبات صفات كماله وتنزيهه عن التشبيه والنقائص

وقول الله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

وقوله: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية. وقوله: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) الآية

وقوله: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) الآية،

وقوله: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) الآيات.

قال ابن مسعود ﷺ: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺالتي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) – إلى قوله – (وأن هذا صراطي مستقيما..) الآية.

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟" فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

هذا أول أبواب الكتاب وذكر فيه المصنف آيات وحديثا تبين معنى التوحيد، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: ذكر المصنف قول الله تعالى **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** وفيها بين الله وظيفة الأمة التي لأجلها خلقهم، أن ذلك لأجل أن يتوجهوا له بالعبادة جنهم وإنسهم، فلم يرد الله منهم تكثرا ولا استغناء وإنما أراد أن يصرفوا له العبادة، ولذلك قال في القرآن (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) قال الشافعي : لا يؤمر ولا ينهى.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وتأمل أنه ذكر الآية بصيغة الحصر فقال (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ليبين أنه ليس ثمة هدف آخر لخلقهم غير ذلك، فيا خسارة من أمضى حياته في غير عبادة الله.

وفي الآية بيان أن ذلك للإنس والجن على حد سواء.

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) وفيها يبين سبحانه أنه أرسل الرسل في الأمم، وكان الأمر المشترك في دعوتهم هو دعوتهم للتوحيد، فكل من أرسل منهم دعى قومه للتوحيد، وهذا يبين لك أهمية التوحيد، وأنه آكد الأمور، حيث تضافر عليه الأنبياء والرسل، الذين قد تختلف تفاصيل شرائعهم ولكنهم يتفقون على التوحيد، وقد قال الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى(**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**) فحينما ذكر الواجبات بدأ بالتوحيد، ولا شك أن هذا يبين أنه أهم الأمور، فتقدمه للاحتفاء به والعناية به.

فقوله قضى أي وصى وأمر، وقبلها قوله (لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا) وفيه أيضا عظم حق الوالدين، حيث قرنهم مع الأمر بعبادته وحده سبحانه، ونظيرها قوله (أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)

المسألة الرابعة: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى(**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا**) وهذه الاية تسمى آية الحقوق العشرة، لأن فيها الأمر بعشرة أمور ابتدأت بالأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ثم حق الوالدين وذي القربى واليتامى وهكذا.

فتقديم حق الله دليل على أنه أعظم الحقوق وآكدها، فالعبد مأمور بأن يعبد الله، والعبادة إنما تصح إذا توافر فيها الإخلاص والمتابعة، ثم زاد ذلك تأكيدا بالنهي عن أي شيء من الشرك

المسألة الخامسة: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى (**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا**)

ثم ذكر كلام ابن مسعود ﷺ: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺالتي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) – إلى قوله – (وأن هذا صراطي مستقيما..) الآية.

وهذه الآيات بلا شك تدل على أهمية التوحيد، من وجهين:

١/ أن الله ذكر في الآيات أمورا، ذكر ابن مسعود بأنها وصية النبي ﷺ التي عليها خاتمه، والعادة أن الإنسان لا يوصي إلا بأهم الأشياء، وختم الوصية دليل على أنها لا تتغير، ولذلك قال ابن عباس : هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

٢/ أن الله ابتدأ في الآيات بذكر النهي عن الشرك، والتقديم يفيد التأكيد، فكأنه قال: أول ما أتلوا عليكم أن لا تشركوا بالله شيئا.

المسألة السادسة: ذكر المصنف حديث معاذ بن جبل ﷺ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال **له " يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟" فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا"**

والحديث يدل على أهمية التوحيد من وجوه

١/أن النبي ﷺ جعله حقا لله على العباد، وهو الحق الذي لأجله خلق الله الخلق.

٢/ أن النبي ﷺ جعل جزاء من قام به أن الله لا يعذبه، وهذا تفضل من الله، وإلا فليس للعباد على الله حق واجب، وإنما هو تفضل منه سبحانه.

٣/ أن النبي ﷺ ساق هذا الأمر بصيغة الاستفهام لتتشوف النفس لما سيذكر، وهو أسلوب يفعله إذا أراد أن يؤكد الكلام.

والخلاصة أن هذه النصوص تدل بمجموعها على أهمية التوحيد وآكديته والاحتفاء به.

(١) باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية.

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل). أخرجاه. ولهما في حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (قال موسى: يا رب، علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله) [رواه ابن حبان، والحاكم وصححه]. وللترمذي وحسنه عن أنس ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة).

هذا هو الباب الأول في الكتاب إذا جعلنا ما سبق تابع للعنوان، ومنهم من يجعله الباب الثاني، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب: ذكر الفضائل التي تحصل لمن وحد الله، ولذا قال فضل التوحيد.

وقوله (وما يكفر من الذنوب) أي ماذا يكفر من الذنوب وأنها كلها، وبهذا تكون (ما) موصولة، أو يكون المعنى: بيان أن التوحيد يكفر الذنوب، فالمعنى: فضل التوحيد وتكفيره الذنوب.

ومناسبة الباب لما قبله: أنه لما ذكر معنى التوحيد، وكانت الأنفس لها تشوق وتشوف إلى معرفة المعاني، ونيل الفضائل وتحصيلها، ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب؛ ترغيبا فيه، وتحذيرا من الشرك.

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب آية وأربعة أحاديث يتبين منها فضائل التوحيد.

أول الفضائل: أن الله يجعل الأمن التام لمن وحد الله التوحيد التام، ويكون نقص الأمن عليه بقدر نقص التوحيد عنده.

واستدل على هذا بقول الله تعالى: (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**)

فأفادت الآية أنه كلما نقص التوحيد بوقوع المرء في شيء من الظلم نقص الأمن في حقه في الدنيا وفي الآخرة

والظلم له صور يجمعها ثلاثة:

١/ ظلم العبد لنفسه بالشرك، وهو أرفع الظلم، وهو الذي ورد فيه حديث ابن مسعود في الصحيحين « أن الصحابة استعظموا هذه الآية وقالوا : يا رسول الله ، أينا لم يظلم نفسه ؟ ! فقال النبي ﷺ ليس الذين تذهبون إليه ، ولكن الظلم : الشرك ، ألم تسمعوا لقول العبد الصالح : { إن الشرك لظلم عظيم }»

٢/ ظلم العباد في أموالهم وأنفسهم وأعراضهم

٣/ ظلم النفس بما دون الشرك، كالمعاصي.

ثاني الفضائل: أن الله يدخل الموحد الجنة وإن عمل ما عمل، والمراد أنه يدخل الجنة وإن عذب على بعض ذنوبه، فهو يدخل الجنة دخولا أوليا من أول وهلة، أو يدخلها دخولا بعدما يمحص، فمآل الموحد إلى الجنة.

واستدل على هذا بحديث عبادة بن الصامت وفي آخره " **أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**" وقوله (على ما كان من العمل) أي وإن كان عنده ذنوب وتقصير.

ثالث الفضائل: أن الله يحرم الموحدين على النار، واستدل المصنف بحديث عتبان رضي الله عنه مرفوعا (**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**).

وهذا الحديث له تتمة، وهو في خبر عتبان بن مالك حين سأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته فيتخذه مصلى، فعلم من حول عتبان بقدوم النبي ﷺ عنده فاجتمعوا في البيت فقال قائل منهم أين مالك بن الدخشن فقال بعضهم ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ « لا تقل له ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله. يريد بذلك وجه الله ». قال قالوا الله ورسوله أعلم. قال فإنما نرى وجهه ونصيحته للمنافقين. قال فقال رسول الله ﷺ « فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله. يبتغى بذلك وجه الله »

* واعلم أن التحريم على النار لأهل التوحيد يقال فيه أمران:

١/ من كان من أهل التوحيد وهو تائب من خطاياه: فيحرم على النار مطلقا، وقد يلحق به من قالها و لم يصر على معصية فيرجى أن يغفر الله ذنوبه.

٢/ من كان من أهل التوحيد وهو مصر على الكبائر: فيحرم على النار حرمة تأبيد، بمعنى أنه لا يخلد فيها، وأما مجرد الدخول للنار فهو تحت المشيئة، وقد دلت النصوص الأخرى على أن الله قد يعذب الموحد ببعض ذنوبه، لكن تعذيبه لا يدوم، بخلاق المشرك والكافر بالله تعالى.

رابع الفضائل: أن الموحد يثقل توحيده في الميزان، ويرجح بما عنده من سيئات إذا قوي توحيده.

واستدل المصنف على هذا بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **(قال موسى: يا رب، علمني شيئا أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله) رواه ابن حبان، والحاكم وصححه.**

وهذا يدل على عظم شأن هذه الكلمة.

ونظير هذا الحديث حديث عبد الله بن عمرو بن العاص « إن الله سيخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد

البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب. فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب. فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال إنك لا تظلم. قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء » رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وأحمد وغيرهم.

وإذا كانت الأعمال تتفاضل فإن أشرفها كلمة التوحيد إذا قالها صاحبها صادقا، وفي هذا **يقول ابن القيم**: الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل وطاشت لأجله السجلات : لما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات انفردت بطاقته بالثقل والرزانة.

قال: وقريب من هذا : ما قام بقلب البغي التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش يأكل الثرى فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة وعدم المعين وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر وملء الماء في خفها و لم تعبأ بتعرضها للتلف وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر ثم تواضعها لهذا المخلوق الذى جرت عادة الناس بضربه فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها فهكذا الأعمال والعمال عند الله. مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٣٣٢)

خامس الفضائل: أن التوحيد سبب لغفران الذنوب، وأسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ هم الموحدون.

واستدل المصنف لهذا بحديث أنس ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**قال الله تعالى: يا ابن آدم؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**) رواه الترمذي وقال حسن غريب.

ولكن المغفرة هنا مشروطة بأن لا يكون مع الإنسان شيء من الشرك صغيره وكبيره، ولذا قال " لا تشرك بي شيئا، قال ابن قاسم: فمغفرة الذنوب مشروطة بالسلامة من الشرك قليله وكثيره، فالذي لا يسلم من الأكبر لا تنفعه أصلا، والذي مات ومعه الأصغر تضعف معه، فلا يقوى قولها على تكفير السيئات، والذي معه البدع والمعاصي ينقص ثوابها.الحاشية ٣٦

باب (٢) من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين} وقال: {والذين هم بربهم لا يشركون}.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: " كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الخصيب أنه قال: "لا رقية إلا من عين أو حمة" قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا. وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت منهم. ثم قام جل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة

هذا هو الباب الثاني في الكتاب، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب، ومناسبته للتوحيد ولما قبله.

حينما تكلم المصنف رحمه الله في المقدمة على التوحيد ومعناه في أول الأمر، ثم تكلم في الباب الأول عن فضل التوحيد، ذكر هنا أمرا له ارتباط بالباب قبله، وهو أمر من فضائل

التوحيد، يناله من حقق التوحيد، وهذا الأمر وهذه الفضيلة هي أنه يدخل الجنة بغير حساب، وهذا بلا شك فضل يطمح إليه كل مسلم.

وهنا يأتي السؤال: ما معنى تحقيق التوحيد، وبأي شيء يكون تحقيقه ؟

= المراد بتحقيقه تنقيته وتصفيته وتخليصه من الشوائب والخوارم التي تؤثر فيه، وإذا عرفت أن التوحيد هو الشهادتان، فإن أهل العلم يقررون أن تحقيق الشهادتين يكون بأمور ثلاثة:

أولا: ترك الشرك صغيره وكبيره، وهذا أهم الأمور التي يحقق بها المسلم توحيده.

ثانيا: اجتناب البدع كلها.

ثالثا: ترك الذنوب والمعاصي، لأن الوقوع في الذنب ينشأ من مرض في القلب كما قرر ذلك ابن تيمية، وهذا ناشيء من ضعف تعظيم الله في القلب، إذ لو عظم الله لما عصاه، ولذا فبقدر تعظيم العبد لربه تكون طاعته له، حتى أخبر الله أن العلماء هم الذين يخشونه، والمراد بهم العلماء به وبأوامره، حينما عرفوه عظموه فلم يعصوه.

إذا عرفت هذا، فإن هذه الأمور من حققها وأتى بها فإنه يكون بذلك ممن حقق التوحيد.

وبعض أهل العلم يزيد أمرا في تحقيق التوحيد، **وهو أمر يتفاضل فيه الناس**، وهو أن يكون القلب متوجها إلى الله بكليته ، ليس فيه التفات إلى غير الله، وهذه منزلة يصل لها من كان عمله وقوله ونطقه سكوته وسائر أعماله يبغي بها الله سبحانه، وليس في قلبه التفات إلى غيره سبحانه.

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب آيتين وحديثا استدل بها على ما بوب عليه.

فأما الآية الأولى فهي قوله تعالى **(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)** وهي في الثناء على إبراهيم عليه السلام، حيث وصف بأنه كان أمة، وأنه قانت، وأنه حنيف، وأنه لم يكن من المشركين.

فأما كونه أمة: فالمعنى أنه كان قدوة وإماما معلما للخير، فهو إمام متبوع، وهو أمة في رجل، لأنه حقق التوحيد.

وأما كونه قانتا: فالقانت هو الخاشع المطيع المداوم على الطاعة لا يفتر عنها.

وأما كونه حنيفا: فالحنيف قيل هو المائل عن الشرك، وقال ابن القيم: هو المقبل إلى الله المعرض عما سواه، ومن فسره بالمائل فلم يفسره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فسره بلازم المعنى، فان الحنف : هو الإقبال، ومن اقبل على شيء مال عن غيره.

وإبراهيم عليه السلام هو إمام الحنفاء، ودينه الحنيفية، لأنه حنف ومال عن الأديان وعبادة الأوثان إلى دين الله وحده، وحكى الله في القرآن قوله (**إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا**)

وأما كونه لم يكن من المشركين: فهي توكيد لما سبق قبلها، فإبراهيم لم يكن من المشركين بل هو موحد خالص من شوائب الشرك، وقد خالف المشركين وفارقهم بقوله وفعله وببدنه، حيث انه أنكر على قومه شركهم حين أبوا اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وقال " **إنني براء مما تعبدون**" فتبرا من العابد قبل المعبود وهذه حقيقة التوحيد: أن تتبرأ من كل معبود دون الله، وكل من عبد مع الله غيره " وإبراهيم عليه السلام حين بعثه الله كان الناس على الشرك والوثنية بعيدين عن عبادة الله وإفراده بالعبادة فاجتهد في دعوتهم بكل الوسائل ومع ذلك اجتمعوا على حربه وأذيته فصبر على ذلك فضاقوا به ذرعا، فألقوه في النار فنجاه الله من كيدهم، ثم هاجر عن بلادهم فلقي من يستجيب لدعوته.

والمقصود من الآية: أن الله تعالى وصف إبراهيم خليله بهذه الصفات الجليلة التي هي أعلي درجات تحيق التوحيد، وقد رغبنا في الاقتداء والتأسي به كما قال (**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**) فمن اقتدى به وحقق التوحيد فإنه يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب ، ومعلوم انه حينما يثنى الله على عبد من عباده فان المقصود من ذلك أمران :

١- محبة الذي أثنى الله عليه . ٢- الندب إلى الاقتداء بالصفات التي أثنى عليه بها.

وأما الآية الثانية: فهي قوله (**والذين هم بربهم لا يشركون**) وهي قد جاءت في معرض آيات وصف الله فيها عباده الذين يسارعون إلى الخيرات وهم لها سابقون، فمن صفاتهم أنهم بربهم لا يشركون.

فمن اتصف بصفتهم، فإنه يكون ممن حقق التوحيد.

وأما الحديث فهو ما رواه مسلم في صحيحه عن حصين بن عبد الله بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ فقلت : أنا ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة..الحديث إلى قوله ﷺ " سبقك بها عكاشة" وهذا الحديث رواه البخاري مختصرا دون أوله، ورواه مسلم وهذا لفظه، ورواه الترمذي والنسائي .

والحديث فيه جمل يحتاج إلى الوقوف معها.

فقوله (**أيكم رأى الكوكب الذي انقض**): الكوكب هو الشهاب الذي يرمى به الشياطين الذين يسترقون السمع، وانقضاض الكوكب سقوطه، وهو أمر مشاهد.

وقوله (**البارحة**): هي اقرب ليلة مضت، قال ثعلب وغيره من أهل اللغة :يقال قبل الزوال رأيت الليلة ويقال بعد الزوال رأيت البارحة وهى مشتقة من برح إذا زال.

وقوله (**قلت أنا**): القائل حصين وهذا يدل على انه كان مستيقظا في الليل .

وقوله (**أما إني لم أكن في صلاة**) : خاف أن يظن الحاضرون انه كان يصلى في الليل ولذا رأى الكوكب فقال لهم لا تظنوا أنى سهرت أتهجد : وفيه بعد السلف عن الرياء .

وقوله (**ولكنى لدغت**) : هذا السبب في كونه كان مستيقظا انه لدغته عقرب أو نحوها

وقوله (**قلت ارتقيت**) : وفى لفظ مسلم (استرقيت) : أي طلبت من يرقيني

وقوله (**فما حملك على ذلك**) : أي ما مستندك في هذا الفعل وما الدليل عليه .

وقوله (**لا رقية إلا من عين أو حمة**) : العين : هو إصابة العائن غيره بعينه، والحمة : بالضم لدغته إحدى ذوات السموم، والعقرب من ذوات السموم

ومعنى الحديث كما ذكر الخطابي : انه لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة ا.ه، وتجوز في غيرهما لكن فيهما انفع، وفيه إثبات العين، وفى الحديث " العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين . " ولا يلزم أن يكون العائن حاسدا فقد يعين الإنسان نفسه وأولاده، وقد قال الله تعالى في شأن صاحب الجنتين (**ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله**) مع أنه يدخل جنته، ولذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله

أو ماله أو ولده فليقل: ماشاء الله لاقوة إلا بالله، ونقل ابن كثير والبغوي عن هشام بن عروة عن أبيه عروة : أنه كان إذا رأى شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

* **فإن قيل: كيف يدفع شر العائن ؟**

= دفع شر العائن له حالتان:

أ- **قبل وقوعه والإصابة بالعين** يكون بأمور:

١- التعوذ بالله من شره.

٢- الصبر عليه .

٣- فراغ القلب من الاشتغال به .

٤- الإحسان إليه ما أمكن .

٥- الصدقة .

٦- تقوى الله، والتوكل عليه، ومعرفة أن الأسباب كلها بيد الله.

ب- **بعد الاصابة بالعين** يكون :

١- بالرقية .

٢- الاستغسال : لحديث ابن عباس ﷺ"وإذا استغسلتم فاغسلوا" رواه مسلم.

وطريقته : أن يتوضأ العائن ثم يؤ خذ ما تناثر من الماء من أعضائه ويصب على المصاب ويشرب منه وهذا صنع في عهد النبي ﷺ لسهل بن حنيف ﷺ.

٣- أن يأخذ شيئا مما يلي بشرته من ثيابه كما يجعله على نصفه الأعلى، أو طاقيته، ونحو ذلك، ويصب عليها ماء ويرش به المصاب أو يشربه

وقوله (**قد أحسن من انتهى إلى ما سمع**) : لأنه اخذ بما بلغه من العلم فهو محسن .

* هل هذا الحديث " لا رقية إلا من عين أو حمة " موقوف على بريده أو مرفوع للنبي ﷺ"

= الحديث روي هنا موقوفا، وقد رواه احمد وابن ماجه عنه مرفوعا، ورواه احمد وأبو داود والترمذي عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعا : قال الهيثمى : رجال احمد ثقات.

وقوله (**عرضت على الأمم**): في رواية الترمذي والنسائي أن العرض كان ليلة الإسراء والمعراج، وقيل : كان في المنام. الفتح ١١/٤٠٧

وقوله (**الرهط**): الجماعة دون العشرة . بل وبعض الأنبياء وليس معه إلا رجل أو اثنان وبعضهم ليس معه احد . فالأنبياء متفاوتون في الإتباع والكثرة والقلة ليست هي القياس والضابط في إصابة الحق ولا يغتر بهذا. وفى هذا أيضا : أعظم عزاء للدعاة إلى الله حين لم يستجب لهم الناس أو قل المستجيبون فلهم أسوة بالأنبياء مادام منهجهم سليما .

وقوله (**سواد عظيم**) : رفع لي أشخاص كثير لا أدرى من هم و لم أميزهم لبعدهم .

وقوله (**فظننت أنهم أمتي**) : إنما ظن ذلك : لما أوحى إليه واطلع عليه من كثرة أمته

* فإن قيل: كيف لم يعرف النبي ﷺ أمته وقد أخبر بأنه يعرفهم من أثار الوضوء ؟

= لان الأشخاص التي رآها كان من بعد، فلم يميز أعيانهم، فإذا قربوا عرفهم

وقوله (**ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب**) من ضمن هذه الأمة سبعون ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب لتحقيقهم التوحيد. وهؤلاء كلهم من امة محمد ﷺ وقد ورد زيادة على السبعين ألف فقد ورد من حديث أبي هريرة ﷺ " فاستزدت ربى فزادني مع كل ألف سبعين ألف" رواه احمد وقال ابن حجر : إسناده جيد. والحديث في إسناده ضعف لكن له شواهد، وورد في المسند أيضا "مع كل واحد سبعين ألفا" لكنه ضعيف، فيه راويان احدهما ضعيف والآخر لم يسمى، قاله بن حجر .

وقوله (**فخاض الناس في أولئك**) أي تباحثوا وتناقشوا في هؤلاء السبعين ألفا بأي شيء وصفة نالوا هذه الدرجة والمنزلة .

وفيه : إباحة المناظرة في أمور العلم ولو كان بغير علم مادام انه لم يجزم فيه يقين .

وقوله (**فقال هم الذين هم الذين لا يسترقون**) : أي لا يطلبون من احد أن يرقيهم وهذا من تمام توكلهم على الله واستسلامهم لقضائه وصبرهم بل وتلذذهم بالبلاء وقد ورد عند مسلم " لا يرقون "وهى خطأ من وجهين .

١- من جهة الإسناد حيث أنها شاذة تفرد بها سعيد بن منصور عن هشيم، ورواه عن هشيم جماعة غير سعيد و لم يذكروا هذه اللفظة .

٢- من جهة المتن والمعنى : فإن معناها أنهم لا يرقون أنفسهم ولا غيرهم وهذا خلاف ماثبت عن النبي من فعله فانه كان يرقى نفسه ومن قوله حيث قال " من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل " " لا بأس بالرقى مالم تكن شركا " وقد رقى النبي ﷺ بعض أصحابه ورقاه جبريل لكن بدون طلب منه .

*** هل الرقية ممنوعة إذن؟ وهل يخرج صاحبها من السبعين ألفا ؟**

أ- إن كانت بغير طلب فجائزة وقد رقى جبريل النبي ﷺ ولا تنافى كمال التوكل .

ب- إن كانت بطلب فجائزة وهى تنافى كمال التوكل لأنه غالبا يلتفت القلب إلى الرقية مع أنها سبب وهذا مخل بكمال التوكل

وقال بعض العلماء أن النبي ﷺ نبه على الاسترقاء وكذا الاكتواء لأن القلوب غالبا تتعلق بها ولكن إذا استرقي أو اكتوى وقلبه معلق بالله فإنه لا يخرج من السبعين ألفا لأن الحديث معلل بعلة وهي (وعلى ربهم يتوكلون) لكن عقب على هذا بعض أفاضل أهل العلم بقوله : وهذا من مضائق الأمور التي لا تكاد أن تحصل لأحد إلا النبي ﷺ، فانه قلما يرقى شخصا أو يكوى إلا ويلتفت المرقي والمكوي لهذا الأمر

* **فإن قيل**: فهل يدخل الراقي في هذا ويخرج من السبعين الألف ؟

= فالجواب أن الراقي محسن، وليس هو كالمسترقي الذي طلب من غيره والتفت قلبه لذلك، وعلى هذا فلا يخرج الراقي من السبعين ألفا.

وقوله (**ولا يكتوون**):أي لا يسألون غيرهم أن يكويهم وكذا لا يكوون أنفسهم وهذا من تمام توكلهم واستسلامهم لقضائه

وقد ورد في الاكتواء عدة أحاديث منها حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ بعث إلى أبى بن كعب ﷺ طبيبا فقطع له عرقا وكواه " مسلم .
وحديث ابن عباس ﷺ" إن يكن في أدويتكم شيء ففي ثلاث ....وكية بنار وما أحب أن اكتوى "
قال ابن القيم رحمه الله : تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع ١- فعله. ٢-عدم محبته له. ٣- الثناء على من تركه. ٤- النهى عنه ولا تعارض فيها بحمد الله، فإن فعله يدل على جوازه وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، أما الثناء على تركه فيدل على أن تركه أفضل وأولى ، وأما النهى عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهية (زاد المعاد٤/٦٦).

وقوله (**ولا يتطيرون**): أي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، وسيأتى الكلام على الطيرة في باب مستقل، وأصله من التشاؤم بالطير ولكنه أعم، فهو التشاؤم بالمرئيات أو المسموعات أو الزمان أو المكان المعين أو الطيور ونحوها . والطيرة كانت موجودة عند العرب ويأتى بيانها في بابها .

وقوله (**وعلى ربهم يتوكلون**) : هذا الأصل الجامع التي تفرعت عنه هذه الأعمال والخصال وهو التوكل على الله وصدق الالتجاء إليه .
وليس معنى الحديث أن الأخذ بالأسباب ينافي التوكل، بل إن الأخذ بالأسباب أمر الله به، ولذا فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوى وقال " تداووا عباد الله فان الله ما انزل من داء إلا انزل له شفاء " ولذلك فالتوكل صدق اللجأ إلى الله بدفع الضر وجلب النفع مع فعل السبب .
* إذن فكيف نجمع بين قول : "الأخذ بالأسباب مطلوب" وبين "أن ترك الرقية والاكتواء من التوكل وفعلهما ينافى التوكل"؟
= أما الاسترقاء فإن سببه خفي فيؤدى ذلك إلى التفات القلب إلى الراقي .
وأما التداوى فإنه يختلف عنه من وجهين.

١- أن التداوى سببه ظاهر وهو هذا الدواء بخلاف الرقية .
٢- أن النبي ﷺ تداوى وأمر بالتداوى ولو كان قادحا في التوكل لما أمر به عليه الصلاة والسلام . وأما الكي فسببه ظاهر كذلك لكن لم يلحق بالتداوى لان الشرع نهى عنه وكرهه، والنبي ﷺ أثني على من تركه وقال " وما أحب أن اكتوى".

وقوله (**فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلني منهم : قال أنت منهم**) وفى رواية البخاري" اللهم اجعله منهم " ويجمع بين الروايتين بأنه سأل الدعاء أولا فدعا له ثم استفهم هل أجيب ؟ فأخبر .

وقوله (**سبقك بها عكاشة**): قال بعضهم:كأن الرسول ﷺ علم أن هذا الرجل لا يصل إلى هذه المرتبة فعرض له بالكلام و لم يقل له لست منهم . وقال ذلك أيضا سدا للذريعة لئلا بتتابع الناس فيسأل من ليس أهلا فيرد فيعرفه الحاضرون .
وأما القول بأنه منافق فهذا لا يصح لأنه قل أن يصدر هذا السؤال إلا عن قصد صحيح ويقين بتصديق الرسول ﷺ وكيف يصدر ذلك من منافق.

والخلاصة / أن من صفة هؤلاء الذين يدخلون الجنة بلا حساب أنهم أهل توكل وتوحيد، ولذا فهم لا يسترقون ولا يكتوون، ولو كان قد وقع لهم شيء فإنهم يتوبون إلى الله من طلب مثل هذه الأمور، وسعيد بن جبير أخبر حصين بهذا الحديث وقد كان يسترقى ليتوب منه، فهذا يدل على أن من تاب من هذه الأمور يرجى له أن يدخل في زمرة السبعين ألف، والله أعلم.

باب(٣) الخوف من الشرك

وقول الله (: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}.

وقال الخليل عليه السلام: {واجنبني وبني أن نعبد الأصنام}.

وفي الحديث: "أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء" رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار" رواه البخاري، ولمسلم عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار"

هذا الباب الذي عقده المصنف هو بعنوان الخوف من الشرك، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب، ومناسبته لما قبله:

أراد المصنف بالباب أن يذكر النصوص التي تبين وجوب الخوف من الشرك والتحذير منه، وما يترتب على الوقوع فيه من الخسران الأبدي والعذاب السرمدي، لأنه أعظم ذنب عصي الله به، وعلى هذا فينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه، فما خاف الشرك إلا مؤمن وما أمنه إلا جاهل.

ومناسبة الباب للتوحيد ولما قبله.

أنه لما ذكر المؤلف التوحيد ومعناه وفضله وثواب من حققه، ناسب أن يذكر الخوف من ضده وهو الشرك، وقد قيل:

الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء .

المسألة الثانية: من خطر الشرك، ومما يوجب الحذر منه،؛ أن الله قد يغفر الذنوب كلها، إلا الشرك فلا يغفره الله إلا بالتوبة الصادقة منه، والدليل قوله تعالى (**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) و(لا) في الآية نافية، فالله اخبر انه لا يغفر لعبد لقيه وهو يشرك معه غيره، لان الشرك هو أعظم الذنوب، ففيه هضم للربوبية وتنقص للإلوهية وسوء ظن برب العالمين.

* **ولكن هل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر أو الأكبر والأصغر .؟**

= في المسالة قولان، ولابن تيمية قولان في المسالة، فقيل المراد: مطلق الشرك، فالشرك الأكبر والأصغر –ومنه الخفي– كلها لا يغفرها الله، وهذا قول أكثر علماء الدعوة، وهو المشهور عن ابن تيمية واختيار ابن القيم.

القول الثاني: أنه يراد به الشرك الأكبر فقط، لأن الآية وإن كانت مطلقة، إلا أن آيات الشرك الواردة في القرآن كثيرا ما يراد بها الشرك الأكبر دون الأصغر، كمثل قوله تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وهذا خاص بالأكبر كما هو معلوم.

ويترجح هذا القول بأنه إذا قيل بعدم المغفرة للأصغر فما الذي يخرجه من الخلود من النار كالأكبر، ومعلوم أن الأصغر صاحبه تحت المشيئة.

وعلى كل حال فهذه الآية تجعل المرء يخاف من الشرك، لأنه لا يغفره الله، وقد قال ابن عثيمين رحمه الله معقبا على القولين: يجب الحذر من الشرك مطلقا لان العموم يحتمل أن يكون داخلا فيه الشرك الأصغر .

وقوله (**ويغفر مادون ذلك لمن يشاء**) : أي يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده

واعلم أن المراد بهذه المغفرة غير المغفرة التي تحدث للعبد بالتوبة، فإن العبد إذا تاب فان الله يغفر له ذنوبه حتى الشرك الأكبر، أما من لم يتب و لم يشرك فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وان شاء عذبه، وقد قال الله عن التائب (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا).

وفي هذه الآية رد على الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة في النار ورد على المرجئة القائلين انه لا يضر مع الإيمان ذنب.

المسألة الثالثة: ساق المصنف في الباب آية تبين أنه يجب على كل مسلم أن يخاف من الوقوع في الشرك، وأن لا يأمن من ذلك، قال الخليل عليه السلام (**واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**) أي اجعلني في جانب، والأصنام في جانب، وباعد بيننا وبينها.

فإذا كان إبراهيم عليه السلام وهو سيد الحنفاء ومن حارب الوثنية وأوذي في ذلك أذى كبيرا وهاجر من بلده إلى بلد أخرى دعوة للتوحيد ومع هذا يخاف على نفسه الوقوع في الشرك ويسأل الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره ممن هو دونه بمراتب لاسيما انه أولى بالخوف من الشرك وعدم الأمن من الوقوع فيه ولهذا قال إبراهيم التيمى : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم وبهذا تعرف خطا بعض الناس وجهلهم حينما قالوا إن الشرك بعيد منا، ونحن أهل توحيد، فوقعوا في الشرك وهم غافلون

* **فإن قيل**: فما المراد بقوله (وبني) وهل استجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام بذلك؟

= قيل: المراد بهم ما كان من صلبه وهم إسماعيل وإسحاق، واختاره صاحب التيسير، وعليه فإن الله استجاب دعاءه .

وقيل: المراد بهم ما كان من ذريته وما توالد منهم، ورجحه العثيمين، وعليه فإن الله استجاب في بعض ذريته دون بعض

المسألة الرابعة : ذكر المصنف في الباب حديث محمود بن لبيد مرفوعا " **أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال الرياء** " وهذا الحديث رواه احمد في المسند والبغوى في شرح السنة والطبراني والبيهقى عن محمود بن لبيد، ورواته ثقات، ومحمود بن لبيد ثبتت له صحبة، ورأى النبي ﷺ واختلف في سماعه من النبيﷺ، وعلى كلا القولين إما انه سمع من النبيﷺ، أو أن حديثه من قبيل مرسل الصحابي، فهو حجة، على أن البخاري أثبت له السماع من النبي ﷺ ، وقد حسن العراقي والمنذري الحديث والمصنف أورد الحديث مختصرا، وتمامه "**قال الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم**

جزاء" وفي هذا الحديث حذر النبي ﷺ أمته من الشرك وخافه عليهم، مع أن خطابه المباشر كان للصحابة وهم أفاضل الناس، ومع هذا خاف عليهم الشرك.

وأشد ما خافه عليهم ﷺ الشرك الأصغر، الذي من صوره الرياء .

والرياء : هو **أن يأتي بالعبادة ليراه الناس فيمدحوه على عبادته**

وإنما اشتد خوف النبي ﷺ على أصحابه من الشرك الأصغر وهو الرياء دون الأكبر لان الداعي إلى الرياء أقوى، فهو أخوف ما يخاف على الصالحين، بخلاف الداعي إلى الشرك الأكبر فإنه ضعيف في قلوب المؤمنين الكاملين، وهذا لا يعنى أن يأمن الإنسان على نفسه من الشرك الأكبر فقد اخبر النبي ﷺ انه لابد من وقوع عبادة الأوثان في أمته، فعلى المسلم أن يحذر من الشرك الأكبر والأصغر

واعلم أن الرياء أمره عظيم ولا يأمن منه تماما إلا الموفق، فالإخلاص عزيز والنفس تحب العلو ولا يتأتى حجبها وترويضها إلا بالعلم بالله والمجاهدة للنفس

وإذا كان حب الظهور داء بلي به الكثير فإن الرياء يقرب ممن أحب الظهور، وقد قال ابن القيم : لا يجتمع في القلب الإخلاص وحب الظهور إلا كما يجتمع الحوت والضب.

والرياء : هو الشرك الخفي، وإنما صار شركا لان فيه نوع إشراك في صرف العبادة فالمرائي مراده من فعله نظر المخلوق إليه وثنائه ومدحه، وإنما صار خفيا لأنه يخفى عن الناس ، وقد ورد عند مسلم " **أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** "

المسألة الخامسة: ساق المصنف في الباب حديثي ابن مسعود، وجابر رضي الله عنهما، في بيان التحذير من الشرك والتخويف منه.

فأما حديث ابن مسعود فهو قوله ﷺ" **من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار** " رواه البخاري، والند: هو النظير والشبيه والمثيل .

واتخاذ الند من دون الله نوعان:

١- نوع يكون شركا اكبر : بأن يجعل لله ندا في أنواع العبادة أو بعضها كالدعاء أو نحوه

٢- نوع يكون شركا اصغر : وهو ما يكون من نوع الشرك الأصغر كيسير الرياء، وقول ماشاء الله وشئت

وأما حديث جابر ﷺ فهو قول النبي ﷺ "**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار** "

ومعنى الحديث : أنه من مات وهو عنده شيء من الشرك فانه يدخل النار، وقد يكون دخولا مطلقا وهذا لمن كان شركه اكبر وقد يكون دخوله مقيدا وهذا لمن كان شركه اصغر، وأما من مات غير مشرك، بل موحد فانه يقطع له بدخول الجنة، لكن إن كان صاحب كبائر مصر عليها فهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه ودخل الجنة مباشرة . وإلا عذب في النار ثم دخل الجنة وان لم يكن صاحب كبائر ولا ذنوب فانه يدخلها مباشرة وقد ورد في الصحيحين عن أبي ذر ﷺ "ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق ثلاثا وقال في الرابعة رغم أنف أبي ذر."

ودلالة الحديثين متقاربة: فكلاهما دل على التخويف والتحذير من الشرك، لأن عقوبة من وقع فيه أنه يدخل النار، ولو قل شركه، لأنه أطلق الشرك في الحديث فيدخل فيه قليل الشرك وكثيره، وهذا يوجب الخوف منه.

باب (٤) الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقوله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال له:؟"إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله".

وفي رواية: "إلى أن يوحدوا الله. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: "لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها: فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق في عينيه ؛ ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم" يدوكون أي: يخوضون.

عقد المصنف رحمه الله هذا الباب، وعنون له بباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة هذا الباب لما قبله:

لما بين المؤلف رحمه الله التوحيد وفضله وتحقيقه وذكر ضده وهو الشرك ووجوب الخوف منه نبه بهذه الترجمة على انه لا ينبغى لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه بل يجب عليه أن يعمل بما علم ويدعو إلى ما علم ولا يقول لا علي إلا من نفسي فهذا خطأ، والله

تعالى قال(**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله**) قال الحسن لما تلا الآية : هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته

فلذلك ينبغي على المسلم أن يدعوا الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة وهو أعظم أمر يدعى إليه وهو الذي أرسلت الرسل لأجله فيبدأ المسلم في دعوته قبل كل شيء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وكما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

المسألة الثانية: ساق المصنف في الباب آية وحديثين، في الأمر بالدعاء إلى التوحيد.

فالآية هي قوله تعالى (**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**) ومعنى الآية: أن الله يقول لنبيه محمد ﷺ قل -يا محمد- هذه الدعوة والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان هذه طريقتي وسبيلي ودعوتي، ادعوا إلى الله على بصيرة وعلم ويقين ومعرفة أميز بها بين الحق والباطل .

ويتولى هذا العمل والدعوة أنا ومن اتبعني وصدقني وآمن بي .

وسبحان الله :أنزه الله واجله وأعظمه من أن يكون له شريك تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

وما أنا من المشركين : بل أنا بريء من أهل الشرك لست منهم وليسوا مني .

والمناسبة في الآية للباب :

هي من جهة أنه بين فيها طريقة النبي ﷺ وهو انه يدعوا إلى توحيد الله بالعبادة وان إتباعه يسلكون طريقته في هذا الأمر وان من لم يدعوا إلى الله وهو يستطيع الدعوة فانه لم يحقق إتباعه للرسول، بل إتباعه فيه نقص عظيم .

والخلاصة: أن الآية أفادت أمورا ومنها :

١- بيان طريقة النبي ﷺ وطريقة إتباعه وهى الدعوة إلى الله

٢- التنبيه إلى أمر مهم وهو الإخلاص إلى الله فلا يدعوا المرء لنفسه ولا لحب الثناء بل مخلصا لله .

٣- أن يكون الداعي إلى الله على بصيرة وعلم، أما الداعي على غير بصيرة فقد ترد عليه شبهة فلا يقدر على ردها .

٤- أن الذي يدعوا إلى الله لابد أن يبرا من كل المشركين. إعانة المستفيد للفوزان ١٠٤/١

المسألة الثالثة: ساق المصنف في الباب حديث بعث النبي ﷺ معاذا رضي الله عنه داعيا إلى الله في السنة العاشرة إلى اليمن، ولما أراد أن يذهب أوصاه النبي ﷺ بهذه الوصية العظيمة التي بين فيها منهجه الذي يسلكه في الدعوة، وكان مما قال له فيها قوله ﷺ:

إنك تأتى قوما من أهل الكتاب : ويعنى بهم اليهود والنصارى وكانوا متكاثرين في اليمن وهم أهل كتاب وعندهم علم وليسوا كسائر العرب الذين لا يعرفون العلم والكتاب فنبه بذلك ليستعد ويتهيأ لمناظرتهم ويأخذ أهبته لذلك .

فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله: وفى رواية : إلى أن يوحدوا الله، لأنه أعظم أمر دعت إليه الرسل وخلق الله لأجله الخلق .

وفيه التدرج في الدعوة والبداءة بالأهم فالأهم وهكذا كانت دعوة النبي ﷺ انه بدأ بالدعوة إلى التوحيد .

* واعلم أن الرواية الثانية (يوحدوا الله) فيها فائدة عظيمة : وهى بيان خطأ وضلال من اعتقد أن لا اله إلا الله يكفى فيها النطق باللسان ولو خالفتها الجوارح ، أو أن معنى لا اله إلا الله أي لا خالق ولا مدبر ولا مصرف إلا الله كما يقول كثير من الجهلة فبين بهذه الرواية المختلفة لفظا المتفقه معنى أن المراد بشهادة أن لا اله إلا الله هي توحيد الله وإفراده بالعبادة . انظر تيسير العزيز الحميد ٩٨ بتصرف

ثم قال له ﷺ : **فإن هم أطاعوك لذلك** : بأن شهدوا وانقادوا لك .

فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات : ثنى بالأعمال بعد التوحيد لأنها لا تصح بدونه فالتوحيد شرط لصحة جميع الأعمال .

* لماذا ذكر النبي ﷺ الشهادتان والصلاة والزكاة و لم يذكر الصوم والحج ؟

= ذكر ابن تيمية : أن الرسول ﷺ اقتصر على الأركان العظيمة التي يقاتل من تركها وهى هذه الثلاثة، قال تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)

ثم بين له ﷺ أن ما يناله من جراء هداية أحد من الناس على يديه خير له من حمر النعم، وهي الإبل الحمر، وهى أنفس أموال العرب، ويضربون بها المثل في نفاسه الشيء .

قال النووي : وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب إلى الإفهام وإلا فذرة من الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها.

* وفي الحديث فوائد ومسائل كثيرة منها:

١- إرسال الدعاة إلى الله وان الدعوة تكون قبل القتال كما فعل النبي ﷺ.

٢- إثبات صفة من صفات الله وهى المحبة .

٣- معجزة من معجزات النبي حيث اخبر أن عليا ﷺ سيفتح على يديه وبصق في عيني على فبرا .

٤- فضيلة على ﷺحيث اخبر انه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .

وهذا الأمر ليس خاصا بعلي ﷺ، بل إن الله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، وإنما المزية هنا هي في شهادة النبي ﷺ بإيمان هذا الرجل ظاهرا وباطنا واثبات لموالاته له ورسوله "التيسير ١٠٤".

٥- فضيلة الدعوة إلى الله وأن الداعية يحصل له من الأجر مثل اجر المدعوين وان هداية شخص واحد خير له من حمر النعم .

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآيه، وقوله: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني) الآية، وقوله: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية، وقوله: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) الآية.

وفي (الصحيح) عن النبي ﷺ أنه قال: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل).

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

عقد المصنف هذا الباب، بعنوان (تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) وجعله لتسير التوحيد، فأورد فيه الآيات والأحاديث التي تفسر التوحيد وتبين معناه، والمراد توحيد الألوهية .

والعطف في قوله : وشهادة أن لا اله إلا الله لتغاير اللفظتين، وإلا فالمعنى واحد .

والكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب لما قبله :

لما تكلم عن الدعوة إلى التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله وفضيلتها وبين أن الداعي إليها لابد أن يكون على بصيرة ناسب أن يبين في هذا الباب المراد بالتوحيد ومعنى لا اله إلا الله التي يدعون إليها

ومن حسن صنيع المؤلف أن أخره بعد بيان فضل التوحيد وما بعده من الأبواب، لأن النفوس كأنها اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر الذي خلقوا لأجله وهو التوحيد .

* **فإن قيل:** ما الفرق بين هذا الباب وبين الباب الأول الذي فيه معنى لا اله إلا الله ؟

= هذا الباب فيه مزيد بيان لمعنى لا اله إلا الله وما دلت عليه من توحيد العبادة بالذات وما ذكره في الباب الأول كان مجملا، ولا يكفى لاستمرار الدعوة إلى التوحيد فذكر في هذا الباب معنى لا اله إلا الله على التفصيل والحجة على من تعلق بالأولياء والصالحين.

* **المسألة الثانية:** ما هو تفسير التوحيد؟

= قال السعدي: حقيقة تفسير التوحيد العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له وذلك يرجع إلى أمرين

١- **نفي الألوهية كلها عن غير الله** بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وانه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب .

٢- **إثبات الألوهية لله وحده لاشريك له** وتفرده بمعاني الألوهية كلها وهى نعوت الكمال كلها، ولا يكفى هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله ..

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب قول الله تعالى (**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**)الآية

وقد اختلف في سبب نزولها، فقد ورد في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ في قوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن فاسلم النفر من الجن وتمسك الإنس بعبادتهم فانزل الله هذه الآيات .

وقيل: إنها نزلت في قوم كانوا يعبدون المسيح وأمه وعزير، وقيل غير ذلك .

قال شيخ الإسلام : وهذه الأقوال كلها حق فإن الآية تعم من كان معبوده عابدا لله، سواء أكان من الملائكة أو من الجن أو من البشر والسلف في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل أ.ه.

* **ومعنى الآية** : يتبين بذكر الآية التي قبلها وهى قوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وهذا عام يشمل كل مدعو من دون الله من الأنداد، فكل من دعا ميتا أو غائبا من

الأنبياء والصالحين فإنه يدخل في الآية (فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي إزالته بالكلية.

(**ولا تحويلا**) : أي ولا يكشفونه عنكم ويحولونه إلى غيركم، فهم عاجزون عن كل هذا، والله سبحانه هو القادر على ذلك وحده لا شريك له .

(**أولئك الذين يدعون**) من الأنبياء وغيرهم من المعبودات .

(**يبتغون إلى ربهم الوسيلة**) هم أنفسهم يطلبون من ربهم القربة والشيء الذي يوصلهم إلى الله والى ثوابه فكيف يطلب ذلك منهم . والوسيلة : الطاعة والعبادة .

(**أيهم اقرب**) كل واحد يرجوا أن يكون اقرب إلى الله، فيتقربون إلى الله بطاعته، ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

ومناسبة الآية للباب :

من جهة أن التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة والدعاء وحده ونفي الشريك عنه سبحانه، وهؤلاء الذين يدعون الأنبياء والملائكة لم يتبرءوا من الشرك، بل وقعوا فيه ودعوا من لا يملك ضرا ولا نفعا، فإذا عرفت هذا تبين لك أن التوحيد لا يكون إلا بنبذ كل الشرك، وإخلاص العبادة لله .

المسألة الرابعة: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى (**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون** (*) **إلا الذي فطرني فإنه سيهدين**)الآية

وهذه الآية يبين فيها الله سبحانه وتعالى موقف إبراهيم عليه السلام من قومه ومن والده الذين أشركوا مع الله غيره،كيف دعاهم، فلما لم يستجيبوا تبرأ منهم، وهاجر عنهم .

وقال عليه السلام (**إنني براء مما تعبدون**) أي متبرئ من كل ما تعبدون من دون الله من الأصنام والكواكب وغيرها .

(**إلا الذي فطرني**) أي خلقني وأوجدني .

والفطر : ابتداء الخلق على غير مثال سابق، فالذي فطرني لست ببريء منه، بل اثبت له العبادة وحده .

قال ابن عثيمين: وإنما قال (إلا الذي فطرني) و لم يقل "إلا الله" لفائدتين :

١- ليشير إلى سبب إفراد الله بالعبادة، لأنه هو الخالق الرازق وحده، فكما انه تفرد بالخلق فيجب أن يفرد بالعبادة .

٢- ليشير إلى بطلان عبادتهم للأصنام لأنها لم تخلق و لم تفطر، فلا تستحق العبادة.القول المفيد (١/١٥٠).

ثم قال الله تعالى (**وجعلها كلمة باقية في عقبه**) وعقبه هم ذريته ، والكلمة : لا اله إلا الله ، فلا تزال باقية في ذريته، فلا تخلو الأرض من موحد لله قل أو كثر .

ومناسبة الآية للباب :

من جهة أن هذه الآية هي تفسير لا اله إلا الله، فالجملة الأولى منها (إنني براء مما تعبدون) هي معنى لا اله، والثانية وهي (إلا الذي فطرني) هي معنى إلا الله،ففيها تفسير التوحيد . وفيها أيضا بيان موقف المسلم من أهل الشرك، وهو أن يتبرأ منهم ومن شركهم ومن معبوداتهم كما فعل إبراهيم .

المسألة الخامسة: ذكر المصنف قوله تعالى (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**) وهذه فيها أيضا تفسير للتوحيد.

وبيان ذلك: أن هؤلاء اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم- وهم العلماء- ورهبانهم – وهم العباد- معبودات من دون الله، وهذه العبادة بينها النبي ﷺ، وفسرها لعدى بن حاتم حين قال أنهم لم يعبدوهم فقال " أليسوا يحرمون الحلال فتحرمونه ويحلون الحرام فتحلونه، فتلك عبادتهم " رواه احمد والترمذي وحسنه .

فعبادتهم هي من جهة أنهم أطاعوهم في التحليل والتحريم، إذ التحريم والتحليل حق لا يكون إلا لله، فمن أطاع غير الله في تحليل الحرام وتحريم الحلال فقد اتخذه ربا ومعبودا، وجعله شريكا لله، وهذا ينافى التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله، التي تقتضى إفراد الله بالطاعة وإفراد الرسول بالمتابعة .

وبهذا : تعرف أن من أطاعوا البشر في تحليل الحرام كما في القوانين فهم قد اتخذوهم آلهة وقد عبدوهم، وهم قد وقعوا في الشرك الأكبر .

ولكن لابد أن يعلم أن شيخ الإسلام ذكر : أن **طاعة من حلل الحرام وحرم الحلال تكون على وجهين** :

١- **أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل** فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله إتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل: فهذا كفر.

٢- **أن يكون إيمانهم واعتقادهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله** كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهو يعلم أن التحليل والتحريم حق لله، ولكن فعله من باب الهوى أو تحصيل بعض المصالح، فهذه معصية عظيمة، لكن لاتصل إلى حد الشرك الأكبر .

المسألة السادسة: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى (**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله**)

وهذه الآية هي أيضا لها ارتباط بتفسير لا إله إلا الله.

وبيان ذلك: أن الله قال فيها أن بعض الناس من المشركين يتخذ من دون الله أندادا ونظراء وأشباه يحبونهم كحب الله، وهذا هو شركهم أنهم يسوون معبوداتهم بالله في المحبة المقتضية الذل للمحبوب، فوقعوا في الشرك، إذ إن المحبة المقتضية الذل للمحبوب والخضوع له، عبادة لا تصرف إلا لله، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك واتخذ من دون الله ندا.

ولذلك فأمر المحبة عظيم وما يقع به البعض من كونه يحب معبوده، أو الولي فلان، أو حتى النبي ﷺ، وقد تجد أن بعضهم يقدم ويفضل زيارة قبر النبي ﷺ على زيارة الكعبة، لأنهم يجدون في نفوسهم حبا للرسول كحب الله، أو أعظم، وهذا شرك.

والله قال عن الكفار (**تالله إن كنا في ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين**) ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الخلق والملك والرزق، وإنما ساووهم به في المحبة والتعظيم والطاعة .

وعلى هذا : فمن قال لا اله إلا الله، وهو مشرك بالله في هذه المحبة فما قالها حق القول وان نطق بها .

فمناسبة الآية للباب : من جهة أن هؤلاء الذين سووا محبة الله بمحبة غيره عدهم الله مشركين جاعلين له أندادا، قاله العثيمين ."المفيد ١/١ "، فمن تفسير التوحيد إفراد الله بالمحبة فلا يحب معه غيره محبة عبادة .

* واعلم أنه قيل في معنى (**يحبونهم كحب الله**) قولان :

١- يحبون معبوداتهم كما يحب المؤمنون ربهم .

٢- يحبون معبوداتهم كما يحبون الله: فهم يحبون الله لكن ساووا معبوداتهم بالله في المحبة وهذا هو الأقرب .

ولذلك قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل الباب: **ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ؟**

المسألة السابعة: ذكر المصنف في الباب حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال " **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله** " رواه مسلم.

وهو أيضا داخل في تفسير التوحيد، وبيان معنى لا إله إلا الله.

وبيان ذلك: أن النبي ﷺ علق فيه عصمة الدم والمال على أمرين:

١- **قول لا اله إلا الله عن علم ويقين** ،. ٢- **الكفر بما يعبد من دون الله** .

فإذا تحقق هذان الشيئان حرم دمه وماله، لأنه صار مسلما، ولا يكفى أحدهما دون الأخر

وبهذا نأخذ فائدة جليلة يتبين بها معنى هذه الكلمة:

وهى أنه لا يكفى النطق بلا إله إلا الله مجردة عن العمل، فالنبي ﷺ هنا لم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها، والعمل بها، والبراءة مما ينفيها، وهو الشرك والكفر، فإذا تخلف العمل لم يعصم دم صاحبه ولا ماله .

وعلى هذا : فمن شهد أن لا اله إلا الله و لم يكفر بما يعبد من دون الله بأن كان يعبد القبور، أو يدعوا الأولياء والأضرحة فهذا لم يكفر بما يعبد من دون الله، و لم يحرم دمه وماله "الدرر السنية ٨/٢١٢ ".

ومناسبة الحديث للباب :

من جهة أن التوحيد الذي يعصم الدم والمال لا يتم إلا بالقول والعلمل، والعمل هو الكفر بما يعبد من دون الله، وهذا من تفسير التوحيد .

ثم قال المصنف : (**وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب**) :أي أن ما يأتي بعد هذا الباب من الأبواب كلها في شرح التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله، وبيان ما يناقضه وهو الشرك الأكبر والأصغر .

(٦) باب من الشرك

لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه .

وقول الله تعالى: {قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون}

عن عمران بن حصين ﷺ: "أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال من الواهنة. فقال: انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا" رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعا: "من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له" وفي رواية: "من تعلق تميمة فقد أشرك".

ولابن أبي حاتم عن حذيفة ﷺ "أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}

بوب المصنف هذا الباب (**من الشرك لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه**) والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالترجمة : لما ذكر المصنف في الباب السابق تفسير التوحيد ومعنى لا اله إلا الله، بدأ هنا بذكر ما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر.

وقرر في هذا الباب أن من أنواع الشرك -الذي سبق التحذير منه في الأبواب السابقة - لبس الحلقة والخيط ونحوهما مما يعلق البدن، أو على الدابة أو السيارة، أو على الأبواب وغيرها من الأشياء التي يعتقد أنها ترفع البلاء وتزيله بعد حصوله، أو تدفع البلاء والشر وتمنع وقوعه .

و**الحلقة** : كل شيء استدار من حديد أو ذهب أو فضة أو نحوها، والخيط معروف .

ويلحق بهما ما كان نحوهما: كالودعة والتميمة والمسمار والخرزة وجلد التمساح أو غير ذلك مما يعتقد فيه دفع الشر والبلاء أو الحسد، فكل هذه الأمور وضعها شرك، لأنه تعلق بغير بالله، والواجب أن تتعلق القلوب بالله فهو الذي بيده دفع الضر ورفعه .

* **فإن قيل**: فهل معنى هذا عدم الأخذ بالأسباب ؟

= لا؛ بل جاءت الشريعة بإثبات الأسباب، وان لها تأثيرا بقدرة الله تعالى وما وضعها فيها، ولكن مثل هذه الأمور ليست أسبابا لرفع البلاء ودفعه.

وعلى هذا :

فما ثبت أنه سبب لرفع البلاء أو دفعه إما من جهة الشرع أو من جهة التجربة بما لا يخالف الشرع فإنه يعمل به، أما ماعدا ذلك فلا يعمل منه .

مثال ما ثبت من جهة الشرع انه سبب : ماء زمزم والعسل، والحبة السوداء وغيرها مما ورد في الشرع أنه سبب للشفاء .

ومثال ما ثبت من جهة التجربة انه سبب : بعض العلاجات والأدوية مما جرب وثبت انتفاع المريض به بإذن الله، وليس فيه أمر محرم، كالخمر، أو السحر أو غيرها.

فإذا أثبتت التجربة أنها تنفع بإذن الله فإنها تستعمل، ما لم يكن في ذلك أمر محرم كما سبق.

أما ما لم يثبت لا في الشرع ولا في التجربة أنه سبب الرفع أو دفع فلا يستخدم، كتعليق الخيط على اليد أو الرقبة، أو وضع جلود الذئاب والتماسيح وغيرها في البيت أو السيارة ونحو ذلك، أو تعليق المصاحف ونحوها في السيارة أو الدكان، أو غير ذلك مما يكون مخلا بالعقيدة.

المسألة الثانية: أن لبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء ودفعه قسمان .

١/ **إذا علقها معتقدا أنها بذاتها تنفع وتدفع الضر** : فشرك اكبر لأنه اعتقد أن هناك متصرف بالنفع والضر غير الله.

٢/ **أن يعتقد أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه:** فشرك اصغر .

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب آية وثلاثة أحاديث.

فأما الآية فهي قوله تعالى (**قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره**) الآية .

والخطاب فيها موجه إلى محمد ﷺ أن قل للمشركين الذين توجهوا إلى غير الله ؛ أخبروني عن الذين تدعون من دون الله وتعبدونهم وتسألونهم من الأصنام والأوثان والأشجار والقبور والأضرحة وكل ما يعبد من دون الله إن أراد الله إصابتي بضر من فقر أو شدة أو بلاء أو موت أو غيره هل تتمكن هذه من كشف الضر النازل عمن دعاها.

وهذا سؤال استنكار ونفي، والمعنى : لا تقدر على كشف الضر عمن دعاها، ولذلك فالمشركون يمرضون ويقتلون ويصابون ولا تقدر معبوداتهم أن تدفع شيئا من ذلك .

وكذلك لو أراد الله إنالتي بخير من غنى أو صحة وغير ذلك من النعم فهل يقدر أحد من المعبودات أو احد من الخلق أن يمنع نزول الرحمة علي، والجواب: لا يقدر أحد، بل لو اجتمع الخلق على أن يردوا أمرا من النعم أراد إنفاذه ما قدروا .

قال مقاتل : فسألهم النبي ﷺ فسكتوا و لم يقدروا على الإجابة .

ولذلك قال الله بعد ذلك السؤال (**قل حسبي الله عليه توكلت**) هو كافيني فأفوض أمري إليه وأتوكل عليه فعليه يتوكل المتوكلون، ومتى ما صدق توكل العبد على ربه فلن يضره شيء، وفى الحديث "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ".

* **فإن قيل:** إن المشركين لا يعتقدون هذا في معبوداتهم، وإنما يعتقدون أنها وسائط وشفعاء عند الله، وأما كشف الضر وجلب النفع فهو من الله وحده ؟

= الجواب: وحتى مع هذا فلماذا لا تدعون من بيده جلب النفع ودفع الضر، أما هذه المعبودات فلا تقدر حتى على نفسها أن تجلب لها نفعا أو تدفع لهم ضرا، فليست جديرة بأن تعبد.

* **فإن قيل:ومناسبة الآية للباب:**

= الجواب: أنه لما بين المصنف أن الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله لا تملك نفعا ولا ضرا فليست أسبابا لذلك فيقاس عليها كل ما ليس بسبب شرعي أو قدري، فيعتبر اتخاذه شركا بالله ولا فرق بينه وبين اعتقاد المشركين بأصنامهم ومعبوداتهم .

قال العثيمين : وهذا يدل على حذق المؤلف وقوة استنباطه، وإلا فالآية بـــلا شـــك في الشرك الأكبر الذي تعبد فيه الأصنام، ولكن القياس واضح جدا لأن هذه الأصنام ليست أسبابا تنفع، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب فيعتبر إشراكا بالله ."المفيد ١٦٨/١ ".

وأما **الأحاديث فأولها** حديث عمران بن حصين ﷺ "**أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه ؟ قال : من الواهنة قال : انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبدا** " قال المصنف:رواه أحمد بسند لا بأس به.

وهذا الحديث رواه ابن ماجه وأحمد وابن حبان والحاكم وصححاه والبيهقى، وقال البوصيرى : إسناده حسن .

ولكن الحديث **إسناده ضعيف**، من أجل الحسن البصري الراوي عن عمران بن حصين، وقد ذكر يحيى القطان وابن المديني وابن معين وأبو حاتم والدارقطني وغيرهم أنه لم يسمع من عمران، ثم إنه يرويه عنه مبارك بن فضالة، وهو ضعيف عند ةجماعة كأحمد والنسائي وابن معين، ومنهم من قواه، وقال أبو زرعة وأبو داود: إذا قال حدثنا فهو ثقة، وتوسط ابن حجر في حاله فقال: صدوق يدلس ويسوي، أقول: وهو في هذا الحديث قد عنعن و لم يصرح بالسماع، ولأجل هذا فالحديث إسناده ضعيف، لأجل هاتين العلتين.

وله شواهد عن ثوبان وأبي أمامة عند الطبراني، وكلاهما ضعيف، إلا أن النهي عن التمائم فيه أحاديث تقويه، ومنها ما ذكره المصنف بعد ذلك، وممن تكلم على الحديث وضعفه الشيخ الألباني في السلسة الضعيفة (٣ / ٣١)

* والحديث فيه النهي عن الخيط ونحوه، وبيان ذلك: أن فيه أنه ﷺ رأى هذا الرجل وفي يده حلقة من صفر – والحلقة: الشيء المستدير يدار على العضد أو الذراع، والصفر نوع من المعدن معروف- فاستفهم منه منكرا وقال: ما هذا؟! ويحتمل أنه استفهام عن سبب لبسه لها، فقال الرجل:إني لبستها لتقيني من الواهنة – والواهنة: هي عرق يأخذ في المنكب وفى اليد كلها فيرقى منها، قاله ابن الأثير- فأمره أن يترعها ويطرحها وقال له: إنها لا تزيدك إلا وهنا.

* **ومناسبة الحديث للباب .**

أن النبي ﷺ أنكر على الرجل وضع الحلقة لرفع البلاء أو دفعه، ونفي الفلاح عنه يدل على أنها من الشرك .

* **فإن قيل:** إذا قلنا أنه ليس لها تأثير فكيف يجاب عن قوله "لا تزيدك إلا وهنا"؟

= ذكر العلماء في ذلك جوابين:

١/ أن هذه الحلقة ليس لها تأثير بذاتها وإنما يعاقب الله من وضعها على شركه بنقيض قصده "التيسير ١٢١ ".

٢/ أن من علق مثل هذه الأمور تجده يتعلق بها ولا يتعلق بالله فيكون دائما في قلق وخوف يتخوف من كل شيء "إعانة المستفيد١/ ١٣٩ ".

* **فإن قيل:** قوله في الحديث (**فانك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبدا**) معناها: أنه لو مات وهو لم يتب منها ما أفلح أبدا لأنه مشرك وهذا فيه دليل لمن قال أن الشرك لا يغفر، لكن ظاهر الحديث أنه لم يعذر بجهله، فكيف يجاب عن هذا؟

= ورد في رواية البيهقي " فإنك لو مت بعد أن علمت ما أفلحت أبدا" وفيها ضعف، على أن أصل الحديث فيه ضعف كما سبق.

وأهل العلم يقررون أن الجهل بالنسبة لكونه عذرا هو على ضربين:

ا- جهل يعذر فيه الإنسان : وهو الذي لا يكون ناشئا عن تفريط وإهمال كمن ينشأ في بادية ولا يجد من يعلمه فهذا يعذر .

ب- جهل لا يعذر فيه : وهو ما كان ناشئا عن تفريط وإهمال مع وجود من يعلمهم كمن يكون في مدينة أو قرية أو بادية وعنده من يعلمه لكنه فرط فهذا لا يعذر.

وثاني الأحاديث: عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعا "**من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**" وفي رواية " **من تعلق تميمة فقد أشرك** " .

وهذان الحديثان رواهما أحمد -في المسند-، وغيره.

فأما الأول فهو من طريق خالد بن عبيد المعافري، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة، وصحح إسناده الحاكم، وقال المنذري: إسناده جيد، ولكن هذا فيه نظر، إذ فيه خالد بن عبيد، محكوم عليه بالجهالة، لم يرو عنه غير حيوة بن شريح، و لم يوثقه غير ابن حبان، وقد ضعف الألباني الحديث كما في السلسة الضعيفة (٣ / ٢٦٨)

وأما اللفظ الثاني: فهو من طريق يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة، وإسناده حسن، فيه يزيد قال عنه أبو حاتم: ليس به بأس، وكذا قال ابن حجر في التقريب، وقال الذهبي: صدوق، وبقية رجاله ثقات.

واللفظان فيهما النهي عن تعليق التميمة معتقدا فيها النفع، وأن هذا من الشرك، لأن جلب النفع ودفع الضر لا يقدر عليه إلا الله .

فقوله (**من تعلق تميمة**): أي علقها على نفسه أو ولده أو تعلق بها قلبه .

والتميمة : خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين ويلحق بها كل ما يعلق لاعتقادهم أنها تدفع العين ونحوه .

وقوله (**فلا أتم الله له**) : دعاء من النبي ﷺ عليه بأن الله لا يتم له أموره، قال الفوزان ما معناه: وهذه الدعوة أثرها واضح، فأنت ترى من يعلقون مثل هذه الأمور من أكثر الناس خوفا وحزنا وهما، بعكس الموحدين المعتمدين على الله إعانة المستفيد ١/ ١٤١ " .

وأما الودعة : فهي واحدة الودع : وهى أحجار تستخرج من البحر تشبه الصدفة يعلقونها على صدورهم يتقون بها العين .

وقوله (**فلا ودع الله له**) : أي لا جعله في دعة وسكون، وهذا دعاء عليه من النبي ﷺأن يعامل بنقيض مقصوده .

وقوله في اللفظ الآخر (**من تعلق تميمة فقد أشرك**) إنما كانت شركا لأنه أراد دفع القدر المكتوب عليه وطلب دفع الأذى من غير الله الذي هو النافع الضار وتعلق قلبه بغير الله، ومعلوم أن المخلوق عاجز .

* وهل هذا الشرك اصغر أو اكبر ؟ سبق ذكر ذلك في المسألة الثانية .

وثالث الأحاديث: حديث حذيفة رضي الله عنه" أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون }".

وهذا الحديث أخرجه بن أبي حاتم في تفسيره، وهذا الإسناد ضعيف لأن عروةبن الزبير لم يثبت له سماع من حذيفة، ولكن معناه له أصل، فالنهي عن تعليق الخيوط، وكذا الإنكار على من وضع ذلك باليد ثابت والأدلة دالة عليه، ومع هذا فلعروة متابع، وهو أبو ظبيان حصين بن جندب الكوفي، أخرج روايته الخلال في السنة، فقد يتقوى الأثر بالوجهين .

وقوله هنا (**خيط من الحمى**): الحمى : ارتفاع الحرارة في الجسم فهذا الرجل ربط الخيط من اجل أن يتقى الحمى .

وقوله (**فقطعه**) قال صاحب التيسير : وفيها إزالة المنكر باليد بغير إذن الفاعل، وإن كان يظن أن الفاعل يزيله، وان إتلاف آلات اللهو والمنكر جائزة وإن لم يأذن صاحبها ."ص ١٢٤ ".

وتلا قوله "{ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون }. المراد بهذا المشركون الذين يؤمنون بتوحيد الربوبية ويشركون بالألوهية فلا يؤمن أكثرهم بالربوبية إلا وهم مشركون في الألوهية، قال ابن عباس : تسألهم من خلقهم ؟ فيقولون الله وهم مع ذلك يعبدون غيره، فهم جمعوا بين الإيمان بوجود الله وربوبيته وبين الإشراك بعبادته، وكذلك بعض المسلمين جمع بين الإسلام وبين الشرك في وضع هذه التمائم.

وأنت ترى أن الآية هي في الشرك الأكبر، بينما وضع الخيط هو من الشرك الأصغر – على التفصيل السابق– ولكن هذا الصنيع من حذيفة في استدلاله بآية في الشرك الأكبر على أمر من الشرك الأصغر لا بأس بها، وقد قال المصنف في مسائل الباب : فيه أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر، وهذا يفعله المؤلف في هذا كتاب التوحيد .

ومناسبة الحديث للباب .

من جهة أن حذيفة أنكر وضع الخيط، وعده من الشرك، وأزله من اليد.

باب ما جاء في الرقي والتمائم

في (الصحيح) عن أبي بشير الأنصاري ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) [رواه أحمد وأبو داود]. وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: (من تعلق شيئا وكل إليه). [رواه أحمد والترمذي].

(التمائم): شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﷺ.

و(الرقى): هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

و(التولة): شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ : (يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدا بريء منه).

وعن سعيد بن جبير قال: (من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة) [رواه وكيع].

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن.

عقد المصنف هذا الباب (باب الرقى والتمائم) وذكر فيه : ما جاء عن الرسول ﷺ والصحابة من الأحاديث والآثار في حكم الرقى والتمائم، والمقصود في الباب ذكر الرقى المحرمة والتمائم .

وإنما لم يقل (من الشرك) كما فى الباب السابق لأن في الرقى ما ليس شركا

والكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الرقى والتمائم.

الرقى : جمع رقية وهى العوذة أو القراءة التي يرقى بها صاحب الآفة

و**التمائم** : جمع تميمة وتقدم أنها خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين ويدخل فيها كل ما علق لدفع ضر أو رفعه و لم يثبت أنه سبب شرعي ولا قدري سواء أكان من خشب أو معدن أو قماش أو غير ذلك

ومناسبة الباب للتوحيد ولما قبله .

أنه لما كانت التمائم شرك ومن الرقى ما هو شرك لما فيها من التعلق بغير الله في كشف الضر وجلب النفع ناسب أن يذكر ذلك في كتاب التوحيد.

وهذا الباب مكمل لما قبله فهو ذكر أنواعا مكملة للباب السابق، لكنه افرد الرقى في هذا الباب ليبين أنها ليست كلها شرك كالذي تقدم ذكره فى الباب السابق

المسألة الثانية: حكم الرقى

أهل العلم يقررون أن الرقى قسمان

١/ **رقى جائزة** : وهى الرقية الشرعية التي بالقران والأدعية والأذكار الواردة الشرعية فهذه جائزة والأدلة على هذه كثيرة منها رقية النبي لبعض أصحابه وأمره أسماء بنت عميس أن ترقى أبنائها أبناء جعفر بن أبى طالب وحديث " لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا " رواه مسلم .

وقد ذكر السيوطي أنه يشترط للرقية الشرعية **ثلاثة شروط**

١- أن تكون من القران أو الأذكار أو الأدعية الشرعية أو بأسماء الله وصفاته

٢- أن تكون باللسان العربي وبما يعرف ويفهم معناه

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله ونقل إجماع العلماء على جواز الرقية بهذه الشروط.

٢/ **رقى شركية** : وهى ما كان فيها شرك، وهى التي تسمى العزائم ويدل لها حديث " ما لم تكن شركا "وحديث " إن الرقى والتمائم والتوله شرك ".

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب خمسة أحاديث وآثار.

أولها: حديث أبي بشير الأنصاري ﷺ أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا " **أن لا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت** "

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى بشير الانصارى، واختلف فى اسمه، وقال بن عبد البر لا يوقف له على اسم صحيح، كان مشهور بكنيته .

وقوله (**فى بعض أسفاره**) : لم يرد تحديد وتعيين هذا السفر كما ذكر الحافظ بن حجر .

وقوله (**فأرسل رسولا**) : هو زيد بن حارثة كما ورد في رواية، والرسول أرسله لينادى بهذه الكلمات .

وقوله (**ألا يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت**) الشك من الراوي، هل نهى عن كل قلادة أو عن التي من أوتار القوس ؟

قال صاحب التيسير : والأول اصح لاتفاق الشيخين عليهما وللرخصة في القلائد إلا الأوتار ا.ه . التيسير ١٢٧.

وعلى كل حال : فالحديث يراد به النهي عن كل ما يعلق ويراد به أمر شركي من دفع العين أو رفع بلاء، سواء أكان من وتر أو من غيره، أما إذا علقت القلائد و لم يقصد بها أمرا شركيا، مثل تقليد الهدى الذي يهدى للبيت العتيق فلا حرج فيها .

***ولماذا نص على القلادة التي من وتر ؟**

= لأنها كانت موجودة عند أهل الجاهلية حيث أنهم إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره واخذوا القديم وعلقوه بالدواب اعتقادا انه يدفع العين والمكاره عن الدابة.

واعلم:

أن النهى عام سواء كانت معلقة على الرقبة أو على اليد أو الرجل أو غيرها .

وسواء أكانت على البعير أو الآدمي أو غيرهما، وإنما نص على البعير لأنه هو الذي كان منتشرا عندهم " المفيد ١/١٨٠".

*** ومناسبة الحديث للباب .**

من جهة أن الحديث دل على تحريم القلائد بقصد دفع الضر أو جلب النفع، وهذا من الشرك وهو من التمائم .

وثاني الأحاديث : حديث ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول " **إن الرقى والتمائم والتوله شرك**" رواه أحمد وأبو داود.

وهذا الحديث صححه الحاكم والألباني .

وقد دل الحديث على تحريم الرقى الشركية والتمائم والتوله وأنها من الشرك .

أما الرقى والتمائم فتقدم بيانها .

وأما **التولة** : فقال عنها المصنف -كما سيأتي- شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وبهذا فسره بن مسعود كما عند ابن أبي حاتم والحاكم .

وهو ضرب من السحر، وإنما كان شركا : لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى.

وقد الحق الشيخ ابن عثيمين بالتولة: الدبلة عند الخطوبة والزواج لأنها ليست سبب للمحبة لا شرعي ولا قدري والناس يعتقدون انه سبب للمحبة

وعلى هذا فيقال لبس الدبلة لا يخلو من حالات :

١- إن اعتقد أنها بنفسها تأتي بالمودة بين الزوجين : فشرك اكبر .

٢- إن اعتقد أنها سبب لحصول المودة بين الزوجين فهذا : شرك اصغر .

٣- إن لبسها بدون اعتقاد كل هذا فإنه تشبه بالكفار فتحرم من هذا الجانب. المفيد ١٨١/١

* وهل التولة والتمائم هي من الشرك الأصغر أو الأكبر؟

= لها حالتان:

ا- شرك اصغر : إذا اعتقد أن هذه الأمور سبب وأنها لا تفعل بنفسها .

ب- شرك اكبر : إذا اعتقد أن هذه الأمور تنفع وتضر من دون الله وأنها تفعل بنفسها .

وثالث الأحاديث: حديث عبد الله بن عكيم مرفوعا "**من تعلق شيئا وكل إليه**"
والحديث رواه احمد والترمذي والحاكم، وقال عنه الترمذي حديث حسن غريب والحديث فيه ضعف ولكن له شواهد تقويه .
وعبد الله بن عكيم يكنى أبا معبد الجهني أدرك زمان النبي ﷺ ولا يعرف له سماع صحيح، قاله البخاري وأبو زرعة وغيره فهو مخضرم، وحديثه مرسل .
وقوله (**من تعلق شيئا**) : شيئا : نكرة فتشمل جميع الأشياء والتعلق يكون بالقلب؛ بأن يعتمد عليه ويعتقد انه سينفعه
ويكون بالفعل؛ بأن يعلق على نفسه شيئا من التمائم والتعاويذ وأشباهها
ويكون بهما جميعا .
وقوله (**وكل إليه**) :أي يكله الله إلى هذا الأمر ويخذله، وهذه قاعدة عظيمة أن كل شيء يعلق الإنسان به قلبه من دون الله من بشر أو حجر أو شجر أو قبر أو حلقة أو خيط أو تميمة أو غير ذلك فإن الله يكله إليه ومن توكل على الله فانه حسبه وكافيه .
وبهذا الأمر تعرف ضلال من نسوا التعلق والتوكل على الله فلجأوا إلى أمور لم ترد في الشرع وهم بهذا وقعوا في الشرك ورفع الله عنهم يده ووكلهم إلى أنفسهم وإلى ما جعلوه من أسباب، وهذا هو غاية الخذلان وقد قال ابن القيم : اجمعوا على أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك وان الخذلان أن يخلى بينك وبين نفسك " الفوائد ٩٠".

*** ومناسبة الحديث للباب :**

من جهة أن الحديث دل على أن من تعلق على شيئا دون الله فإن هذا من الشرك ويكون جزاؤه من الله أن يكله إلى هذا الذي توكل عليه ولن يجد فيه نفعا ولا دفعا .

ورابع الأحاديث: عن رويفع ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ" **يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدا بريء منه** "

وهذا الحديث رواه احمد وأبو داود والنسائي والطبراني وحسنه النووي وأبو داود وصححه الالبانى .

ورويفع : هو ابن ثابت الأنصاري، طال عمره وتوفى سنة ٥٦هـ، فوقع كما أخبر ﷺ من قوله : لعل الحياة تطول بك.

وقوله (**فأخبر الناس**) : فيها دليل على وجوب إخبار الناس وتبليغ العلم والعقيدة الصحيحة، وهذا واجب وأمانة يتحملها القادرون .

وقوله (**من عقد لحيته**) : عقد اللحية يفسر على أحد أوجه أربعة:

١- ما كانوا يفعلونه في الحروب فالجاهلية حيث يعقدون لحاهم تكبرا وافتخارا وهذا من زى الأعاجم .

٢- ما يفعله أهل الترف من تجعيد لحاهم وتحسينها وكدها حتى تتجعد وهذا للتجمل وهذا فعل أهل التأنيث، مع أن إصلاح اللحية ودهنها وإكرامها مطلوب لكن ما لم يصل إلى الترف والإسراف .

٣- وإما خوفا من العين، لأنها إذا كانت حسنة أراد أن يشوهها ويشوه نفسه خوفا من العين.

٤- أن المراد عقد اللحية في الصلاة لان هذا من العبث فى الصلاة وهو مكروه وهو يدل على عدم الخشوع . قال ابن العراقي: والأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة كما في رواية "من عقد لحيته في الصلاة" .

قال ابن قاسم في الحاشية ص٨٨ : ويشبه هذا ما يفعله كثير من أهل الفسق والكبر من فتل أطراف الشوارب وإبقائها مخالفة لما ثبت عنه ﷺ في الصحيحين وغيرهما " احفوا الشوارب وأعفوا اللحى "

وقوله (**أو تقلد وترا**) : تقدم بيانه وأنه جعل قلادة من وتر على عنق الدابة وغيرها وهذا الشاهد من الحديث .

وقوله (**أو استنجى برجيع دابة أو عظم**) : أي أزال الخارج من السبيلين بأي من هذه الأشياء لأنها طعام الجن وعلف دوابهم ونهى النبي ﷺ عن الاستجمار بها .

وقوله (**فإن محمدا بريء منه**) : وهذا وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر . وأحاديث الوعيد الأولى إجراؤها على ظاهرها فهذا ابلغ فى الزجر ولا تصرف عن ظاهرها بالتأويل كما يفعل البعض.

ومناسبة الحديث والشاهد منه :

أن النبي ﷺ اخبر انه بريء ممن تقلد وترا دفعا للضر لان هذا من الشرك كما تقدم

* **فائدة:** قال صاحب فتح المجيد: فإذا كان هذا فيمن تقلد وترا فكيف بمن تعلق بالأموات وسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وما يترتب على ذلك من العبادة التي لا يستحقها إلا رب الأرض والسماوات الذي جاء النهي عنه وتغليظه في الآيات المحكمات "٢٤٩/١.

وخامس الآثار :عن سعيد بن جبير قال " **من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة** "

وهذا الحديث أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه ووكيع، وظاهره الوقف، لكن له حكم الرفع عند العلماء، لأن مثل هذا لا يقال بالرأي، فيكون الحديث مرسلا .التيسير ١٣٥

كان كعدل رقبة : أي كان له مثل ثواب من اعتق رقبة

ووجه الشبه بين عتق الرقبة وقطع التميمة : أن إعتاق العبد فيه إعتاق له من الرق وقطع التميمة منه فيه إعتاق له من الشرك ففكه من النار .

وفي أثر ابن جبير: إزالة المنكر باليد لمن كان قادرا عليه وإلا فباللسان وإلا فبالقلب .

المسألة الرابعة: أشار المنصف رحمه الله إلى تعليق التمائم إذا كان ما كتب فيها من القرآن، ونقل في المسألة قولان لأهل العلم فقال: **لكن إذا كان المعلق من القران فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود** ﷺ.

وعلى هذا ففي المسألة قولان:

القول الأول : أن وضع التمائم من آيات القرآن جائز، وليس من التمائم المحرمة وهذا قال به جماعة، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وابن المسيب وابن عبد البر والقرطبي وهو رواية عن احمد .

وحجة هذا القول : عموم قوله (**ونترل من القران ما هو شفاء**) وهذه التمائم التي فيها القران هي كالرقية بالقران.

وأما الأحاديث الواردة في النهى عن التمائم فحملوها على التمائم من غير القران والشركية .

القول الثاني : أنه محرم ولا يجوز، ولا فرق في ذلك بين كونها من القران أو من غيره. وهذا قال به جمع من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس وحذيفة وغيرهم وهورواية عن أحمد، وهو قول أكثر العلماء، ومنهم النخعي، وابن العربي وصاحب فتح المجيد وصاحب التيسير، والسعدي، والحكمي، والألباني وابن باز والعثيمين والفوزان وغيرهم .

وذكر بعضهم لترجيح هذا القول عدة أوجه:

١- عموم النهى : ولا مخصص للعموم .

٢- سدا للذريعة : فإنه يفضى إلى تعليق ما ليس كذلك .

٣- أنه إذا علق فلابد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء وغير ذلك ا.هـــ. فتح المجيد ٢٤٤/١

٤- أن النبي ﷺ قد كان يرقي ورقى، فلو كان تعليق تمائم القران جائزا لأمر به، قال صاحب الحاشية (٨٦): وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ما يدل على إجازة تعليق شيء من القران، ولا ثبت عن أحد من الصحابة المقتدى بهم تجويزه ولا فعله مع توفر الدواعي إليه وما ذاك إلا لأنه ينافى التوكل والإخلاص ولعل عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يعلقه في الألواح لا أنه تميمة ا.هـــ.

* وقد نقل المصنف عن إبراهيم النخعي قوله "كانوا يكرهون التمائم كلها من القران وغير القران".

ويقصد بالذين يكرهون: أصحاب ابن مسعود وهم قرناء إبراهيم، كعلقمة والأسود وأبي وائل ومسروق والربيع بن خثيم وغيرهم وعبيدة السلماني، وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم.

والمراد بالكراهة هنا كراهة التحريم لأن الكراهة عند السلف يريدون بها التحريم وتقدم أن التمائم محرمة، أما من غير القران فبالإجماع، وأما من القران فكذلك أيضا كما تقدم .

باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما

وقول الله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى) الآيات.

عن أبي واقد الليثي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: (الله أكبر! إنها السنن، قلتم ــ والذي نفسي بيده ــ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون) (لتركبن سنن من كان قبلكم)رواه الترمذي وصححه.

عقد المصنف هذا الباب في ما يتعلق بالبركة والتبرك، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: أراد رحمه الله بهذا الباب بيان حكم من تبرك بالأشجار والأحجار ونحوها من القبور والبقع وغيرها، وبيان أنها من الشرك وأفعال المشركين

و**البركة** لغة النماء والزيادة . وقيل : كثرة الخير وثبوته .

و**التبرك** : طلب البركة والخير من الغير، يقال باركه الله وبارك فيه وبارك عليك وبارك له، قاله ابن القيم. جلاء الافهام ٣٤٧

وأما مناسبة الباب لما قبله : فإن هذا الباب مكمل للأبواب قبله لأن ما قبله في لبس الحلقة وفي التمائم وتعليقها وأنها من الشرك، فبين هنا أن من الشرك التبرك بالأشجار ونحوها لما فيها كلها من الاعتقاد بغير الله أنه ينفع ويضر ومعلوم أن الذي يقدر على جلب النفع ودفع الضر هو الله.

المسألة الثانية: ذكر بعض أهل العلم في باب التبرك ضوابط مهمة ينبغي التنبه لها :

١/ **أن البركة لا تثبت في شيء من الأشياء إلا بدليل شرعي:** لأن الأصل النفي لها وعدم ثبوتها، وهى أمر توقيفي لا اجتهادي .

٢/ أن ما يتبرك به من الأعيان والأقوال والأفعال والأزمان التي تثبت فيها البركة بطريق الشرع إنما هي سبب للبركة وليست هي واهبة لها .

مثاله : ماء زمزم سبب للبركة وليس واهبا للبركة بذاته، ومثله بقية الأمور المباركة من مطعوم وموطن وزمان وغيره.

٣/ **اعلم أن التبرك قسمان** : ا- مشروع . ب- ممنوع .

أما **التبرك المشروع** فتحته أنواع :

١- التبرك بذات النبي ﷺ وعرقه وثيابه فهذه لا تكون إلا للنبي ﷺ وهى منقطعة بوفاته.

٢- التبرك بالأقوال : كقراءة القران وقراءة البقرة، وقد رود فيها " أخذها بركة ".

٣- التبرك بالأفعال : كالسحور ففيه بركة والاجتماع على الطعام يباركه الله .

٤- التبرك بالأمكنة : بالمساجد عموما والمساجد الثلاثة الحرام والمدينة والأقصى

والتبرك بالمساجد يكون : بالإكثار من العبادة فيها والصلوات ونحوه، ولا يكون بالتمسح بترابها وجدرانها ونحو ذلك لان التبرك عبادة ويشترط فيها المتابعة .

٥- التبرك بالأزمنة كليلة القدر " إنا أنزلناه فى ليلة القدر " ويوم الجمعة وشهر رمضان وعرفة وعشر ذي الحجة

والتبرك يكون بالاجتهاد بالعبادات والقربات .

٦- التبرك بالأطعمة : كماء زمزم " إنها مباركة " والحبة السوداء والعسل واللبن .

وأما **التبرك الممنوع** فتحته أنواع :

ا- التبرك بالأمكنة المباركة على غير ما ورد في الشرع : كتقبيل جدران الكعبة والتمسح بها وبتربة المسجد أو بمقام إبراهيم ونحو ذلك

٢- التبرك بالقبور والدعاء عندها للتبرك بها .

٣- التبرك بمقامات الأنبياء : كغار ثور وحراء أو الطور الذي كلم الله فيه موسى ونحوها والسفر إليها والتعبد عندها وكذلك الأمكنة التي صلى فيها النبي ﷺ فلا يشرع موافقته فيها لأنها لم تقع منه تقصدا .

٤- التبرك بأزمنة معينة : كمولد النبي ﷺ والإسراء والمعراج ويوم بدر وفتح مكة بنوع من التعظيم والعبادة .

٥- التبرك بذوات الصالحين وآثارهم : فهذا لم يشرع ولم يؤثر عن احد وعلى هذا : فقد ذكر بعض أهل العلم أن التبرك بآثار الصالحين والتمسح بهم وبثيابهم وحمل المولود لهم ليحنكوه ونحو ذلك قياسا على النبي ﷺ خطأ من عدة أوجه :

١- عدم المقاربة فضلا عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة .

٢- عدم تحقق الصلاح فانه لا يتحقق الصلاح إلا بصلاح القلب وهذا لا يطلع عليه .

٣- أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي لا في حياته ولا بعد موته ولو كان خيرا لسبقونا إليه " التيسير ١٤٣ " .

* **فإن قال قائل** حديث عتبان بن مالك في الصحيحين لما دعى النبي ﷺ إلى منزله ليصلى فيه فيتخذه مصلى فجاء النبي ﷺ فصلى في بيته أليس فيه دليل على جواز التبرك بآثار الصالحين :

= الجواب من أوجه :

ا- لم يقصد عتبان أن يتبرك بموضع صلاة النبي ﷺ وإنما قصد أن يقره الرسول ﷺ على الصلاة جماعة في داره عند عدم استطاعته حضور الجماعة .

ب- لو كان القصد التبرك بموضع صلاة النبي ﷺ لبقى هذا الموضع يتبرك به الورثة فمن بعدهم كما نقل عن بعض الصحابة في تبركهم بشعر النبي ﷺ وقدحه.

المسألة الثالثة: يقرر أهل العلم أن التبرك بالأشياء المحرمة كذوات الصالحين أو المواضع التي لم يثبت فيها شيء، ونحو ذلك، أن هذا محرم وأنه من الشرك.

ثم يقولون:

يكون شركا اصغر : إن اعتقد انه سبب للبركة والتمسها منه .

ويكون شركا اكبر : إن اعتقد أن منه البركة كما أنها من الله.

المسألة الرابعة: استدل المصنف في الباب بقوله تعالى (**أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأنثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى**).

والمعنى : أن الله يقول للمشركين الذين يعبدون الأصنام -وفي مقدمتها هذه الأصنام الثلاثة المشهورة- هل نفعتكم هذه الأصنام بشيء، هل دفعت عنكم الضر هل جلبت لكم من الرزق والنفع شيئا، ومعلوم أنهم لا يقدرون على الجواب .

قال القرطبي في معنى الآية :

اللات : بتخفيف التاء وهى قراءة ابن عباس . وقرئت بتشديد التاء : قرأ بها ابن عباس والزبير ومجاهد وغيرهم .

أما على القراءة الأولى : فقال الأعمش : سموا اللات من الإله والعزى من العزيز ا.ه.

فقد اشتقوها من اسم الله، قال ابن كثير: كانت صخرة بيضاء يتبركون بها ويطلبون قضاء الحوائج وكانت لأهل الطائف وكانوا يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ا.ه.

ولم تزل موجودة حتى أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار وذلك في السنة الثامنة وعلى هذا يكون علاقة الآية بالباب من جهة **التبرك بالأحجار** .

وأما على القراءة الثانية : فقد قال ابن عباس : كان رجلا يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره .

ومعنى اللت : أن ياتى بالسويق ويجعل فيه السمن فيطعمه الحجاج، وعلى هذا فيكون من باب **التبرك بالأموات**، وهو من شرك القبور .

قال سليمان بن عبد الله: ولا تخالف بين القولي،ن فإن من قال أنها صخرة لم ينف أن تكون صخرة على القبر أو حواليه فعظمت وعبدت تبعا لا قصدا، فالعبادة إنما أراد بها صاحب القبر، إلى أن قال رحمه الله : فتأمل فعل المشركين مع هذا الوثن، ووازن بينه وبين بناء القباب على القبور، والعكوف عندها ودعائها وجعلها ملاذا عند الشدائد.

التيسير١٣٧ .

وأما **العزى** : فتقدم قول الأعمش أنها من اسم الله (العزيز) .
قال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأشياء بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش تعظمها ا.ه. ولذلك قال أبو سفيان يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم . ولما فتح النبي ﷺ مكة أرسل خالد بن الوليد فأتاها فقطع السمرات الثلاثة التي عندها وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال ارجع فانك لم تصنع شيئا فرجع خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها امتنعوا في الجبل وهم يقولون : يا عزى يا عزى فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها ، فعلاها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فاخبره فقال تلك العزى .
وهذا : لان الواقع أن المشركين ليست عبادتهم لهذه الأصنام وإنما عبادتهم للشياطين فهي التي تدعوهم إلى عبادتها وهى التي تكلمهم أحيانا ويظنون أن الصنم هو الذي يتكلم أو أن الميت هو الذي يتكلم. إعانة المستفيد ١٥٨/١ .

وأما **مناة** فاختلف في اشتقاقها :
١- فقيل من اسم الله المنان .
٢- وقيل : سميت مناة لكثرة ما يمنى : أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها .
ومناة : كان موضعها بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت للاوس والخزرج وكانوا يهلون منها للحج ، فلما فتح النبي ﷺ مكة أرسل على بن أبى طالب إليها فهدمها .

وقوله: الأخرى : أي المتأخرة وضيعة القدر .
وإنما خصت هذه الثلاثة : لأنها أشهر الأصنام عند العرب وأعظمها فبين الله لهم أنها لم تنفعهم و لم تضرهم هذه الأصنام .

وقوله (الكم الذكر وله الأنثى) : استفهام إنكاري للمشركين الذين إذا جاء أحدهم ولد ذكر استبشر، وإذا جاءه أنثى ظل وجهه مسودا، ومع ذلك يقولون الملائكة بنات الله .

وقيل : يجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموها لله شركاء ومن شأنكم أن تحقروا الإناث وتستنكفون أن يولدن لكم أو ينسبون إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسموهم آلهة .

قال صاحب التيسير : ما أقرب هذا القول إلى سياق الآية .

وقوله (تلك إذا قسمة ضيزى): أي جائرة باطلة، إذ نزهتم أنفسكم عن البنات ونسبتموها لله .

واعلم أن مستند الكفار والمشركين في عبادتهم للأصنام أمران :

١- حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم والظن لا يغنى من الحق شيئا .

٢- حظ أنفسهم في رياستهم وإتباع أهوائهم، وأضر شيء على الإنسان أن يتبع ما يهوى ويترك الهدى .

فإن قلت: ما وجه مناسبة الآية للباب :

فالجواب: أن الذين يعبدون هذه الأصنام يعتقدون أنها تنفعهم وتضرهم وهم يتبركون بها ويتقربون إليها ويذبحون لها ويدعونها، فعد الله عملهم شركا، فنأخذ من هذا : أن كل من تبرك بشجر أو قبر أو حجر أو عبد غير ذلك قاصدا بذلك جلب النفع أو دفع الضر فقد شابههم فى شركهم.

واعلم : أن الذي يفعله عباد القبور اليوم هو بعينه ما كان يفعله أصحاب الأصنام فقد ذكر ابن هشام فى السيرة : أن العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظم كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة ويطاف بها وينحر عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها لأنهم كانو يعرفون أنها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده

المسألة الخامسة: ذكر المصنف في الباب حديث أبي واقد الليثي ﷺ قال : " **خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى { اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون } لتركبن سنن من كان قبلكم** "

والحديث رواه احمد والترمذي وصححه، وصححه الألباني وغيرهم .

ومضمون الحديث: أنه لما فتح النبي ﷺ مكة خرج إلى حنين وهو وادي بين مكة والطائف وكانت غزوة حنين في السنة الثامنة في شهر شوال وقصتها معروفة، وكان معه الصحابة، ومعه قوم قريبون عهد بكفر، كما قال الصحابي، – وإنما قال هذا لكي يعتذر عن طلبهم وسؤالهم إذ أن غيرهم لا يجهل ذلك، ولو وقر الإيمان في قلوبهم لم يسالوا هذا السؤال وإنما سألوا لما بقى عندهم من بقايا الجاهلية– وكان للمشركين سدرة يعكفون عندها ويلزمون مكانها تبركا بها، وكانوا أيضا يعلقون عليها أسلحتهم بها تبركا بها .

فلما رأى هؤلاء القوم حدثاء العهد بالإسلام تلك السدرة أعجبهم عمل المشركين وظنوا أن هذا عملا سائغا فطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم شجرة مثلها يعلقون عليها ويعكفون حولها –وهم قصدوا التقرب إلى الله بهذا الأمر– فقال النبي ﷺ : **الله اكبر** : تعجبا واستعظاما له وتنزيها لله عن هذا العمل، إذ كيف يقولون هذا وهم آمنوا بأنه لا اله إلا الله ولكن : إنها السنن، والسنن: الطرق، أي أن السبب الذي أوقعكم في هذا هو التشبه، فقاس الرسول ﷺ ما قاله الصحابة على ما قاله بنو إسرائيل لموسى وطلبوه منه حيث إنه لما أن الله نجاهم واغرق فرعون وقومه مروا في طريقهم على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا " يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة "فقال موسى " إنكم قوم تجهلون " اي إن الذي أوقعكم في هذا هو جهلكم بالتوحيد، وعلى هذا فالتشبه بالكفار في عبادتهم وتقاليدهم أمر خطير .

بل إن أول ما حدث الشرك في جزيرة العرب هو بسبب التشبه بالكفار، وذلك لما ذهب عمرو بن لحى إلى الشام فوجدهم يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فجلبها إلى الحجاز .

***ومناسبة الحديث للباب ووجه الشاهد منه :**

من جهة أن النبي ﷺ أنكر على هؤلاء طلبهم التبرك بالأشجار وجعله مثل قول بني إسرائيل وطلبهم أن يكون لهم إلها، فهذا مثل هذا وإن اختلف اللفظ، فاختلاف الألفاظ لا يؤثر مع اتفاق المعنى، وحينها يقال بأن من طلب البركة من شيء و لم يثبت أن فيه بركة فإن فعله محرم ولا يجوز .

ومما يؤخذ من الحديث:

١/ أن تعظيم غير المعظم قد يوقع في الشرك، حينما يغلو المرء به.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ آلهة مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات والاستعانة بهم والذبح والنذر والطواف بقبورهم وتقبيل أعتابها وجدرانها والتمسح بها وجعل السدنة والحجاب لها ؟! وأي شبه بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركا " التيسير ١٤١".

وأهل القبور يقولون :

إن فعلهم هذا ليس بشرك وإنما هو توسل ومحبة للأولياء والصالحين فيقال لهم وان سميتموه توسلا أو محبة أو وفاء للصالحين فإنه الشرك، فالذي يتبرك بالحجر أو الشجر أو القبر فقد اتخذه إلها وإن كان يزعم أنه ليس بآله.

٢/ تكبير الله وتنزيهه وتسبيحه عند التعجب أو ذكر الشرك وكانت هذه عادة النبي ﷺ انه إذا أعجبه شيء أو استنكر شيئا فانه يسبح أو يكبر .

٣/ التحذير من اتباع طرق الكفار ومناهجهم وأفعالهم، وخطورة التشبه بهم

* والتشبه بالكفار له حالتان :

١- ما يتعلق بالشعائر الدينية : فهو كفر .
٢- ما يتعلق بالأمور الدنيوية : كالألبسة والعادات ونحوها فهو محرم لحديث " من تشبه بقوم فهو منهم ".

٤/ أن من أمة محمد ﷺ من سيتبع طرائق المشركين
* فإن قيل:كيف يقول النبي ﷺ للصحابة في جزيرة العرب لتركبن سنن من كان قبلكم "وقد قال فى الحديث "إن الشيطان ايس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ...؟
= قال العثيمين : إخبار النبي ﷺ بيأس الشيطان لا يدل على عدم الوقوع بل يجوز أن يقع على خلاف ما توقعه الشيطان، لأنه لما رأى دخول الناس في الإسلام يئس أن يعبد في الجزيرة لكن أبى الله إلا أن يكون ذلك .
ولذلك كان الناس في زمن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة فيهم المشرك وغير المشرك. المفيد بتصرف ٢١٠/١.

٥/ أن حسن المقاصد لا يغير من الحكم الشرعي شيئا فهؤلاء الصحابة قصدهم حسن ومع هذا أنكر عليهم النبي ﷺ وغضب وجعل مقالتهم مثل مقالة بني إسرائيل فدل على أن المقاصد الحسنة لا تبرر الغايات السيئة المبتكرة .

باب

ماجاء فى الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له } الآية، وقوله: { فصل لربك وانحر }

عن علي ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن ووالديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال : «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» رواه أحمد.

عقد المصنف هذا الباب (ما جاء في الذبح لغير الله)، والذبح : إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص، **والكلام على الباب في مسائل:**

المسألة الأولى: المراد بهذا الباب : أن يبين المؤلف ما جاء من الوعيد على من ذبح شيئا من البهائم قاصدا بذبحه غير الله وانه شرك اكبر، لأن الذبح عبادة من اجل العبادات وقربة من أفضل القربات المالية، وإذا كان الذبح عبادة فلا يجوز أن تصرف لغير الله وصرفها لغيره شرك .

والمؤلف نبه على هذا لانتشار عند أهل زمانه وإلى الآن .

* وتأمل في قوله في التبويب " ماجاء في الذبح ..." و لم يقل كما تقدم "من الشرك الذبح لغير الله ..." وبين اللفظين فرق:

لأن الذبح لغير الله ليس شركا على الإطلاق بل الذبح لغير الله أنواع :
١/ أن يذبح لغير الله إكراما وتقديرا وفرحا فهذا لا بأس به بل قد يكون مطلوبا أحيانا لأنه من إكرام الضيف، بقيد أن يذكر اسم الله عليه.
٢/ أن يذبح لغير الله تقربا وتعظيما فهذا شرك اكبر مخرج من الملة لان الذبح عبادة وصرفها لغيره شرك، وهو مراد المؤلف هنا.

المسألة الثانية: ذكر أهل العلم للذبح لغير الله صورا
١- ما يكون عند القبور من الذبح تقربا إليها كما يحدث الآن من التقرب إلى القبور والأصنام .
٢- ما يذبح للحم ويذكر عليه غير اسم الله .
٣- ما يذبح تعظيما لمخلوق وتحية له عند نزوله ووصوله المكان الذي يستقبل به، وهذا الذبح لا يخلو من حالتين:
ا/ أن يذبح للقادم تقربا : فهذا شرك اكبر.
ب/ أن يذبح تقربا لله عند قدومه وسروره : فهذا بدعي ومحرم .
ج/ أن يذبح كرما وضيافة . فهذا مستحب ما لم يصل إلى الإسراف والتبذير.
٤- ما يذبح للجن دفعا لأذاهم، كما لو ذبح عند نزول البيت أو غير ذلك. إعانة المستفيد ١/ ١٦٩.
وهذه الأنواع كلها شرك لكن أظهرها وأعظمها ما يذبح تقربا لمخلوق أو قبر .
وقد ذكر ابن تيمية : أن من ذبح لغير الله وقال : هذه الذبيحة لكذا أن تحريم هذا اظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه اسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحنا للحم وقلنا عليه باسم الله .

المسألة الثالثة: ما حكم أكل الذبيحة التي ذبحت لغير الله ؟

= لاشك أنه لا يجوز لأنها أهل بها لغير الله بها وقد قال الله (حرمت عليكم الميتة ....وما أهل به لغير الله به).

قال النووي : لا تحل هذه الذبيحة سواء أكان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله، والعبادة له، كان ذلك كفرا فإن كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا.

المسألة الرابعة: ذكر المصنف في الباب آيتين وحديثين:

أما الآية الأولى فهي قال تعالى "**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** "

أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره، ولكل من بعدهم إلى قيام الساعة.

(إن صلاتي) : والصلاة لغة : الدعاء . وفي الشرع : العبادة المبتدئة بالتكبير والمختتمة بالتسليم . وهى عبادة تشتمل على عبادات قلبية كالخشوع والخشية . وقوليه : كالتكبير والتحميد والقران . وعملية : كالركوع والسجود .

(ونسكي) : اي ذبحي، والمراد : ما يذبح من بهيمة الأنعام على وجه التقرب والعبادة .

وقال الزجاج : النسك كل ما تقرب به إلى الله .إلا أن الغالب عليه أمر الذبح ا.ه.

ومحياي : أي ما أحيا عليه في عمري من العبادة كلها لله خالصا .

ومماتي : أي ما أموت عليه، أي أحيا وأموت على التوحيد.

وقيل المراد : التصرف في أموري وتدبيري أمري حيا وميتا لله " المفيد ٢١٩/١" ولعل الأول اظهر.

فكل هذه الأمور لا تكون إلا لله، وغيره لا يستحق أن يصرف له شيئا من هذه الأمور لأن كل المخلوقات مربوبة لله وهو خالقها فلا يستحق هذا إلا الله .

وبذلك أمرت : أي بذلك الإخلاص في العبادة أمرني الله .

وأنا أول المسلمين : أي أول المسلمين من هذه الأمة قاله قتادة،لان إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته، والأنبياء كانت دعوتهم للإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

* وفي قرن الصلاة بالنسك في الآية فائدة وهى:
بيان فضل النسك لله، وانه عبادة عظيمة قال شيخ الإسلام : أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته وأمره وفضله وخلفه عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر وتركا لإعانة الفقراء وإعطائهم وسوء الظن منهم بربهم ولهذا جمع الله بينهما. مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٣١)
* ومناسبة الآية للباب والشاهد منها :
من جهة أن الذبح لا يكون إلا خالصا لله، وبذلك أمر الله نبيه محمدا ﷺ، وصرفه لغير الله مخالفة لأمر الله وأمر رسوله ووقوع في الشرك.

وأما الآية الثانية فهي قوله (**فصل لربك وأنحر**)
وهذا أمر من الله لنبيه أن يخلص الصلاة لله ويخلص له النحر سبحانه .
والمعنى : أن الله لما امتن على محمد ﷺ بإعطائه الكوثر أمره أن يشكر هذه النعمة العظيمة بأن يصلى له والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة شرعا، وبأن يذبح وينحر له سبحانه.
قال صاحب التيسير في معنى الآية : فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وأنحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لهم في النحر للأوثان انتهى وهذا هو الصحيح في تفسيرها.ا.ه."التيسير ١٤٥".
* ومناسبة الآية للباب :
قرن الله في الآية الذبح بالصلاة وأمر الله بصرفهما كليهما لله فدل على ان الذبح عبادة عظيمة لا تصرف إلا لله .

وأما الأحاديث فأولها حديث علي ﷺ قال " **حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض**" رواه مسلم .

وقوله (**بأربع كلمات**) : أي بأربع جمل، وقد ذكر ابن تيمية انه لا تطلق الكلمة في اللغة العربية إلا على الجملة المفيدة ا.هـ كقوله (كلا إنها كلمة هو قائلها) ويطلق على الخطبة كلمة، و كلمة التوحيد لا اله إلا الله .

وقوله (**لعن الله**) : اللعن : الطرد والإبعاد من رحمة الله ، والمراد به إذا أضيف من المخلوق لله : اللهم أبعده واطرده عن رحمتك .

وقوله (**من ذبح**) من ذبح : عام يشمل ذبح أي شاء سواء بقرة أو شاة أو غيرها .

وقوله (**لغير الله**) : يشمل كل ما ذبح لغير الله من ولى أو جني أو صنم أو غيره.

وقوله (**لعن الله من لعن والديه**) : الوالدان هما الأب والأم وإن علو، وكلما قرب كان اشد لأنه أولى بالبر.

واعلم أن لعن الوالدين له حالتان :

١- مباشرة لعنهما وسبهما : فهذا لا شك انه محرم فالله قال" ولاتقل لهما أف "فما بالك باللعن والشتم .

٢- أن يتسبب في لعن والديه : بأن يلعن والدي رجل آخر ثم يرد عليه ذلك بالمثل، فيكون متسببا في لعن والديه، وقد ورد عن عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعا " إن من الكبائر أن يشتم الرجل والديه قالوا وكيف يشتم الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه يسب أمه "متفق عليه، ولكن المباشرة اشد من التسبب .

وقوله (**لعن الله من أوى محدثا**) المحدث : بكسر الدال . وهذا يشمل ١- الإحداث فى الدين كأن يؤوى مبتدعا. ٢- والإحداث في شئون الأمة، والإيواء: الحماية والدفاع عنه، كأن يؤوى مجرما يستحق إقامة الحد فيحول بينه وبين الناس بجاهه أو قوته أو جنوده و سلطانه.

والحديث يعم المعنيين، وكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم.

* وقد ورد في بعض الروايات "محدثا "بفتح الدال، والمحدث : البدعة ، ويكون إيوائها بالرضى بها والصبر فإذا رضي بالبدعة واقر عليها فاعلها و لم ينكر عليه فقد أواها، إلا أن ضبطها بكسر الدال أولى.

وقوله (**لعن الله من غير منار الأرض**) : منار الأرض جمع منارة، واختلف في معناها على أقوال :

١- وهو اقرب الأقوال أن المراد به : المراسيم والعلامات التي تفرق بين الجدران . وتغييرها : بأن يقدمها أو يؤخرها ظلما ليزيد في مسافة أرضه، ومن اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه من سبع أراضين " ورد هذا في الحديث الصحيح.

٢- وقيل : المراد بها : العلامات التي كانت على الطرق معروفة لتوضحه وتبينه، وقد يدخل فيها في عصرنا العلامات التي تضعها المواصلات في الطرق فيأتي من يغيرها ليضل الناس .

*** ومناسبة الحديث للباب والشاهد منه :**

أن النبي ﷺ لعن من ذبح لغير الله وهذا يدل على شدة الأمر إذ لا يلعن إلا على أمر عظيم وهذا عام – كما سبق- في كل من ذبح لغير الله سواء أكان في نيته التقرب للمذبوح أو لدفع شره أو طلب الخير من المذبوح، فهذا كله شرك اكبر، وسواء تلفظ بالنية بأن قال هي لكذا أو نوى ذلك بقلبه .

* وفي هذا الحديث لعن النبي ﷺ أنواعا من الفساق، ولعن الفاسق له حالتان :

ا- **لعن على العموم** : كهذا الحديث وقد ورد أن النبي ﷺ لعن أنواعا كثيرة من الفساق بعمومهم، كآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، ولعن في الخمر عشرة، والواصلة والمستوصلة وغيره كثير فهذا جائز بلا إشكال، كما لو قال رجل لعن الله أكل الربا فيجوز.

ب- **لعن الفاسق المعين** : فالذي عليه أكثر العلماء واختاره بن تيمية انه لا يجوز لعن الفاسق المعين، وإنما يلعن من اتصف بهذا الوصف، فلو رأيت من يشرب الخمر فليس لك أن تقول: لعنك الله بل تقول لعن الله شارب الخمر.

ويدل لذلك : أن النبي ﷺ لعن شارب الخمر، ولما أتى بأحد الصحابة يشرب الخمر قال رجل من الصحابة " لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به " قال ﷺ" لا تلعنه فما علمت أنه يحب الله ورسوله"

وقد كان الإمام احمد يكره لعن المعين كالحجاج ويزيد بن معاوية ويقول " ألا لعنة الله على الظالمين ".

وأما الحديث الثاني فهو حديث طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال " **دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا فقالوا لأحدهما قرب قال ما عندي شيء قالوا قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب قال ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز و جل فضربوا عنقه فدخل الجنة**".

وهذا الحديث عزاه المصنف لأحمد، وليس هو في المسند، وإنما هو عند أحمد في الزهد.

وقد رواه طارق بن شهاب وهو صحابي على الصحيح وقول الأكثر، وقد قال عن نفسه : رأيت النبي ﷺ وغزوت في خلافة أبي بكر، ومات سنة٨٣ هـــ.

ولكن اتفق العلماء على أنه لم يسمع من النبي ﷺ فيكون حديثه من قبيل مرسل الصحابي ومرسل الصحابي حجة مقبول لأنه غالبا لا يرسل إلا عن صحابي مثله.

إلا أن الحديث أعله بعض العلماء بعلتين وهى :

١- أن الحديث رواه الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق، والأعمش مدلس وقد عنعن، والأكثر على أن المدلس المكثر إذا عنعن فلا يقبل حديثه .

ولكن يرد على هذا أنه ليس كل مدلس يرد حديثه، وقد ورد الحديث من غير طريق الأعمش، وتدليس الأعمش للعلماء فيه كلام كثير ليس هذا موطنه.

٢- أن الحديث رواه أحمد عن طارق عن سلمان الفارسي موقوفا وهو المحفوظ، فيحتمل أن سلمان أخذه من أهل الكتاب لأنه كان نصرانيا فاسلم.

ولأجل هذا فقد ضعف بعض أهل العلم الحديث، ومنهم الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٥٨٢٩)

ومضمون الحديث: أن هذين الرجلين مرا على صنم لا يتجاوزه ويمر عليه احد حتى يقرب له شيئا تعظيما له، فقيل للرجلين قربا، فامتنع الأول، واعتذر الآخر بأنه ليس عنده ما يقربه، وحينها عرفوا موافقته بالذبح لهذا المعظم فرضوا منه بأيسر شيء لان قصدهم موافقتهم على ما هم عليه من الشرك، فقرب ذبابا ولو وجد بدنة لقربها، فلما قرب الذباب استوجب دخول النار لأنه قصد بهذا الذبح غير الله والعبرة بالنية وعمل القلب.

وقد اختلف أهل العلم في الحديث على رأيين:

الرأي الأول: من يرى ضعف الحديث، ويعله بما سبق، ثم إنهم يستنكرونه بأن الرجل في الحديث لا يخلو حاله من أمرين :

١/ أنه لما قدم الذباب للصنم ، إنما قدمه عبادة له وتعظيما ، فهو في هذه الحالة لا يكون مسلما ؛ بل هو مشرك

٢/ أنه فعل ذلك خوفا من القتل، وهو في هذه الحالة لا تجب له النار ، وحينها فالحكم عليه بأنه مسلم دخل النار في ذباب يأباه قوله تعالى : (من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . . .) الآية ، وقد نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر به ﷺ، فوافقهم على ذلك مكرها ، وجاء معتذرا إلى النبي ﷺ.

ذكر هذا الألباني رحمه الله . السلسة الضعيفة للألباني (١٢ / ٧١٧)

الرأي الثاني: من يرى صحة الحديث، ويجيب عن الإشكال الذي أورده أصحاب الرأي الأول - وأن الرجل إما أن يكون مكره أو هو مشرك في الحق- بقولهم:

إن الذي يظهر انه غير مكره لأنه اعتذر بأنه لم يجد ما يذبحه ويقربه ولو كان مكرها لم يعاقب ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان لقوله (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله) وعلى هذا فإذا اكره الإنسان على الكفر فلا يخلو من حالات ثلاث :

١- أن يوافق ظاهرا وباطنا فلا يجوز وهو ردة.

ب- أن يوافق ظاهرا لا باطنا بقصد التخلص من الإكراه فيجوز .

ج- أن لا يوافق ظاهرا ولا باطنا ويناله العقاب فهذا جائز حتى لو كان العقاب قتلا .

* وهل الأفضل أن يوافق ظاهرا أو يصبر ولا يوافق ؟

هذا راجع للشخص فان كان في موافقته ضرر على الإسلام فيجب الصبر كما فعل الصحابة أول الأمر والإمام احمد في المحنة وان لم يكن ضرر على الدين فلا باس لاسيما إن كان في بقائه مصلحة للناس كعالم إذا لم يتضرر الناس بمتابعته على ما اقر به ظاهرا. المفيد ١/٢٢٩.

والحديث وإن كان الأقرب ضعفه، إلا أن ذلك لا يغير من الحكم شيئا فالنهي عن الذبح لغير الله، وكون الذابح مشرك، وردت فيه أدلة أخرى غير هذا الحديث .

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: (لا تقم فيه أبدا) الآية

عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأله النبي ﷺ فقال: (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد)؟ قالوا: لا. قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم)؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ (أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم) رواه أبو داود، وإسنادها على شرطهما.

عقد المصنف هذا الباب (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) والكلام عليه في عدة مسائل

المسألة الأولى : المراد بالترجمة

أراد بالترجمة وبهذا الباب أن يبين ما يدل على أن المسلم لا يجوز أن يذبح لله أو يتعبد لله بأي عبادة في زمان أو في مكان قد اتخذه المشركون لعبادتهم .

أما المكان : فكما في هذا الحديث وكما عند القبور ، وأما في الزمان فكما في يوم المولد النبوي، وغير ذلك من الأزمان التي يجعل البعض من الناس فيها عبادات لم يرد في الشرع الأمر بها .

ومناسبة الباب لما قبله: من جهة أن الذبح لغير الله شرك أكبر، فنفس الفعل لغير الله، بينما هنا الذبح لله لكن المكان يذبح فيه لغير الله فالأول من باب الشرك الأكبر، فناسب ذكره بعده.

ثم إنه ربما دعوت شخصا رأيته يذبح عند قبر أو غيره فأخبرته أن الذبح لغير الله شرك فربما عارضك بأنه يذبح لله، فأراد المؤلف أن يبين أنه حتى ولو كان لله فما دام انه موضع يتعبد به لغير الله فينهى عنه.

المسألة الثانية : الحكمة من الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله .

قد يستنبط من النهي عن ذلك عدة أمور

١- انه وسيلة إلى الشرك على مرور الأزمان، فسدا للذريعة نهينا عن مشاركتهم .

٢- انه فيه تشبه بالكفار، وموافقة المشركين الظاهرة تدعوا إلى الموافقة الباطنة، وربما اعتقد - مع مرور الوقت- أن الذبح في هذا المكان أفضل من غيره .

٣- أنه يؤدى إلى أن يغتر بك من رآك على هذا الفعل فاعتقد انك تذبح كما يذبح المشركون لغير الله .

٤- انه فيه تقوية للمشركين على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم .

المسألة الثالثة : نصوص الباب :

ذكر المصنف في الباب آية وحديث .

أما **الآية** فيه : وقول الله تعالى (**لا تقم فيه أبدا**)

والضمير في الآية يعود إلى مسجد الضرار، وقصته : أن أبا عامر الفاسق كان قد قرأ الكتب السابقة في الجاهلية وتعبد حتى صار يسمى أبو عامر الراهب، وكان يعظمه الناس لما يظهر عليه من الدين، فلما هاجر النبي إلى المدينة حسده أبو عمرو وكفر به وابغضه وسماه رسول الله ﷺ أبو عامر الفاسق لأنه خرج عن طاعة الله وكفر بالرسول، ثم انه ذهب إلى الشام يؤلب النصارى على رسول الله، وكتب وهو في الشام إلى جماعة من المنافقين في المدينة أن ابنوا لنا مكانا من اجل أن نجتمع فيه ونتشاور وهم يريدون بهذا المكان كما قال تعالى ١- مضارة مسجد قباء.

٢- الكفر بالله لأنه يقرر فيه الكفر والذين اتخذه المنافقون.

٣- التفريق بين المؤمنين .

٤- يكون إرصادا لمن حارب الله ورسوله .

فأظهروه بصورة المسجد وقالوا بنيناه من اجل الضعيف والمريض والليلة المطيرة والشاتية وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلى فيه لكي يعطوه الصبغة الشرعية فدعوهم وقال أنا على سفر إلى تبوك إن شاء الله إذا رجعنا نصلى فيه فلما رجع و لم يبق على وصوله للمدينة إلا

ليلة أو ليلتان أتاه الوحي من السماء بهذه الآيات، وقال له فيها : لا تقم فيه أبدا، ففيها تيئيس للمنافقين انه لن يقوم أبدا .

* ووجه الدلالة من الآية ومناسبتها للباب :

أن الله منع رسوله من الصلاة في مسجد الضرار لأنه مؤسس المقاصد خبيثة مع أن صلاة النبي فيه لله فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيه الموحد لله لأنها أسست على معصية الله والشرك به فكل مكان يعصى الله ويشرك به فيه فان الإنسان لا يقوم فيه.

وأما **الحديث**: فعن ثابت بن الضحاك قال "**نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا لا فقال رسول الله ﷺ أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**" رواه أبو داود وإسناده على شرطهما

أما **تخريج الحديث**: فإن الحديث رواه أبو داود وغيرهم، قال ابن حجر : صحيح الإسناد، وقال ابن عبد الهادي : حسن صحيح، وقال ابن تيمية في الاقتضاء : أصل هذا الحديث في الصحيحين وهذا إسناد على شرطهما ورجال إسناده كلهم ثقات مشاهير وهو متصل بلا عنعنة ، وصححه ابن الملقن . البدر المنير (٩ / ٥١٨) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٤٩٠) الصارم المنكي (٣٠٩) توضيح الأحكام ١٤٢/٧

وله شاهد من حديث ابن عباس عند ابن ماجه بسند حسن، ومن حديث ميمونة بنت كردم عن أبيها عند أحمد.

وأما **ألفاظ الحديث** : فقوله (بوانة) : بضم الباء هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر الأحمر .

وقوله (وثن) : الوثن : كل ما عبد من دون الله من حجر أو قبر أو غيره.

وأما العيد : فهو اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحوه، قاله بن تيمية.

وأما **الجاهلية** : فالمراد بها ما كان قبل الرسالة والإسلام، وهذه زالت ببعثة النبي ﷺ لكن قد يبقى أشياء منها في بعض الناس، كما في أربع في امتي من أمر الجاهلية، أما الجاهلية العامة فقد زالت بالبعثة.

وقوله (**ولا فيما لا يملك بن ادم**) : يدخل فيه أمران ١- ما لا يملك فعله شرعا : كما لو نذر إعتاق عبد فلان أو تزوج زوجة فلان .

٢- ما لا يملك فعله حسا : كما لو نذر أن يطير في الهواء ونحوه مما يستحيل .

ومعنى الحديث : أن هذا الرجل أتى النبي ﷺ يسأله في نذر نذره على نفسه أن ينحر إبلا فى بوانة فأراد النبي ﷺ أن يسأله لماذا خصص هذا الموضع هل كان فيه وثن لأهل الجاهلية ولو قبل مدة أو فيها عيد فاعتادوا أن يأتوا هذا المكان ويتخذونه عيدا ولو لم يكن فيه وثن، وفي حديث ابن عباس أنه ﷺ قال له (في نفسك شيء من أمر الجاهلية ؟) فلما أجابه بالنفي، وتيقن النبي ﷺ من سلامة المكان من أمور الشرك ووسائله وشوائبه أذن له بالوفاء بنذره فيه .

*** ووجه الشاهد من الحديث ومناسبته للباب :**

استفصال النبي ﷺمن هذا الرجل يدل على انه لو كان في البقعة مكانا لعيدهم أو وثنا من أوثانهم فإن هذا مانع من الذبح فيها وإلا لما حسن الاستفصال .

فيؤخذ منه المنع من الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله .

المسألة الرابعة : كيف نجيب عن فعل الصحابة حين صلوا في الكنيسة كابن عمر وغيره فهم تعبدوا لله في مكان يتعبد فيه لغير الله ؟

= الجواب على هذا الإيراد من وجوه

١- أن الصلاة تخالف صلاة أهل الكنيسة فلا يكون الإنسان متشبها بهم فى العمل فهم لهم صلاة من نوع يخالف صلاة المسلمين بخلاف الذبح فى مكان يذبح لغير الله فيه فالفعل واحد بنوعه وجنسه .المفيد ١/ ٢٤١

٢- أن الكنيسة مكان لعبادة الله، وجنس العبادة متفق عليها ولكن اختلفت صفتها، بخلاف الحديث عن الذبح فهم يتقربون لغير الله .
٣- ربما يقال : أنهم مضطرون لذلك عند مرورهم بها فى أسفارهم، ذكر ذلك ابن باز.

المسألة الخامسة: ورد في الحديث الإشارة إلى الوفاء بالنذر، واعلم أن النذر من حيث وجوب الوفاء به أقسام :
١/ نذر الطاعة : يجب الوفاء به لحديث " من نذر أن يطيع الله فليطعه " رواه البخارى عن عائشة .
٢/ نذر المعصية : يحرم الوفاء به لحديث ط ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه " رواه البخارى عن عائشة، وحديث الباب .

*وهل فيه كفارة أو لا ؟
= يرى بعض أهل العلم أنه لا كفارة فيه.
لكم المذهب :أن فيه الكفارة لحديث عائشة " لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين " أخرجه أصحاب السنن وهو معلول لكن له شواهد.
٣/ نذر المكروه : يكره الوفاء به .

* والخلاصة في الباب :
أن كل موطن وكل زمان اتخذه المشركون لعبادتهم وشركهم فان الإنسان لا يجوز أن يتعبد فيه لله بل يتعبد في غيره من الأماكن لما تقدم من الحكم .

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: (يوفون بالنذر) وقوله: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه)

وفي الصحيح عن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺقال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه).

هذا الباب الذي عقده المصنف الكلام هو باب (من الشرك النذر لغير الله)

والنذر لغة : الإيجاب والإلزام

واصطلاحا : إلزام المكلف نفسه لله شيئا لم يجب عليه بأصل الشرع .

والكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مراد المصنف بالباب ومناسبة الباب لكتاب التوحيد

بين المصنف في الباب الأدلة على أن النذر عبادة، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك اكبر ينافى التوحيد ، ومعلوم أن ضابط الشرك الأكبر : أن يصرف العبد نوعا من أنواع العبادة لغير الله، وبهذا يتبين ارتباط الباب بالتوحيد، فهو من جهة أن النذر لغير الله شرك، وهو منا في التوحيد.

* فإن قيل: كيف صار النذر لغير الله شركا أكبر :

= من عدة أوجه

١- انه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق .

٢- أن المنذور له ميت غالبا والميت لايملك .

٣- أنه ما نذر له إلا لأنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور من دون الله واعتقاد هذا كفر ولهذا قال الفقهاء : خمسة لغير الله شرك : الركوع والسجود والنذر والذبح واليمين.

المسألة الثانية: الفرق بين النذر لغير الله ونذر المعصية :

النذر لغير الله ليس لله أصلا، بل لغيره كأن يقول: علي نذر للولي فلان وهذا شرك اكبر .

أما نذر المعصية : فهو لله لكنه نذر على معصية كأن يقول لله على نذر أن اشرب الخمر .

ونذر المعصية محرم، لكن أشد منه النذر لغير الله، ونظيره الحلف، فالحلف بغير الله – وإن كان المرء صادقا فيما حلف به- أشنع جرما بلا شك من أن يحلف بالله وهو كاذب، ولذا قال ابن مسعود ﷺ "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق"

المسألة الثالثة : من صور النذر لغير الله

١- من ينذر للقبور كمن ينذر الزيت والشموع عندها للقبر وهذا يحصل بكثرة . باعتقادهم أن هذا النذر لهذا الولي ينفع

٢- ما يفعله بعضهم بأن يأتي إلى القبر ويقوا يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك كذا من الذهب أو من الطعام أو الماء أو الزيت ونحوه .

٣- النذر للجن : كما لو قال : إن رددتم إلى مالي فلكم علي نذر كذا من الطعام أو نحوه أو من الأعمال المحرمة .

والجامع في ذلك أنه نذر صرف لغير الله.

المسألة الرابعة : نصوص الباب : ذكر المصنف في الباب آيتان وحديث .

أما الآية الأولى فهي قوله تعالى (**يوفون بالنذر)**

والمعنى : أن الله مدح الأبرار بأنهم يوفون بالنذر إذا نذروا، وهذا يقتضى أنه عبادة حيث أن الله مدحهم، ولا يمدح الله إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم، ولا يمدح على الفعل المباح المجرد .

وبهذا يتبين مناسبة الآية للباب :

فكون الله تعالى يثني على هؤلاء الأبرار، ويجعل هذا الفعل سبب لدخولهم الجنة يدل على أن النذر عبادة، فصرفها لغيره شرك .

وأما الآية الثانية فقوله تعالى (**وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه**)
والمعنى : أن الله يخبر أنه يعلم جميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفى الجزاء للعاملين ابتغاء وجهه، إذ أن تعليق الشيء بعلم الله دليل على أنه محل جزاء منه سبحانه.
ووجه الدلالة من الآية ومناسبتها للباب: من وجهين
١- أن الله قرن النذر بالنفقة في سبيل الله فدل على أن النذر طاعة وعبادة .
٢- قوله " فإن الله يعلمه " وهذا من باب الحث على النفقة وعلى الوفاء بالنذر فدل على انه طاعة وانه لا يضيع عند الله، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك. إعانة المستفيد ٢٥٢/١.

وأما لحديث فهو ما في الصحيح عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال " **من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه** " أخرجه البخاري وغيره .
ومعنى الحديث : أن النبي ﷺ أمر من صدر منه نذر أن ينظر في نذره فإن كان نذر طاعة فليوفي به، وإن كان نذر معصية فليترك نذره ولا يوفي به ولا يعصي الله بهذا النذر ولا يقل إني نذرت فلا ادع النذر، وقد قال ﷺ" والله لان يلج أحدكم في يمينه آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي عليه " .
ومناسبة الحديث للباب ووجه الشاهد منه :
من جهة كون النذر يكون طاعة ويكون معصية دليل على أنها عبادة وإذا كانت عبادة فصرفها لغير الله شرك .

المسألة الخامسة : كيف يكون النذر للقربة منهيا عنه ويكون عبادة في نفس الوقت يمدح الموفى به ؟

هذه المسالة من المسائل التي تكلم فيها العلماء وأحسن من تكلم فيها الشنقيطي في الأضواء "٤٦٢/٥ ".

حيث نقل كلام الأئمة ثم قال ما ملخصة: والذي يظهر ولا ينبغي العدول عنه أن نذر القربة على نوعين

١- نذر مقيد : وهو ما علق على حصول نفع : كقوله : إن شفى الله مريضي فعلي لله كذا .

٢- نذر مطلق : وهو ما ليس معلقا على نفع الناذر : كأن يتقرب إلى الله تقربا خالصا بنذر كذا من أنواع الطاعة بلا تقييد كقوله " لله على نذر أن أصلى ركعتين" وهذا ليس في مقابلة شيء يحدث له .

أما الأول فهو المنهي عنه لأنه لم يقع خالصا للتقرب إلى الله، وإنما بشرط حصول نفع الناذر .

قال ابن تيمية : من ظن انه لا تحصل له حاجة من حاجاته إلا بالنذر فإنه في اعتقاد محرم لأنه ظن أن الله لا يعطي إلا بمقابل، وهذا سوء ظن بالله وسوء اعتقاد فيه، بل هو المتفضل المنعم على خلقه .

وأما الثاني : فهو الذي فيه الترغيب والثناء على الموفين .

وإنما قلنا هذا الجمع لأمرين

١- أن نفس الأحاديث فيها قرينة واضحة دالة عليه وهو ما تكرر منها أن النذر لا يرد شيئا من القدر ولا يقدم ولا يؤخر، فهذا دليل انه أراد بالنذر جلب نفع أو دفع ضر .

٢- أن الجمع بين النصوص واجب ما أمكن، وهذا جمع ممكن واضح.

* **فإن قيل**: النذر المعلق بشرط إذا ذكرتم أنه منهي عنه فكيف يجب الوفاء به ؟

= فالجواب : أن الأحاديث دلت على النهى عنه كما هو معلوم ودلت على لزوم الوفاء به بعد الوقوع بدلالة قوله ﷺ "وإنما يستخرج به من البخيل" فهذا نص صريح أن البخيل يلزمه إخراج ما نذر على إخراجه.

وهذا الذي قاله رحمه الله فيه قوة، لكن يبقى أن في النذر المطلق إلزام النفس ما لم يجب عليها، فالأولى تركه وعدم الوقوع فيه لأنه ربما ألزم الإنسان نفسه فعجز عن ذلك.
وثمة جواب آخر، وهو أن عقد النذر كله منهي عنه، وأما ثناء الله فهو على من وفى به وفرق بين عقده والوفاء به " المفيد ١/ ٢٤٨ ".

* وخلاصة الباب :

١- أن النذر عبادة ٢- أن صرفه لغير الله من الشرك الأكبر فلا يصرف إلا لله .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)

وعن خولة بنت حكيم ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك)

رواه مسلم.

الكلام على هذا الباب في عدة مسائل :

المسألة الأولى : معنى الترجمة والمراد بها :

الاستعاذة لغة : الالتجاء والاعتصام والتحرز .

وحقيقتها : الهرب من شيء تخافه إلى شيء يعصمك منه ، ولهذا سمى المستعاذ به معاذا وملجأ، قاله صاحب التيسير ١٦٧.

وقد ذكر العلماء أن العياذ يكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلبه الخير .

أما الاستعاذة بالله : فقد عرفها ابن كثير بقوله : هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر أ.هـــ.

فالعائذ بالله قد هرب ممن يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه وفر إليه وألقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجأ إليه .

والاستعاذة بالله عباده من اجل العبادات أمر الله بها في آيات كثيرة منها" وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله"" وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين"" قل أعوذ برب الناس"" فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير".

وأما **المراد بهذه الترجمة** :

فهي : في الكلام على الاستعاذة بغير الله، وبيان أنها تكون شركا إذا كانت في أمر لا يقدر عليه إلا الله كما سيأتي تفصيله .

ومناسبة الباب للتوحيد :

من جهة أن الاستعاذة عبادة وإذا كانت عبادة فصرفها لا يكون إلا لله وصرفها لغيره شرك، وهذا موضوع كتاب التوحيد .

المسألة الثانية: نصوص الباب:

ذكر المؤلف في هذا الباب آية وحديث .

أما الآية فهي قوله تعالى (**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**)

وقوله (يعوذون) : أي يلجئون إليهم ويعوذون بهم رهقا وذعرا وإثما .

والجن : عالم من عالم الغيب يعيشون معنا في الأرض أعطاهم الله القدرة على أن يتصوروا بصور متشكلة، وهم مخلوقون من نار، وسموا جنا :لاجتنابهم أي استتارهم عن الأنظار . ومنه سمي الجنين في بطن أمه جنينا لأنه لا يرى.

والمعنى في الآية وسبب نزول الأية : أن الله ذكر فيها جملة الانتقادات التي انتقدها الجن الذين استمعوا للقران وامنوا به وانتقدوها على قومهم من الجن، وساقها في سورة الجن، وهذا بعد سماعهم القران من النبي ﷺ في وادي نخله بين مكة والطائف وهو يصلى الفجر .

وسبب النزول : أن العرب كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلا قال احدهم : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فكانوا يستعيذون بهؤلاء الجن فزادوهم رهقا، وهذا مع أن الاستعاذة بالجن هنا هو في أمر يقدرون عليه وهو كف سفهائهم من الإيذاء ومع ذلك زادهم رهقا

ووجه الدلالة من الآية ومناسبتها للباب من وجهين:

١- أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين محمد وآمنوا به ذكروا أشياء من الشرك كانوا يفعلونها ويعتقدونها في الجاهلية ومنها الاستعاذة بغير الله .

٢- دلت الآية على تحريم الاستعاذة بغير الله، فهذا يدل على أن الاستعاذة عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك وهم هنا صرفوا الاستعاذة بغير الله .

وأما الحديث فهو عن خوله بنت حكيم قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول "**من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**" رواه مسلم

وراوية الحديث : خوله بنت حكيم بنت أمية السلمية يقال لها أم شريك يقال أنها هي الواهبة كانت قبل تحت عثمان بن مظعون وكانت صالحة فاضلة كما قال ابن عبد البر .

وقوله في الحديث (**منزلا**) : يشمل أي منزل ، سواء كان على سبيل الإقامة الدائمة أو المؤقتة في البنيان أو في الخلاء .

وقوله (**كلمات الله**): كلماته الشرعية وهى آيات القران .

وقوله (التامات) : قيل معناه : الكاملات التي لا يلحقها عيب ولا نقص كما يلحق كلام البشر.

وقيل معناه: الشافية الكافية، وقيل المراد به القران .

وقوله (**من شر ما خلق**) : أي من شر كل مخلوق قام به الشر من حيوان أو إنسان أو ريح أو غيره ، وفى المسند بسند صحيح تكرار الدعاء ثلاث مرات .

قال الشيخ العثيمين : فالمخلوقات ثلاثة أقسام :

١- شر محض : كإبليس والنار وهذا باعتبار ذاتهما ، أما باعتبار الحكمة التي خلقها الله من اجلها فهي خير .

٢- خير محض : كالرسل والملائكة .

٣- ما فيه خير وشر : كالجن والإنس والحيوان وغيرهم " المفيد ١/٢٥٤".

وقوله (**لم يضره شيئا حتى يرتحل من منزله**) : شيء : نكرة في سياق النفي فتفيد العموم فتعم كل شيء فيه أذى وضرر، وهنا قال " لم يضره شيء "ولم يقل لم يصبه شيء .

والفرق : أن عدم الإصابة تقتضى عدم البلاء مطلقا . أما الضرر فيقتضى انه قد يقع البلاء لكن لا يؤثر ولا يضره.

قال القرطبي عن الحديث : هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة فاني قد سمعت هذا الخبر فعملت به عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت فى نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات .

فمعنى هذا الحديث : أن الإنسان إذا استعاذ بالله فإنه يحفظه من كل ضرر ومكروه، فهو القادر سبحانه على هذا الأمر وعلى كل أمر .

ووجه الدلالة من الحديث ومناسبته للباب :

أن النبي ﷺ بين أن الاستعاذة تكون بالله أو بصفة من صفاته، فدل على أنها عبادة، وإذا كانت عبادة فلا يجوز أن تصرف إلا لله تعالى .

وفيه إرشاد إلى الاستعاذة النافعة المشروعة بدلا من الاستعاذة الشركية التي كان يستعملها المشركون.

المسألة الثالثة : ذكر العلماء أن الاستعاذة بغير الله نوعان :

ا- استعاذة بغير الله مشروعة.

ب- استعاذة بغير الله ممنوعة .

أما **الاستعاذة المشروعة** فهي : الاستعاذة بالحي الحاضر في أمر يستطيعه فى الظاهر مع طمأنينة القلب وتوجهه إلى الله وحسن الظن به وان العبد إنما هو سبب فهذه جائزة .

والأدلة على جوازه كثيرة منها :

١- حديث أبى مسعود رضي الله عنه عند مسلم "أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول " أعوذ برسول الله " فتركه .

٢- حديث جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتى بها إلى النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ فأعاذها النبي ﷺ" رواه مسلم .

فالجائزة : تكون ١- لحى . ٢- حاضر بالأسباب الظاهرة . ٣- قادر على ما يطلب منه.

أما **الاستعاذة بغير الله الممنوعة** : فهي قسمان :

١- **ما يكون شركا** : وهذا نوعان

ا- الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله :سواء أكان المخلوق جنيا أو انسيا حيا أو ميتا فهذا شرك اكبر .

ب- الاستعاذة بالمخلوق الحي الغائب أو الميت فيما يستطيعه المخلوق الحـــي الحاضـــر : فهذا شرك لأنه لم يستعد به إلا لاعتقاده أن له تصرفا في الكون وهذا كان يحيط به عدو فيطلب من الميت أن يعيذه فهذا شرك اكبر .

٢- **ما يكون حراما**: وهو ما إذا كان المستعاذ به جنيا فى أمر يقدر عليه الجني .

ودليل التحريم (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) فهذه دلت على أن الاستعاذة بالجن حرام

* فان قال قائل : ما الفرق بين الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يستطيعه ، والجن الحاضر فيما يستطيعه ؟

= من وجوه

١- أن المخلوق الحي حاضر فعلا ، أما الجن فإنه غائب مع حضوره فلا تراه فأشبه الغائب والاستعاذة لا تكون غالبا إلا لاعتقاده أن له تصرف خفي.

٢- أن الاستعاذة بالحي الحاضر مشروعة بالنصوص المتقدمة، أما الاستعاذة بالجن الحي الحاضر فليس عليه دليل بل ورد النهى فى الآية كما تقدم.

* وخلاصة الباب :

١- أن الاستعاذة بالله عبادة من أجل العبادات

٢- أنها إذا كانت عبادة فلا تصرف إلا لله وصرفها لغير الله شرك .

٣- أن الاستعاذة المشروعة هي ما كان بالله أو بصفة من صفاته وإنما يستعاذ بالله لأنه هو الذي بيده كل شيء دون غيره .

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الآية. وقوله: (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه) الآية، وقوله: (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) الآيتان، وقوله: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء).

وروي الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل).

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى : معنى الترجمة والمراد بها ومناسبة الباب للتوحيد:

المؤلف ضمن هذا الباب أمرين : أحدهما اخص من الآخر، فذكر الخاص أولا وهو الاستغاثة، ثم عطف عليه الدعاء فهو من عطف العام على الخاص فكل مستغيث داع وليس كل داع مستغيث .

والاستغاثة : طلب الغوث، وهو إزالة الشدة

والفرق بين الاستغاثة والدعاء :

أن الاستغاثة لا تكون إلا من الكرب، أما الدعاء فيكون من المكروب وغيره .

وقد بين المؤلف في هذا الباب :

أن من خصال الشرك الاستغاثة بغير الله أو دعاء غير الله .

ومناسبة الترجمة للتوحيد :

هي أن الاستغاثة عبادة، وهى من أنواع الدعاء وكذا الدعاء عبادة، وإذا كان كذلك فصرفها لغير الله شرك ينافى التوحيد .

المسألة الثانية : نصوص الباب :

ذكر المؤلف في الباب خمس آيات وحديث :

أول الآيات قول الله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فإنك إذا من الظالمين)

ومعنى الآية : أن الله نهى رسوله محمدا ﷺ – والخطاب لجميع الأمة– أن يدعوا من دون الله الذي خلقه أحدا لا ينفعه ولا يضره في الدنيا ولا فى الآخرة، والمراد بذلك كل معبود سوى الله تعالى فكلهم لا ينفعون ولا يضرون، وفى الحديث " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ..."

ثم قال الله: فان فعلت ذلك أي يا محمد، وهذا من باب الافتراض وإلا فهو محال في حق النبي ﷺ ولكن لو قدر انه فعله –وهو أكرم الخلق– فهو ظالم مشرك، والشرك اظلم الظلم، ومثله قوله تعالى (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك)

ومناسبة الآية للباب :

أن فيها النهى عن دعاء غير الله وأن ذلك هو الشرك وفيها انه لا يجلب النفع ويدفع الضر إلا الله، فمن طلب ذلك من غيره فقد أشرك لأنه دعا غير الله.

وثاني الآيات قوله تعالى (**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم**)

أي إن يصبك الله بضر وبلاء كالمرض والفقر ونحوه، فلن يرفع ضرك ويكشفه الا الله، وإن يريد أن يصيبك بخير وعافية ونعمة فلا أحد يقدر على منع رزقه .

فالله هو المتصرف في الكون وفى أمور خلقه، فلا يكشف الضر ويجلب الخير إلا هو وهذا يجعله لمن شاء من عباده بحكمته وعلمه وتوفيقه .

ومناسبة الآية للتوحيد :

أنها دلت على انه إذا كان لا يجلب النفع ولا يدفع الضر إلا الله فلا ينبغي أن تصرف الدعاء لغير الله الذي يملك هذه الأمور، ومن طلبها من غير فقد أشرك .

إذ كيف يتوجه إلى المخلوق بالدعاء وهو يعلم أن الضر والنفع ليس بأيديهم ، ولذا قال الحسن رحمه الله : ثلاث آيات وجدتها في كتاب الله اكتفيت بها عن جميع الخلائق ومنها هذه الآية " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو"

* **فإن قيل**: لماذا قال في الخير (يردك) وفى الشر (يمسسك) وهل هناك فرق ؟

= هناك فرق وهو أن الأشياء المكروهة لا تنسب إلى إرادة الله، بل إلى فعله أي مفعوله، فالمس هو من فعل الله لكن الضر من مفعولاته أي وقع بإثر ذلك، فالله لا يريد الضر لذاته وإنما يريده لغيره لما يترتب عليه من الحكم البالغة ولذا قال النبي ﷺ " والشر ليس إليك " أما الخير : فهو مراد الله لذاته، وقريب من هذا قوله" وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا" وقريب منه قول الخضر (فأردت أن أعيبها) مع قوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما.)

ومثال ذلك :أن الإنسان قد يصاب بمرض فإن الله لم يرد الضر لذاته وإنما أراد المرض لما فيه من الخير لهذا الرجل، وقد تكون الحكمة عند المصاب ظاهره وقد لا تظهر.

وثالث الآيات: قوله تعالى (**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه**)

ومعنى الآية : أن الله لما تكلم عمن يعبدون الأصنام والأوثان وغيرها مما يعبدون من دون الله قال "إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه" فبين لهم أن من يعبدون من دون الله لا يملكون لهم رزقا ولا ضرا ولا نفعا، بل ولا يملكون كشف الضر ودفعه عن أنفسهم، إذن فمن أين يطلب الرزق .

قال: ابتغوا واطلبوا الرزق من الله الرزاق واخلصوا له العبادة وحده واشكروه على نعمه .

ومناسبة الآية للتوحيد :

أن فيها بيان انه لا يطلب الرزق إلا من الله، لأنه القادر عليه فمن طلبه من غيره فقد أشرك، ففيها وجوب إفراد الله بالدعاء والعبادة .

* **فإن قيل**: لماذا قدم لفظ الجلالة على الرزق، و لم يقل فاطلبوا الرزق من عند الله؟
= أهل العلم يقولون أن التقديم يفيد الحصر، والمعنى أن الله هو الذي عنده الرزق لا غيره فاطلبوه منه ولو كانت كلمة الرزق مقدمة لكان يفهم منه أن الرزق قد يكون من الله ومن غيره.

* **فإن قيل**: لماذا نكر الله الرزق " لا يملكون لكم رزقا " ثم عرفه فقال " فابتغوا عند الله الرزق "؟
= قال الزمخشري مجيبا على هذا: قلت : لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق ، فابتغوا عند الله الرزق كله. فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره.ا.هـــ
ومعنى هذا أن الأولى نكرة منفية، والمراد : أنهم لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق وإن قل .
والثاني معرفة مثبتة أي الرزق كله من الله فاطلبوه منه وحده.

* ويستفاد من الآية:
١- أن طلب الرزق لا يكون إلا من الله .
٢- وجوب شكر الله على نعمه بالقلب واللسان والجوارح .
٣- فيها رد على المشركين الذين يدعون غير الله ليشفعوا لهم عنده في جلب الرزق، فما ظنك بمن دعاهم أنفسهم واستغاث بهم ليرزقوه وينصروه كما هو الواقع من عباد القبور.
٤- طريقة إبراهيم عليه السلام في دعوة قومه لنبذ الشرك والتدرج في ذلك .

ورابع الآيات: قوله (**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة**)

الضلال : التيه عن الطريق الصحيح، وقد حكم الله بأنه ليس في الضلال أضل من ضلال من يدعون غير الله من دون، حيث يتركون دعاء السميع القريب المجيب، ويدعون أحدا لا يستجيب لهم، ولا يقدر على إجابتهم، ولو دعوه إلى قيام الساعة، ولا بيده شيء من النفع والضر، ومع ذلك فهو غافل عن دعاء من يدعوه، لأنه إما ميت، أو جماد، أو مشغول بما خلق له.

بل وإذا قامت القيامة كان أول من يعاديهم هو من دعوه وعبدوه ويكفر بعبادتهم، فيكون قد لحق المشرك بهذا الدعاء لغير الله الضرر في الدنيا والآخرة.

ومناسبة الآية من وجهين:

ا- أنه إذا كان كل من سوى الله لا يستطيع أن يستجيب من دعاه فكيف يليق بالإنسان أن يستغيث به ويدعوه من دون الله كما يفعل عباد القبور " المفيد ١/٢٧٠ ".

ب- أن الله حكم على من دعا غيره بأنه أضل الضالين، وان الدعاء عبادة وصرفها لغير الله شرك.

ج- كفر الداعي بصرفه الدعاء لغير الله ولذا قال " وكانوا بعبادتهم كافرين " ومنه قوله " واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (*) كلا سيكفرون بعبادتهم "

* **فإن قيل:** أيهما ابلغ قوله (من أضل) أو قول : لا أضل ممن يدعو ؟

= قال العثيمين: الاستفهام المنفى ابلغ من النفي المجرد لان الاستفهام فيه تحدى أي اوجدوا أحدا أضل . أما النفي المجرد فلا يتضمن التحدي، وهذا من بلاغة القران. المفيد ١/ ٢٧٠.

* **فإن قيل:** لماذا أتى بقوله ب"من " في قوله "من لايستجيب " ولم يقل (ما لا يستجيب له) مع أنهم يدعون الأصنام وهى جماد، ومن تكون للعاقل ؟

=لأمرين ١- أنهم لما عبدوها فإنما هم نزلوها منزلة العاقل وإلا فغير العاقل محال أن يدعى وعلى هذا فخوطبوا بمقتضى ما يدعون لأنه ابلغ فى إقامة الحجة عليهم.
٢- أن ما يدعون قد يكونون ملائكة مسخرين وقد يكونون أنبياء وصالحين وقد يكونون أصنام فغلب جانب من يعقل .

وخامس الآيات: قوله تعالى (**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**)
وهذه الآية راجعة إلى قوله في أول الآيات (آلله خير أما يشركون)
والمضطر : المكروب الذي مسه الضر.
والسوء : كل ما يسوء الإنسان .
والمعنى : أن كفار قريش يؤمنون بتوحيد الربوبية وهم إذا جد الجد زال الشرك ودعوا الواحد الأحد سبحانه، فيبين الله لهم ويقول : من هو الذي حينما تصيبكم الشدائد تتوجهون إليه فيجيب دعائكم ويكشف الضر عنكم؟ فإذا كان معلوما لديكم فلماذا تدعون غيره؟!.
ومناسبة الآية للباب :
من جهة أن الله هو وحده المدعو في الشدائد، مجيب المضطر، الكاشف للسوء، والمشركون يقرون بهذا، وحينها لا ينبغي أن يدعى غيره، أو يستغاث بغيره.

وبهذا تعلم: أن من اعتقد في غير الله من الأولياء وأصحاب القبور وغيرهم أنهم يكشفون السوء أو يجيبون دعاء المضطر ودعاهم لذلك فإنه قد أشرك شركا أكبر من شرك العرب في الجاهلية، لأن المشركين الأوائل يعتقدون أن كشف السوء وإجابة المضطر هي من عند الله، أما معبوداتهم فما هي إلا شافعة، فمن اعتقد أن ما يعبده من دون الله هو من يكشف الضر فقد وقع في أغلظ من شرك الأوائل.

وأما الحديث: فهو ما نقله عن الطبراني بإسناده "**أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**" .

والحديث نسبه المصنف إلى الطبراني في المعجم الكبير عن عبادة بن الصامت، وفيه ابن لهيعة فيه كلام، وهذا الكلام من المصنف يبدو أنه تبع فيه الهيثمي في معجم الزوائد، حيث ذكره برقم (١٧٢٧٦)، وإلا فلم أقف على الحديث في المطبوع من المعجم الكبير، وكذا قال غير واحد ممن حقق الكتاب.

وقد رواه أحمد في المسند بنحوه، وليس فيه ذكر الاستغاثة، وإنما فيه قوله ﷺ " لا يقام لي ، إنما يقام لله" وهذا كما يظهر هو في ما يتعلق بالقيام، على أن في إسناد أحمد ابن لهيعة، وكذا فيه رجل مبهم لم يسم، وهو الراوي عن عبادة بن الصامت، فالحديث إسناده ضعيف، ولكن من أهل العلم من يرقي الحديث إلى الاعتضاد، لأن النصوص تؤيده، وممن رأى ذلك ابن تيمية، حيث قال: وهو صالح للاعتضاد ودل على معناه الكتاب والسنة.

ومعنى الحديث : أن هؤلاء الصحابة حين استغاثوا بالنبي ﷺ في أمر يقدر عليه، وهو كف أذى هذا المنافق قال لهم ﷺ أن الاستغاثة لا تطلب إلا من الله.

وسبب إنكار النبي عليهم يحتمل أمرين :

١- أن النبي ﷺ لم يكن قادرا على دفع ضرر ذلك المنافق فأمرهم أن يستغيثوا بالله.

٢- انه قادر لكن مراده إرشادهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ، فيكون هذا المنفي من باب التأدب في اللفظ وسد الذريعة

لكن يشكل على هذا قوله (فاستغاثه الذي من شيعته) فكيف يجمع بين الآية والحديث ؟

= على الاحتمال الأول : لا إشكال .

وعلى الاحتمال الثاني : تحمل الآية على الجواز ، والحديث على الأدب والأولى.التيسير ١٩٣ .

وبهذا تعلم أن دعاء الميت والغائب وكذا الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر، لأن الدعاء هو العبادة، ولأن من خصائص الألوهية إفراد الله بسؤال ذلك منه.

ومناسبة الحديث الباب من جهتين:

١/ أن فيه إنكار النبي ﷺ الاستغاثة بغير الله، لأن الاستغاثة عبادة لا تصرف إلا لله.

٢/ أنه إذا كان هذا النهي منه ﷺ فيما يقدر عليه في حياته فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله، كما جرى على السنة كثير من الشعراء كالبوصيرى والبرعى من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، قاله صاحب فتح المجيد ٣٢٤/١ .

المسألة الثالثة: هل هناك فرق بين الاستعاذة والاستغاثة ؟

= ذكر بعض العلماء فرقا فقال :

١- الاستعاذة : أن تطلب من الله أن يعصمك ويمنعك، وهذا قبل وقوع المكروه .

أما الاستغاثة : فتطلب من الله أن يزيل مابك من شر وكرب، وهذا بعد وقوع المكروه.

لكن ابن تيمية ذكر أن الاستعاذة والاستغاثة ألفاظ متقاربة، وكلاهما يكون قبل وقوع الشيء وبعد وقوعه، ذكر ذلك في كتابه الاستغاثة .

المسألة الرابعة: إعلم أنه ليس كل استغاثة بغير الله محرمة، وإنما يقال أن الاستغاثة بغير الله نوعان

١/ **استغاثة ممنوعة** : وهى الاستغاثة بالأموات أو بالحي الحاضر على أمر غائب لا يقدر على مباشرته أو بالحي الغائب: فهذا كله شرك أكبر لأنه ما استغاث بهم إلا لأنه يعتقد أن لهم تصرف في الكون.

ويدخل فيه : الاستغاثة بالحي القادر فيما لا يقدر عليه، فهذا لغو باطل إلا إن صحبته عقيدة فيكون شركا

٢/ **استغاثة جائزة** : بالحي القادر الحاضر كما وقع للاسرائيلى مع موسى عيه السلام، لكن يجب الاعتقاد أن المخلوق سبب ولا تأثير له بذاته في إزالة الشدة .

المسألة الخامسة: المصنف أشار في التبويب إلى الدعاء، وأهل العلم يقولون بأن الدعاء نوعان :

ا/ **دعاء العبادة** : وهو عبادة الله بجميع أنواع العبادة كالصلاة وغيرها لان الإنسان في هذه العبادات بلسان حاله يدعوا الله المغفرة والرضوان والجنة .

٢/ **دعاء المسألة** : وهو طلب ما ينفع الداعي ممن جلب نفع أو دفع ضر وهذا عبادة وعلى هذا : فدعاء المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله -كمن يدعوا الولي أن يرزقه الولد أو يدعو ميتا- فهذا شرك اكبر .

* وخلاصة الباب:

١- أن الاستغاثة عبادة من العبادات وكذا الدعاء بنوعيه .

٢- أن الاستغاثة والدعاء صرفها لغير الله شرك إلا اذا كانت لحى حاضر قادر فلا تكون شركا .

باب قوله تعالى "أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون *ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون " و قوله: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الآية.

وفي (الصحيح) عن أنس قال: شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم)؟ فنزلت: (ليس لك من الأمر شيء) وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: (اللهم العن فلانا وفلانا) بعدما يقول: (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد) فأنزل الله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) الآية وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت (ليس لك من الأمر شيء) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال: (يا معشر قريش ــ أو كلمة نحوها ــ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا).

عقد المصنف هذا الباب وصدره بقول الله (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون..) والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى : المراد بالترجمة :

المراد منها بيان حال المدعوين من دون الله وأنهم لا ينفعون ولا يضرون سواء أكانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين أو أصنام، فكل من دعي من دون الله فهذا حاله، ولذا قال الله (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له).

ومناسبة الباب للتوحيد ولما قبله .

أن المؤلف لما ذكر أمورا من الشرك كالاستعاذة والاستغاثة بغير الله ذكر براهين دالة على بطلان عبادة ما سوى الله وأن ما سوى الله لا يستحق أن يصرف له شيء من أنواع العبادة .

ولما بين حال الداعي اغير الله وأنه ليس هناك أضل منه ناسب أن يذكر حال المدعو وأنه لا يملك شيئا .

المسألة الثانية: نصوص الباب: ذكر في الباب آيتين وثلاثة أحاديث.

أول الآيات قوله تعالى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون *ولا يستطيعون لهم نصرا).

وقد صدرت الآية بقوله (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون): وهو استفهام إنكاري على من يشرك في العبادة مع الله غيره، فتضمنت الإنكار على من أشرك مع الله من ليس له قدرة على الخلق، بل هو مخلوق مدبر.

ولا يستطيعون لهم نصرا : أي أن معبوداتهم لا تقدر على نصر من استنصر بهم من عابديهم بل هم قاصرون عن ذلك، بل ولا يقدرون على نصر أنفسهم والدفاع عنها ورد الضر عنها، فكيف يدفعونه عن غيرهم، وقد ذكر ابن كثير خبر عمرو بن الجموح مع صنم له، وكان قد اتخذه من خشب في داره يقال له مناة كما كانت الأشراف يصنعون، فلما أسلم فتيان بني سلمة، ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، وفيها عذر الناس منكسا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطيبه وطهره ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه.

فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه، ففعلوا مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطيبه ويطهره، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك، فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوما، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع، هذا السيف معك.

فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عذر من عذر الناس، وغدا عمرو بن

الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت، فعلم حينها أنه لا يدفع عن نفسه فهداه الله للإسلام.

* فالمراد أن هذه المعبودات من دون الله لا تصلح أن تكون معبودة من وجوه أربعة :

١- أنها لا تخلق . ٢- أنها مخلوقة .

٣-لا تستطيع نصر الداعين .٤- ولا نصر أنفسها .

* **ومناسبة الآية للباب** : أنه إذا كانت هذه حال ما يعبد من دون الله وانه في غاية العجز فكيف يليق بعاقل أن يدعوا من هذا وصفه ويدع من بيده كل الأمور سبحانه .

وثاني الآيات قوله تعالى (**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)**

والقطمير : هو اللفافة تكون على نواة التمر .

والمعنى: أن الله أخبر عن حال المدعوين من دونه أنهم عاجزون وأنهم قد انتفت عنهم الشروط التي لابد أن تكون في المدعو، وهى ملك ما طلب منه، وسماع الدعاء والقدرة على إجابته فمتى عدم شرط بطل أن يكون مدعوا فكيف إذا عدمت كلها، وهؤلاء الذين يدعون من دون الله إما أنهم لا يسمعون دعاء من يدعوهم، لأنهم إما ملائكة مشغولين بما خلقوا له أو أموات لا يسمعون، ولو افترضنا أن هؤلاء من أولياء وأنبياء سمعوا دعائكم إياهم ما قدروا على ما تطلبونه منهم ولا يقدر على هذا إلا الله، بل إنهم يوم القيامة ينكرون ويتبرءون ممن أشرك بهم مع الله وهذا كقوله (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (*) كلا سيكفرون بعبادتهم)

وبعد هذا البيان الذي لا يبقي في القلب انصرافا للمخلوق ختم الله الآية بقوله (ولا ينبئك مثل خبير) أي لا يخبرك بمآلات الأمور وعواقبها مثل الخبير العالم ببواطن الأمور ألا وهو الله سبحانه.

ومناسبة الآية للباب والتوحيد : أن فيها الرد والبرهان القاطع على بطلان الشرك والرد على المشركين بالله وبيان حال معبوداتهم، وإذا كانت هذه حالها فكيف تدعى من دون الله .

* **فإن قيل**: فهل يعارض هذا ما ورد أن الأموات يسمعون كلام الأحياء ؟

=اختلف الناس في سماع الأموات للأحياء، فقيل: لا يسمعون مطلقا، وقيل بل يسمعون. وعلى فرض أنهم يسمعون فلا يلزم أنهم يسمعون كل شيء، وعلى فرض سماعهم لكل شيء فالله اخبر أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، والذي اختاره ابن تيمية : أنهم يسمعون أحيانا كلام الحي ولا يجب أن يكون السمع لهم دائما بل قد يسمعون في حال دون حال كما يعرض للحى " الفتاوى ٥/٣٦٤.

وأما **الأحاديث فأولها** حديث أنس ﷺ قال "**شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم** "

والحديث رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم، ورواه مسلم موصولا .

والشجة : الجرح في الرأس والوجه خاصة.

والرباعية: الأسنان التي تلي الثنايا -الأسنان اللتان في المقدمة-، والإنسان له أربع رباعيات والذي كسر رباعية النبي هو عتبة بن أبي قاص، قال ابن حجر : والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة و لم تقلع من أصلها .

وقوله (**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**) : استفهام معناه: ما أبعد هؤلاء عن الفلاح وقد شجوا نبيهم .

والمعنى : أن أنسا ﷺ في هذا الحديث بين ما لحق النبي ﷺ من أذى قومه يوم أحد، فكأنه لحقه من تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فقال تلك الكلمة (كيف يفلحون)، فقيل له يا محمد" ليس لك من الأمر شيء " فأمور الخلق وتدبيرهم وعقابهم أو رحمتهم ليست إليك بل إلى خالقهم سبحانه، أما أنت فعبد مأمور بإنذارهم وجهادهم، فامض لشانك ودم على الدعوة لدين ربك " التيسير٢٠٣ ".

ومناسبة الآية للباب ووجه الشاهد منها : من جهتين

١/ أنه إذا كان النبي ﷺ وهو قد أوذي وكسرت رباعيته لم يعذره الله بكلمة (كيف يفلح قوم ...) وبين انه ليس له من الأمر شيئا فما بالك بمن سواه كالأولياء والأصنام أو الأنبياء وغيرهم ممن هم إما أموات أو جمادات وهم لا يملكون من التدبير شيء.

٢/ أنه لو كان النبي ﷺ يملك جلب النفع ودفع الضر لدفع الضر عن نفسه، ولما أصيب وأدمى وجهه وكسرت رباعيته، فكيف بمن هو دونه ﷺ .

ثاني الأحاديث: عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر "**اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله ليس لك من شيء في رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ليس لك من الأمر شيء**" وفى رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت" **ليس لك من الأمر شيء**"

والحديث أخرجه البخاري، وهو في قنوت النبي ﷺ بعد أحد، حين كسرت رباعيته وأدمي وجهه، كان يقول "اللهم العن فلانا" لأناس من رؤوس المشركين.

واللعن –كما قال ابن الأثير– الطرد والإبعاد من الله، وهو من الخلق السب والدعاء، وقيل: بل اللعن من الخلق: طلب طرد الملعون وإبعاده من الله بلفظ اللعن لا مطلق السب والشتم. التيسير ٢٠٤ وهذا أقرب.

والمعنى : أن النبي ﷺ لما أوذي دعا على هؤلاء الكفار فجاءه التأنيب والنهى (ليس لك من الأمر شيء) و لم يكن النبي ﷺ يعلم الغيب، فإن هؤلاء الثلاثة الذين سماهم أسلموا وحسن إسلامهم، وكان الله عليما ببواطن الأمور حين لم يستجب للنبي ﷺ دعائه فأين كل هذا مما يعتقده عباد القبور فى الأولياء والصالحين بل فى الطواغيت أنهم ينفعون من دعاهم ويكشفون بلائه وينصرون من لاذ بجاههم فيدعونهم برا وبحرا فى كل حال فإذا كان هذا فى النبي فما بالك بغيره

ووجه الشاهد ومناسبة الحديث للباب :

أن النبي ﷺ ليس له من الأمر شيء، ويتبين ذلك بأمرين ذكرا في الحديث السابق.

١- انه لما أذاه هؤلاء المشركين لم يستطع رد أذاهم بنفسه بل لجأ إلى ربه القادر على جلب النفع ودفع الضر

٢- أنه لما دعى على هؤلاء انزل الله (ليس لك من الأمر شيء).

* ولا تعارض بين هذا الحديث، وبين الذي قبله؛ أن الآية نزلت فيها، بل يقال:أن هذه القصة كانت في غزوة احد وأنه قنت بعد غزوة أحد فكلا القصتين في غزوة احد .

* وفي الحديث غير ما تقدم:

١- جواز الدعاء على المشركين وتسمية المدعو لهم أو عليهم بأسمائهم فى الصلاة لكن الدعاء على الكافر باللعنة إذا كان لعمومهم فالذي يظهر جوازه لما ورد في الصحيحين أن أبا هريرة لما قال لأقربن بكم صلاة رسول الله فكان يدعو للمؤمنين ويلعن الكفار .

وأما لعن الكافر بعينه وخصوصه فهذا الذي نهى عنه النبي ﷺ.

٢- مشروعية قنوت النوازل

٣- أن التوبة تجب ما قبلها فهؤلاء الثلاثة لما تابوا تاب الله عليهم مع أنهم آذوا النبي ﷺ.

وثالث الأحاديث: ما رواه عن أبي هريرة قال "**قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه وأنذر عشيرتك الأقربين قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه و سلم لا أغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتي لا أغني عنك من الله شيئا**"

والحديث في صحيح البخاري ومسلم

ومعنى الحديث : أن النبي ﷺ حين نزل عليه قوله (وأنذر عشيرتك الأقربين) قام خطيبا على الصفا، وبدأ بالنصح للأقربين، وأمرهم بالتوحيد حتى ينقذوا أنفسهم من النار، ولا يعتمدوا على شرف النسب وقرابته لهم فإنه لا يغنى عنكم من الله شيئا.

فبين النبي ﷺ أنه لا يملك لأقرب الناس إليه –وهم عمه وعمته وابنته– أنه لا يملك لهم شيئا، وانه من أراد النجاة فليوحد الله ولا يعتمد على الخلق فالخلق ليس بأيديهم شيء من النفع أو الضر .

ومناسبة الحديث للباب :

من جهة أنه لا يجوز أن يطلب من الرسول –ولا من غيره من باب أولى– إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا، لأنه إذا كان هذا النبي ﷺ أفضل الخلق وسيد المرسلين يقول هذا خصوصا لأقرب الناس إليه فما الظن بغيره من عامة الناس، وقد قال الله تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير).

* فإن قيل: كيف قال هنا (لا أغنى عنكم من الله شيئا) والنبي ﷺ ينفع الناس بشفاعته لهم فكيف الجمع ؟

= الجواب : أن شفاعته ﷺ هي أمر من الله ابتداء فضلا عليه وعليهم، لا أن النبي ﷺ يشفع فيمن شاء ويدخل الجنة من شاء، فشفاعته بأمر الله ولهذا كان يعلم أصحابه أن يدعو له أن يبعثه الله المقام المحمود .

(١٥) باب

قوله تعالى"حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير".

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك {حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}فيسمعها مسترق السمع – ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء".

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة – أو قال رعدة – شديدة خوفا من الله (؛ فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله.

عقد المصنف هذا الباب عن الملائكة، فالضمير في قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) يرجع إلى الملائكة، والكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى : معنى الترجمة والمراد بها :

أراد المؤلف بالباب هنا : بيان حال الملائكة الذين هم أعظم المخلوقات وأقوى من عبد من دون الله وقد ورد في الحديث شيء من وصفهم كحديث جابر مرفوعا " أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة " رواه أبو داود، وحديث ابن مسعود مرفوعا " رأيت جبريل له ستمائة جناح كل جناح منها سد الأفق " رواه مسلم.

فإذا كانت هذه الملائكة الذين عظم خلقهم وقوي بأسهم، وهذا حالهم مع الله وهذه هيبتهم وخوفهم منه وخشيتهم له فكيف يتجه أحد إليهم ويدعوهم من دون الله استقلالا أو وساطة طلبا لشفاعتهم .

وإذا كان هذا في الملائكة مع جلالة قدرهم وعظم خلقهم وقربهم من ربهم، لا يجوز أن يدعوا من دون الله، فغيرهم ممن هو أضعف منهم وممن لا يقدر على شيء من الأصنام والأموات أولى أن لا يدعى ولا يعبد من دون الله.

المسألة الثانية : أورد المصنف في الباب حديثان:

أولهما : ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال "**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء** "

وقوله في الحديث (**إذا قضى الله الأمر فى السماء**) : أي إذا تكلم بالأمر الذي شاء كونه والذي قضاه في السماء مما يكون .

وقوله (**خضعانا لقوله**) : بفتح الخاء والضاد من الخضوع وفى رواية بضم أوله وسكون ثانيه بمعنى خاضعين .

وقوله (**كأنه سلسلة على صفوان**) : أي كان الصوت المسموع صوت السلسلة على الصفوان وهو الحجر الأملس .

وهذا التشبيه قيل: هو تشبيه ما يحصل للملائكة من الفزع أنه كفزع من يسمع سلسلة على صفوان " المفيد ٣١٠/١ ".

وقيل : المراد صوت الملك بالوحي كما ورد أن الوحي كان يأتي النبي ﷺ كصلصلة الجرس.

وقيل : أنه صوت الرب المسموع، وقد ورد عن ابن مسعود مرفوعا « إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون .."رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني، " الحاشية ١٢٦ ".

وقوله (**ينفذهم ذلك**) : بفتح التاء وسكون النون وضم التاء والذال : أي يخلص ذلك القول ويمضى في قلوب الملائكة حتى يفزعوا منه .

وقوله (**فيسمعها مسترق السمع**) : أي يسمع الكلمة التي قضاها الله وسمعتها الملائكة ثم تحدثوا بها.

ومسترق السمع هم من الشياطين، يركب بعضهم بعضا فيسمعون أصوات الملائكة بالأمر مما يقضيه الله، فيتوجهون بما سمعوا إلى الكهان.

ومسترقوا السمع يسمعون إما من الملائكة في السماء الدنيا ولا يتعدونها لأنها سقف محفوظ .

ويحتمل : أنهم يسمعون من الملائكة في السحاب لحديث عائشة " أن الملائكة تنزل في العنان " وهو السحاب.

وقد وصف سفيان بن عيينة ركوب الشياطين بعضهم فوق بعض بأن ميل يده وفرق بين أصابعه .

وقوله (**فربما أدركه الشهاب**) : هو النجم الذي يرمى به ربما أدركه قبل إلقائها وربما ألقاها قبل أن يدركه لحكمة يعلمها الله وإلا فالله لا يعجزه شيء .

والرجم بالشهب كان موجودا في الجاهلية بدلالة حديث " ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية قالوا نقول ولد عظيم أو مات عظيم" فلما بعث النبي ﷺ منعت، (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)

وبعد موت النبي ﷺ زال السبب الذي لأجله قطعوا فعادوا وعادت الشهب .

وقوله (**أليس قال لنا كذا وكذا**) : أي أن الناس الذين يأتون الكهان يصدقونهم إذا ذكروا لهم أمرا .

والسبب : أنهم ذكروا لهم مرة أمرا فصدقوا ووقع ما قالوا، فاعتقدوا أن كل ما يقولونه حق، وما هي إلا كلمة واحدة في مئات الكذبات.

ومعنى الحديث والشاهد منه :

أن النبي ﷺ بين ما تكون عليه الملائكة من حالة عند نزول الوحي وتكلم الله به، أنهم يفرقون ويفزعون ويصعقون بالرغم من عظم خلقهم حتى يكون أول من يفيق منهم جبريل .

فإذا كانت هذه حالة الملائكة فمن دونهم أولى أن يخاف الله وأنه لا يدعى ولا يستشفع إلا بالله .

وثاني الأحاديث: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله عز و جل فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء يسأله ملائكته ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل**".

والحديث رواه ابن أبي حاتم والطبري في تفسيره وابن خزيمة في كتاب التوحيد له وأبو زرعة والآجري والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم، وفي إسناده الوليد بن مسلم مدلس يدلس تدليس تسوية، وقد عنعن في هذا الحديث، وقد عرض أبو زرعة الدمشقي، على دحيم هذا الحديث ، فقال : (لا أصل له) .
ولكن يشهد له الحديث الأول.

ومعنى الحديث : أن النبي ﷺ بين في هذا الحديث حالة الملائكة عند سماع الوحي وأنهم كلهم يصعقون حتى جبريل لكن هو يكون أول من بصعق، فهو الموكل بالوحي فيكلمه الله بما أراد من الوحي وفى طريقه إلى الأرض كلما مر بسماء من السماوات السبع يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا فيقول قال الحق وهو العلى الكبير .
ومناسبة الحديث كالذي قبله: أنه إذا كانت هذه حالة الملائكة، فمن دونهم أضعف، لأن الملائكة أقوى وأعظم عباد الله وأعطاهم الله من القوة العظيمة ما أعطاهم، ومع هذا فهذه حالهم .
فكيف يدعو المشرك ملكا أو من هو دونه باعتقاده أن له قدرة أو تدبيرا أو شفاعة عند الله.
وخلاصة الباب: أن المرء ينبغي أن يعظم ربه، ومن تعظيمه لربه أن يتوجه له بالعبادة، ولا يتوجه لأحد ولو كان ملكا – والملائكة أعظم الناس خلقا- .

(١٦) باب الشفاعة

وقول الله تعالى: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

وقوله: (قل لله الشفاعة جميعا)

وقوله: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)

وقوله: (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

وقوله: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض) الآيتين.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولا، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع.

وقال له أبو هريرةﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

عقد المصنف هذا الباب في الشفاعة، وهو من أهم الأبواب في كتاب التوحيد،

والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة:

هي في اللغة : اسم من شفع يشفع اذا جعل الشيء بين اثنين ، وهو ضد الوتر

واصطلاحا : التوسط للغير بجلب منفعة او دفع مضرة ، سميت بذلك لأن طالب الحاجة كان منفردا في الاول ثم انضم اليه شافع فصارا شفعا .

المسألة الثانية: مناسبة الباب :

لما كان المشركون قديما وحديثا يعبدون من دون الله الاصنام والاضرحة ونحوها فإذا أنكر عليهم قالوا " هؤلاء شفعاؤنا عند الله " وادعوا أن غرضهم بذلك طلب الشفاعة فقط، بين المؤلف هنا أن الله عد ذلك من الشرك وأن طلب الشفاعة منهم هي عبادة لغير الله، وإن ادعوا أن ذلك من تعظيم الله .

واعلم أن أصل الشرك من قديم الزمان وحديثه هو بطلب الشفاعة، وتعلق الناس بأذيالها، وذلك لأن المشركين يقولون نحن نجعلهم شفعاء، فقاسوا الله بخلقه، وقال الله على لسانهم { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى }

المسألة الثالثة: كيف يقال أن من اتخذ الشفيع مشركا وهو إنما اتخذه شفيعا إلى الله بقصد تعظيم الرب فإنه – على حد قولهم- لا يتوصل إليه إلا بالشفعاء كملوك الدنيا ؟

= الجواب: أنه وإن كان دافعه وقصده تعظيم الله إلا انه ليس كل من قصد التعظيم وفق وأصاب، لأن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله فيه هضم للربوبية، وتنقص لعظمة الله، وسوء ظن به سبحانه ، ولذا قال الله عن المشركين وهم يخاطبون معبوداتهم " تالله إن كنا لفي ضلال مبين (٩٧) إذ نسويكم برب العالمين " وهذه التسوية منهم ليست تسوية لمعبوداتهم بذات الله وصفاته وافعاله ولا ادعوا أنها خلقت السماوات والأرض وغير ذلك وإنما ساووهم في المحبة والتعظيم والعبادة .

* ووجه كون الاستشفاع بالأولياء فيه هضم للربوبية وسوء ظن بالله .

لان المستشفع لا يخرج من أمور .

إما أن يظن أن الله يحتاج الى من يدبر أمر العالم معه من وزير ومعين

وإما أن يظن أن الله إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع

أو يظن أن الله لا يعلم حتى يعلمه الشفيع او لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم أو لا يجيب دعاؤه حتى يسألوا الشفيع كحال ملوك الدنيا وهذا نقص

أو يظن أن للشفيع حق على الله حق فهو يقسم عليه بحقه ويتوسل إليه بالشفيع كما يتوسل إلى الملوك بالناس الذين يعزونهم وكل هذا نقث، وسوء ظن بالله.

* فان قيل : هذا فيمن عبد الشفعاء، أما من دعاهم فقط فلا يعد ذلك شركا ؟

= فالجواب : أن مجرد اتخاذ الشفعاء شرك ودعاؤهم للشفاعة هذا عبادة لهم وإشراك لهم في عبادة الله، فالدعاء هو العبادة.

المسألة الرابعة: الشفاعة نوعان :

١/ مثبتة وهى ما كانت بشرطي الشفاعة ١- إذن الله للشافع ٢-رضاه عن الشافع والمشفع

٢/ منفية : وهى ما كانت تطلب من غير الله، أو يقال: أنها ما اختل فيها شرط من شروط الشفاعة المثبتة.

* **فإن قيل:** مالحكمة من جعل الله الشفاعة ؟

= إكرام الله للشافع من وجهين

١/ ظهور فضل الشافع على المشفوع له ٢/ ظهور منزلة الشافع عند الله.

المسألة الخامسة:ذكر المصنف في الباب خمس آيات متعلقة بالشفاعة.

١/ قول الله:({وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون}

في هذه الآية خوف الله عباده يوم الحشر الذي ليس للإنسان فيه أحد إلا الله، فليس

لهم هناك أحد يافع عنهم من معبوداتهم، وإذا كان الإنذار هنا هو للمؤمنين الذي يخافون يوم الحشر، وأنهم ليس لهم ولي ولا شفيع، فكيف بمن وقع في الشرك.

ومناسبة الآية للباب : أن الله نفى عن المؤمنين أن يكون لهم ولى أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين، وعلى هذا فمن اتخذ من دون الله شفيعا فليس من المؤمنين ولا تحصل له الشفاعة ، فالآية دلت على نفى الشفاعة التي لم تتوفر شروطها، ومفهوم هذا أنها ثابتة بإذنه كما قال " ليس لهم من دونه " .

٢/ قوله: {قل لله الشفاعة جميعا}

وهذه الآية يزيدها بيانا ما قبلها وهي قوله (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض)

يقول المفسرون: إذا جاءت (أم) فمعناها: (بل)

فأنكر الله عليهم طلب الشفاعة من دون الله حين قال "أم اتخذوا من دون الله شفعاء ...." وقال لهم (أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) وهذه حقيقة الخلق كلهم، فهم إما أنهم لا يعقلون، فلا يعلمون شيئا مما في نفوس الناس من حاجاتهم؛ ولو عقلوا فإنهم لا يملكون، ثم قال " قل لله الشفاعة جميعا " ففهم من هذا أمور:

١- أن الشفاعة بجميع أنواعها ملك لله

٢- إذا كانت له فكيف تطلب ممن لا يملكها بل ينبغي أن تطلب ممن يملكها .

ومناسبة الآية للباب :

أن الشفاعة بجميع أنواعها ملك لله فلا تنال إلا بإذنه

٣/ قوله: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}

نفت الآية الشفاعة عن المخلوق استقلالا بلا إذن من الله، وقيدت الشفاعة بإذن الله، فالمخلوق لا يبتدئ بالشفاعة دون أن يأذن الله له بها، ولا يأذن الله له إلا لمن رضي عمله، وهو الموحد غير المشرك، وعلى هذا آل الأمر إلى أن المرء يوجه قلبه لله، فمن طلبها من

المخلوق فقد أشرك

وقد أفادت الآية أمور :

- الرد على الخوارج الذين ينكرون الشفاعة مطلقا إذ ان الله أثبتها لمن شاء

-الرد على من اتخذوا الشفعاء من دون الله فبين الله أنهم لا يشفعون إلا بإذنه، وبدون إذنه لا يمكن لأحد أن يشفع.

٤/ وقوله: {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}

كم من ملك : ما أكثر الملائكة الذين في السماء ومع ذلك لا تغني شفاعتهم إلا من بعد إذن الله ورضاه .

إلا من بعد أن يأذن الله : فيه بيان شرطي الشفاعة ١- الإذن من الله . ٢- الرضى عن الشافع والمشفوع . والذي يرضى الله عنه هو المؤمن الموحد، واستثنى من ذلك أبو طالب فإن الله أذن بالشفاعة له و لم يرضى الله عمله إكراما للنبي ﷺ.

* **فإن قال المشرك:** اعلم أنهم لا يشفعون إلا بإذن الله لكني ادعوهم ليأذن الله لهم في الشفاعة لي ، فكيف يجاب عنه؟

= الجواب : أن الله لم يجعل الشرك به ودعاء غيره سببا لإذنه ورضاه، بل ذلك سبب لغضبه ومقته ولذا نهى عنه فقال " ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين " فدعائك الأولياء هو شرك لا يرضاه الله وهو عين ما كان المشركون الأولون يفعلونه فان الفارق بينهم وبين الموحد مسالة الشفاعة

اذا علمت ان الله بيده هو الذى بيده الامور وهؤلاء الاولياء بظنك انهم يشفعون لك عند الله فلم لا تدعوا الله مباشرة فالله يغضب ان تركت سؤاله.

ومناسبة الآية :

أنه إذا كانت الملائكة المقربون لا تغنى شفاعتهم إلا بإذن الله ورضاه فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها .

٥/ قوله: {قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له}

قل ادعوا : تحتمل أنه أراد "أحضروهم" .

وتحتمل انه أراد "ادعوهم دعاء مسألة" . وهو أمر تعجيز لان هؤلاء كما بين الله بعد ذلك لا يملكون وليسوا شركاء ولا مظاهرين معاونين . والشفاعة لا يملكها إلا الله .

ذرة : الذر صغار النمل يضرب بها المثل في القلة .

قال ابن القيم : فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا متنقلا من الأعلى إلى ما دونه فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوحيد وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها.

المسألة السادسة: ذكر المصنف كلام ابن تيمية في الشفاعة، وهو كلام متين، قال فيه رحمه الله: **نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله. ولم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده" (لا يبدأ بالشفاعة أولا). ثم يقال له: "ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع".**

وقال له أبو هريرة: "من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله

خالصا من قلبه" فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.

وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. ا ه كلامه

وخلاصة كلام الشيخ ما سبق بيانه، وهنا تأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حيث جعل أشرف أسباب نيل الشفاعة توحيد الله، ولذا قال ابن القيم: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم أوليائهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب واخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد فحينئذ يأذن الله للشافع والمشفوع.

ثم تأمل قوله عن رسول الله ﷺ "أنه لا يسأل إلا حين يخر ساجدا ويدعو ثم يؤذن له بالشفاعة" فإذا كان الرسول ﷺ وهو أعظم الناس جاها عند الله لا يشفع إلا بعد أن يحمد الله ويثني عليه ويتضرع ويطيل السجود ويفتح عليه من المحامد، فكيف بهذه الأصنام .

*** فائدة: ذكر أهل العلم أن الشفاعة قسمان:**

١/ **الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ** : وهى أقسام

١- العظمى : لأهل الموقف . ٢- شفاعته لأهل الجنة ان يدخلوها . ٣- شفاعته لبعض الكفار أن يخفف عذابهم وهذه لأبى طالب خاصة .

٢/ **العامة له ولغيره من الأنبياء** ، ويدخل فيها صور

١- الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها

٢- الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها : وهذه اجمع عليها الصحابة وأهل

السنة

٣- الشفاعة في رفع درجات المؤمنين وزيادة ثوابهم .

(١٧) باب قول الله تعالى

{إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}.

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله (: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي}".

وأنزل الله في أبي طالب: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}.

عقد المصنف هذا الباب بعد باب الشفاعة، وذكر فيه أية وحديث، وهذا الباب ينتظمه مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بالباب، وفكرته الأساسية :

أراد المؤلف أن يبين في هذا الباب حال النبيﷺ، الذي هو أفضل الخلق وأقربهم لله، وأعظمهم جاها، ومع ذلك حين حرص على هداية عمه أبي طالب، الذي خدمه وحماه، لم يقدر رسول اللهﷺ على هدايته، بل إنه استغفر له بعد موته، فنهاه ربه.

وإذا تقرر هذا، تعلم أن رسول الله ﷺ – ومن باب أولى من هم دونه، من الأنبياء، أو الصالحين، فضلا عن غيرهم – لا يملكون النفع والضر، وأن ذلك كله بيد الله، إذ لو كان هذا لأحد من الخلق، لكن لأفضلهم منهرضي الله عنه نصيبا وافرا.

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب آية وحديث.

أما الآية فهي قوله (**لا تهدى من أحببت...**) والمعنى: ليس إليك أن تهدى من أحببت هدايته، إنما عليك البلاغ، والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء، وله الحكمة البالغة سبحانه. .

* **فإن قيل**: كيف يجمع بين هذا وبين قوله(وانك لتهدى إلى صراط مستقيم) وما هي الهداية التي أثبتها الله له، والتي نفاها ؟

= الهداية نوعان :

١- هداية دلالة وإرشاد : بأن يدل ويرشد إلى الحق، فهذه تتوجه إلى النبي ﷺ كما في قوله " لتهدى إلى صراط مستقيم ".

٢- هداية توفيق : بأن يوفق صاحبه للخير والبر فهذه ليست إلا لله .

وأما **الحديث** فهو في خبر النبي ﷺ مع أبي طالب.

وقوله " **لما حضرت أبو طالب الوفاة** " معلوم أن من حضرته الوفاة لا ينفعه إيمانه، كما قال الله (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) وعلى هذا فيقال بأن حضور الوفاة هنا تحتمل معنيان :

١- حضرت علامات الوفاة : وإلا لو انتهى إلى المعاينة لم تنفعه ولو قالها، ويدل لذلك أنهم تراجعوا الكلام، وهذا لا يكون لمن هو في الترع.

٢- حضرته الوفاة الحقيقية : لكن رجا النبي ﷺ أنه إذا نطق بها -ولو في تلك الحال- أن تنفعه ويشفع هوﷺ فيه، ولذا قال "أجادل لك بها" " اشفع لك"" اشهد لك بها" و لم يجزم أنها تنفعه لو قالها، فيكون هذا خاصا بأبي طالب، أما غيره فإذا وصل إلى هذا الحد لا تقبل منه توبة.

وقوله " **ياعم قل لا اله إلا الله** " أي قلها بلفظها، واعتقد معناها، ولا يكفى أحدهما عن الآخر، فمن قالها بلسانه و لم يعتقدها قلبه حقنت دمه في الدنيا فقط، ومن اعتقدها قلبه و لم يلفظ بها لم يدخل في الإسلام.

وإنما لم يقل له النبي ﷺ اعتقدها مع ذلك بقلبك :

١/ لان العرب يعرفون هذه الكلمة ومعناها، ولهذا أنكر عليه قولها أبو جهل وصاحبه.

٢/ ولان أبا طالب كان يعتقد بقلبه أن الإسلام هو الحق، لكن هذا لا ينفعه لأنه لم ينطق.

وقوله "**كلمة**" منصوبة، بناء على أنها بدل من لا إله إلا الله، والقاعدة أن البدل يتبع المبدل في إعرابه، ويجوز رفعها على إضمار المبتدأ، قاله القرطبي في المفهم، ومعلوم أن الكلمة هنا يراد بها الجملة، لا الكلمة المفردة، ومنه قولهﷺ " **أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**".

وقوله " **أترغب عن ملة عبد المطلب** " أتيا بالكلام على صيغة الاستفهام مبالغة في الإنكار عليه في مخالفة الآباء والكبراء، فهما لما خشيا أن يقولها ذكراه بالحمية الجاهلية، وأن القضية أنه إذا قالها فسيخالف ملة عبد المطلب والده، وهذه حجة شيطانية لبس بها الشيطان على عدد من الكفار، ولذا أخبر الله أن فرعون لموسى (**فما بال القرون الأولى**) هل كلهم ضلوا، وأنت المهدي أنت ومن معك؟! قال السعدي: أي: ما شأنهم، وما خبرهم؟ وكيف وصلت بهم الحال، وقد سبقونا إلى الإنكار والكفر، والظلم، والعناد، ولنا فيهم أسوة؟، وقال الله عن بعض الأمم قولهم (**وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**)

وتأمل هنا ضرر رفيق السوء، كيف حرصا على إضلاله، وثنيه عن الإسلام، والعجيب أن عبد الله بن أمية اسلم بعد ذلك .

وقوله " **فأعاد عليه النبي ﷺ** " أعاده عليه لشدة حرصه على هداية عمه، ولم ييأسﷺ، وهكذا ينبغي للداعية أن لا ييأس.

وقوله " **فأعادا** " أي كررا عليه المقولة السابقة خوفا من إسلامه .

وفي صحيح مسلم تتمة الحديث (**لولا أن تعيرني قريش يقولون، إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك**) أي سررتك بقولها ، وأبلغتك أمنيتك

وقوله " **هو على ملة عبد المطلب**" هذا من تصرف الرواة، وإلا فأبو طالب قال "أنا.." ومثل هذه التصرفات مستحسنة، كما قال ابن حجر.

وفى رواية أن رسول الله ﷺ قال بعد ذلك " **أما والله لاستغفرن لك** " فأكدت بثلاث مؤكدات ١- القسم. ٢- اللام . ٣- نون التوكيد الثقيلة . وذلك تأكيدا لعزمه ﷺ وهذا من مجازاته له على المعروف ، لكن كأنه خشي أن ينهى فقال " **مالم انه عنك**" وفعلا نهى عن ذلك

وقوله **فأنزل الله** (: **{ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي}**". هذا خبر بمعنى النهى : أي ما ينبغي لهم ذلك.

* **فان قال قائل:** قوله في الحديث" فانزل الله" تفيد أنها نزلت بعد هذه القصة، وكانت في مكة، وقد ورد أن رسول الله ﷺ لما اعتمر مر على قبر أمه فاستأذن ربه في أن يستغفر لها ، فكيف استأذن بعد النهى؟ وكيف قيل أن الآية نزلت بعد استئذانه الاستغفار لامه؟

= منهم من قال: يحمل هذا على أن الآية تأخر نزولها، فتكون نزلت إثر استئذانه في الاستغفار لأمه، وحينها يكون لها سببان: متقدم؛ وهو أمر أبى طالب، ومتأخر ؛ وهو أمر أمهﷺ ، وقد يؤيد هذا قول الراوي "فانزل الله في أبى طالب فقال انك لا تهدى" فهذا يشعر أن الأولى نزلت في أبى طالب وغيره، بينما قال في الثانية " وأنزل في أبى طالب" .

وأقرب من هذا أن يقال أن الآية هذه نزلت في قصة أبي طالب، ولذا حين أراد أن يستغفر لأنه استأذن ربه، والاستئذان يدل على وجود منع سابق، والله أعلم .

ومناسبة الحديث للباب :

أن فيه نفى هداية التوفيق عن النبي ﷺ، وإذا انتفت عن أكرم الخلق فغيره من باب أولى، ويكون طلبها من غير الله شرك .

ومما يؤخذ من الحديث غير ما سبق الإشارة إليه .

١- جواز عيادة المشرك إذا رجي إسلامه .

٢- تفسير كلمة لا اله إلا الله وهو أمر عرفه أبو جهل حين قال لأبى طالب أترغب

عن ملة عبد المطلب، وكم ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف معنى لا اله إلا الله، ولذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فقبح الله من أبو جهل اعلم منه بأصل الإسلام .

٣- الرد على من زعم إسلام أبي طالب : وهم الرافضة .

(١٨) باب ما جاء

أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق}.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا} قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلم هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت".

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: "لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم".

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله"أخرجاه.

وقال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والغلو ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو".

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: "هلك المتنطعون – قالها ثلاثا".

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب عن الغلو، وهو من الأبواب العظيمة كذلك، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: المقصود من الباب:

الغلو : هو مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه، قال الراغب في المفردات: الغلو تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء ، وإذا كان في القدر والمنزلة غلو. المفردات في غريب القرآن للراغب (٣٦٤)

وقال ابن تيمية: الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك. اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٢٨٩)

وقد أرد المصنف في الباب أن يبين أن السبب في الوقوع في الشرك بالله تعالى، والباعث الأول له هو الغلو في هؤلاء الصالحين الذين عبدوا من دون الله، ومن هنا بدأت شرارة الضلالة، ودخل الشيطان على هؤلاء، فالناس إنما جرهم إلى الشرك غلوهم في هؤلاء المعبودين.

ومناسبة الباب لما قبله:

إذا عرفت هذا تبين لك أن المناسبة بينه وبين ما قبله ظاهرة، وبيان ذلك: أنه لما ذكر بعض ما يقع من عباد القبور مع الأموات من الشرك، أعقب ذلك ببيان سببه وهو الغلو.

المسألة الثانية: نصوص الباب:

ذكر في الباب آيات وأحاديث تبين أثر الغلو، ونشير إليها الآن:

١/ قول الله {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق}.

والمخاطب هنا هم أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى، أن لا تغلوا في دينكم، والنصارى كان سبب ضلالهم أنهم غلوا في عيسى، حتى ألهوه وعبدوه، وغلوا فيمن كان معه من أتباعه فادعوا فيهم العصمة، واليهود غلوا في عيسى قدحا، وادعوا انه ولد بغى .

ومناسبة الآية للباب : أن من دعا نبيا أو وليا من دون الله وغلا فيه فقد شابه والنصارى اليهود .

قال ابن تيمية : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط وضاهاهم في ذلك فقد شابههم أ.ه.

وأنت لو تتبعت كل من ضل من الفرق لوجدت أنه بسبب غلوهم في جانب، فالرافضة غلو في حب على وآل البيت، والنواصب بضد ذلك، والجهمية غلو في جانب نفى التشبيه لله حتى نفوا عنه كل شيء، وهؤلاء الذين يعظمون الأولياء ضلوا حينما غلوا فيهم.

ففي الآية : التحذير من الغلو في الصالحين والأنبياء، فانه كان سبب ضلال النصارى واليهود .

٢/ حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا} قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح" رواه البخاري

كان الناس قبل نوح ﷺ على الإسلام، فقد ورد عن ابن عباس " كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الشرك بعد ذلك " وكانت البداية منهم حينما غلو في هؤلاء، فإنهم كانوا صالحين، ثم ماتوا في زمن متقارب فحزن الناس عليهم، فاستغل الشيطان هذه العاطفة وأشار عليهم بهذا الرأي وهو أن ينصبوا في مواضعهم صورهم، ويسموها بأسمائهم، تخليدا لذكرهم، ولينشطوا للعبادة كلما رأوهم، فلما هلك ذلك القرن سوس الشيطان إلى من جاء من بعدهم أن من سبقوكم وضعوا هذه لأجل عبادتهم.

والظاهر أن هؤلاء الأشخاص الخمسة كانوا قبل نوح، لان نوحاﷺ أتاهم ودعاهم إلى ترك عبادة هؤلاء الأصنام، وهذا الموافق لظاهر القران، وقاله جمع من السلف .

ومناسبة الحديث للباب : أنك ترى أنه ما أوقع هؤلاء في الشرك إلا الغلو في الصالحين ومحبتهم حتى صوروهم فدخل الشيطان عليهم من هذا المدخل، فالغلو مدخل شيطاني لإيقاع الناس في الشرك، ومنه دخل على كثير من الناس اليوم .

ثم ذكر المصنف كلام ابن القيم مبينا أن أول الخلل وقع بسبب الغلو فقال" **قال ابن القيم : قال غير واحد من السلف: "لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"**.

فقد ذكر ابن القيم طريق الشيطان في تدرجه بهم حتى أوصلهم إلى الشرك سواء هم أو غيرهم من عباد الأصنام أو القبور فقال: ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته : ما أوحاه قديما وحديثا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها ثم جعلت تلك الصور أجسادا لها

ظل ثم جعلت أصناما وعبدت مع الله تعالى، وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح كما أخبر سبحانه عنهم في كتابه حيث يقول قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا) وبين في موضع آخر أن تدرجه كان خطوة خطوة:

– ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وتعظيمهم وان الدعاء عندها أرجى في الإجابة حتى تقرر ذلك عندهم .

– بعد ذلك نقلهم إلى الإقسام على الله بها والدعاء بها وهذا أعظم من الذي قبله فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه .

– ولما تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثنا يعبد ويعكف عليه ويطاف ويذبح عنده وغير ذلك .

– ونقلهم إلى معاداة من نهى عن الشرك بحجة أنهم حطوا من مترلة هؤلاء الأولياء فنفروا الناس عنهم وعادوهم، وهذا في السابق " وإذا ذكر الله وحده اشمأزت ..."وهو موجود إلى الآن .

٣/ حديث عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسول"

والإطراء : المبالغة في المدح ومجاوزة الحد.

والنصارى غلو في إطراء عيسى عليه السلام حتى ادعوا له الألوهية.

فنهى النبي ﷺ أتباعه من إطراءه ﷺ كما وقع من النصارى، وأعقب ذلك ببيان مترلته الحقيقة حين قال "إنما أنا عبد.." ليس لي في الربوبية حق، بل أنا عبد، والعبد من شأنه انه لا يملك ولا يتصرف في أمر سيده، وكل الخلق عباد لله.

ثم طلب منهم ﷺ التوازن والتوسط في حقه، بلا إفراط ولا جفاء فقال: (**فقولوا عبد الله ورسوله**) فيصفوه بالعبودية، ولا يرفعوه فوق ما جعله الله له، ولا يجفون في

حقه، بل يجمعوا بين الوصفين عبد الله ورسوله .

ومناسبة الحديث للباب: بيان أنه ما أوقع النصارى فيما وقعوا فيه إلا الغلو في عيسى عليه السلام، ولذا حرص النبي ﷺ على التحذير مما وقعوا فيه من الغلو حتى لا نضل كما ضلوا .

* والعجيب : أن عباد القبور ناقضوا هذا، واعتقدوا أن من اكتفى بوصف النبي ﷺ بأنه عبد الله وانه لا نفع بيده ولا ضر فقد جفا في حقه، ونقص من قدره، ولذا فهم رفعوه فوق منزلته فضلوا بذلك، كما هو مشهور في تعظيمهم لقبره وحلفهم به وتوسلهم به، بل ودعائهم إياه، وكم أفاض شعراء الصوفية في تعظيم النبي ﷺ، وذاك باعتقادهم قربة، وهو عين ما نهى عنه ﷺ من الغلو فيه وإطرائه، وأضرب هنا بمثالين

المثال الأول: محمد بن سعيد البوصيري ، المتوفى في الإسكندرية سنة ٦٩٥ هـ، وله قصيدة شهيرة تسمى البردة، لها شأن عند الصوفية، يقول في بعض ابياتها:

فإن لي ذمة منه بتسميتي * * * محمدا ، وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي آخذا بيدي * * * فضلا فقل يا زلة القدم

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به * * * سواك عند حلول الحادث العمم

إلى أن قال:

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به * * * إلا ونلت جوارا منه لم يضم

المثال الثاني: عبد الرحيم البرعي اليماني، له قصيدة من أبياتها.

يا سيدي يا رسول الله ، يا أملي * * * يا موئلي ، يا ملاذي ، يوم تلقاني

وقوله: سيد السادات من مضر * * * غوث أهل البدو الحضر

وهذا من أثر الغلو، الذي وقع من هؤلاء في حق النبيﷺ، وليس ذاك بتعظيم له، وإنما يتحقق تعظيمه بأن يسلك تجاهه ما سلكه أصحابه رضي الله عنهم.

٤/ قال رسول الله ﷺإياكم والغلو ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو".

والحديث جزء من حديث ابن عباس عند النساي وغيره، ولفظه " قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع هلم القط لي فلقطت له حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"

والحديث فيه النهى عن الغلو والتحذير منه ، وهو وان كان قد ورد في سبب خاص وهي رمي الجمار ، إلا أنه عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، كما قال ابن تيمية ، ودين الله وسط بين الغالي والجافي، وابن تيمية بين في الواسطية أن مذهب أهل السنة وسط بين طرفي ضلال، في كثير من أبواب الانحرافات.

٥/ عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: "هلك المتنطعون– قالها ثلاثا"

التنطع : التعمق والتكلف، وهو مذموم سواء في القول؛ بالتقعر في إظهار الفصاحة، أو في الفعل؛ بأن يزيد في العبادة على الحد المشروع، كما قال أولئك " أما أنا فأصوم ولا افطر .." ومن ذلك التنطع في حب الصالحين.

وعلى كل حال: **فمناسبة الحديث للباب:** أن فيه النهى عن الغلو من وجهين :

١/ التحذير منه والنهى عنه في قوله " إياكم ".

٢/ بيان أنه سبب هلاك الأمم السابقة .

(١٩) باب ما جاء من

التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة: "أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺكنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله" . فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما، عنها، قالت: "لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال -: وهو كذلك- لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا" أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك". فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: "خشي أن يتخذ مسجدا" ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا".

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد" ورواه أبو حاتم في صحيحه.

عقد المؤلف هذا الباب، والكلام عليه في مسال:

المسألة الأولى: المقصود بالباب والمراد منه:

لما كان سبب كفر بني آدم هو غلوهم في الصالحين، وكان قد بين في الباب السابق ذم الغلو، أراد أن ينوع التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه في باب آخر ليكون ابلغ في الترهيب، فعقد هذا الباب، الذي فكرته : أنه إذا كانت عبادة الله عند قبر فيها تشديد ونهي، لما في ذلك من الغلو، فما بالك بمن يعبد نفس صاحب القبر ويدعوه، بلا شك أنه أعظم.

المسألة الثانية: ورد في النصوص ما يدل على أن بناء الأبنية على القبور، واتخاذ مواضعها للعبادة محرم، وهو صنيع شرار الخلق، وقد جاء الشرع بالنهي عن ذلك سدا لذريعة تعظيمها التي توصل إلى الشرك بها وعبادتها.

وقد ساق المصنف مستدلا لهذا المعنى ثلاثة أحاديث:

١/ حديث عائشة ﵂ في الصحيحين، في ذكر الكنيسة التي رأتها أم سلمة بأرض الحبشة، ووصفتها بأنها كان فيها تصاوير لأناس، ويظهر أن هذا التصاوير هي صور أقوام صالحين، كما أفاد ذلك كلام النبي ﷺ بعد ذلك، فجاء تعليق النبي ﷺ بأن هؤلاء – الذين صنعوا هذا – أنهم شرار الخلق عند الله، ووصفهم بهذا الوصف يقتضى تحريم فعلهم، بل سيأتي في الحديث الأخر " لعن الله اليهود ..." وهذا سد لذريعة الشرك .

ثم ذكر المصنف كلاما لابن تيمية معلقا على الحديث، وهو قوله " **فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل** "

ومضمون كلام الشيخ، هو أن هؤلاء الذين بنوا على الكنيسة جمعوا بين فتنتين:

ا- فتنة القبور : بتعظيمهم لها وبناء المساجد عليها وهى مبدأ الفتنة كما تقدم.

ب- فتنة التماثيل : أي الصور، وهى سبب وقوع قوم نوح في الشرك كما تقدم .

وإنما سمى ذلك فتنة : لأنها سبب لصد الناس عن دينهم، وكل ما كان كذلك فهو من الفتنة (إن الذين فتنوا المؤمنين ...) وهاتان الفتنتان هما سبب عبادة الصالحين .

ومن هنا تعلم : العلة في النهى عن اتخاذ المساجد والأبنية على القبور، وهو سد ذريعة الشرك وعبادتها، فحسم الأمر، بل حرم الصلاة في المقبرة .

* **فإن قيل**: إن النهى الوارد هو عن بناء المساجد على القبور، أي فوقها، لكن لو بني المسجد بجوار قبر ولي، فلا حرج، لأن النهى لا يشمله، إذ هو مقيد ب"على" حيث قال في الحديث "بنوا على قبره مسجدا" فيجوز بجنبها، فكيف الجواب ؟

= الجواب من وجهين :

١- أن هذا كلام من لا يعرف العربية فان (على) تأتى على معاني ، منها (عند) ويدل لها نصوص كقوله (إذ هم عليها قعود) اى عندها (ولا تقم على قبره) وليس مراده لا تقم فوقه ، وكذا (أو كالذي مر على قرية ..) إلى غيره من النصوص ، مما يؤكد انه لا حجة لمن احتج باللغة في كلمة (على) إذ أن (على) لها معاني كثيرة .

٢- لو لم يأت إلا هذا الحديث لم يكن لهم فيه متمسك ، فكيف وقد جاءت ألفاظ أخرى فيها التحذير كاللعن في الحديث القادم .

٢/ حديث عائشة أيضا في الصحيحين: **قالت: "لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال -: وهو كذلك- لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.. "**

فلما لعنهم النبي ﷺ علل اللعن بقوله " اتخذوا قبور ..." أي بنوا عليها أماكن يتعبدون عندها لله، وان لم تسمى مساجد .

وعلى هذا : فمن بنى على قبور الصالحين بناء، وميزه به عن غيره فهو داخل في هذا الأمر .

والتغليظ يؤخذ من الحديث من أوجه :

١- لعن النبي ﷺ من فعل هذا .

٢- أنه قال " قبور أنبيائهم ...." فإذا كان اللعن في حق من وضع البناء على قبر

النبي فلعن فغيره – ممن وضع ذلك على قبور من دونهم– أولى .

٣– أن هذا الكلام منه ﷺ كان في شدة النزع وعند الموت، مع ما سبق من النهي عن ذلك تأكيدا للأمر، والمرء عند الموت سيؤكد على أهم الأشياء عنده.

٣/ حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعا "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد " رواه أبو حاتم في صحيحه.

وقد بين النبي ﷺ أن الناس يتفاوتون في الشر، ولكن من الموصوفين بشرار الناس طائفتان:

١– من تقوم عليهم الساعة ، ولا يعارض هذا حديث " لا تزال طائفة .... حتى تقوم الساعة " لأن المراد قرب قيام الساعة .

ب– الذين يتخذون القبور مساجد .

المسألة الثالثة: النبي ﷺ لم يدفن في المقبرة، بل دفن في حجرته، يدل لذلك قولها ﷺ " **ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا**"

وفي هذه الجملة بيان سبب دفن النبي ﷺ في حجرته، وعدم إبرازه للناس، وأن ذلك لأمرين:

أ/ انه أصون له من دفنه مع الناس ، حيث لو وقع ذلك لكان فيه فرصة للغلاة .

ب/ ولإخباره ﷺ أنه ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض.

وإذا كان النهى للمسجد الذي يصلى فيه لله لا لغيره ، وعند قبر النبي، فما بالك بمن يقيم حول القبور والأضرحة مساجد وقبب يصلى فيها، ويطوف عليها، ويدعو الميت مباشرة أن يشفع له أو يفرج عنه .

* **فإن قيل:** كيف يجاب عن وضع قبر النبي ﷺ في المسجد، وهذا كان منذ القدم و لم ينكره العلماء ؟ أوليس هذا السكوت دليل على جواز جعل القبور في المساجد ؟

= الجواب من أوجه :

١- أن القبر جعل في بيته، ولعل ذلك لئلا يكون بارزا للعوام فيفتن به الجهال .

٢- أن المسجد كان موضوعا قبل القبر، فلم يبن المسجد على القبر ، وهذا معلوم.

٣- القبر لم يكن في المسجد، بل إن الصحابة لما احتاجوا إلى توسعة المسجد في عهد عمر ﷺ تحاشوا إدخال حجرات النبي ﷺ وأخذوا بيت العباس وهى بجوارها، وكذا عثمان ﷺ لم يدخل الحجرات في المسجد حين وسعه .

٤- إدخال حجرات أمهات المؤمنين في المسجد وقع في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقيل إن ذلك بعد التسعين، ولم يكن بقى من الصحابة بالمدينة أحد، وآخر من مات بالمدينة جابر بن عبد الله في خلافة عبد الملك .

٥- أنكر على الوليد بعض كبار التابعين، ومن أشهرهم سعيد بن المسيب أفضل التابعين، وقد أخطأ الوليد في ذلك، وفعل ذلك من غير مشاورة للعلماء .

٦- وضع القبر الآن في حجرة مستقلة منعزلة عن المسجد، ومع ذلك بني على طريقة لا يقدر فيها أحد أن يستقبله، إذ بني على ثلاث جدران .

المسألة الرابعة: ورد في الباب ما يدل على النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وقد ساق فيه حديث جندب بن عبد الله ﷺ قال: **سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، "فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد"**

وقوله "**إني أبرأ إلى الله**" : أي امتنع من هذا وأنكره وأتخلى عن أن يكون لي منكم خليل .

والخليل: الذي يبلغ في الحب غايته، لأن حبه قد تخلل الجسم كله ، وهى أعلى درجات المحبة كما عددها ابن القيم وغيره في روضة المحبين .

قال ابن القيم : وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أرفع وأكمل من الخلة، وأن

إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهلهم، فان المحبة عامة والخلة خاصة وهى نهاية المحبة، ويدل لذلك : أن النبي ﷺ اخبر انه لم يتخذ خليلا ومع ذلك أخبر بحبه عائشة ولأبيها ولعمر، والله يحب التوابين، أما الخلة فهي خاصة بالخليلين ا. ه. وعلى هذا : فمحمد خليل الله وحبيب الله وكليم الله .

والحكمة من عدم اتخاذ النبي خليلا له من الخلق ما قاله القرطبي : إنما قال ذلك لان قلبه ﷺ قد امتلاء بمحبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع لمخالة غيره .

والشاهد في الحديث قوله " **ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**"

وفي هذا الحديث المنع من اتخاذ القبور مساجد من ثلاثة أوجه .

ا- ذم ما فعله أهل الكتاب .

ب- قوله " لا تتخذوا ".

ج- إني أنهاكم عن ذلك وهو توكيد

وهذا النهى عن اتخاذ القبور مساجد يشمل :

ا- اتخاذها مصليات يصلى عندها وإن لم يبن مسجدا .

ب- إن يبني عليها مسجدا كما فعل اليهود والنصارى، وكما وقع من البعض الآن وبناء القباب ونحوها .

المسألة الخامسة: أهل العلم يقررون أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد هو أوسع من بناء البناء المعهود عليها، بل جعل هذه البقعة موضعا للعبادة يدخل في اتخاذها مسجد، يفهم هذا من كلام ابن تيمية الذي ذكره المصنف، ونصه: **فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: "خشي أن يتخذ مسجدا" ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا "**

ومضمون كلام شيخ الإسلام هو: أنه يقرر أن كل موضع قصدت أن تصلى فيه

وتسجد فيصح أن يسمى مسجدا ، بل كل موضع صليت فيه فهو في حقيقة الأمر مسجد، قال العثيمين : وهذا يشهد له العرف، فإن الناس الذين لهم مساجد في أعمالهم كالوزارات والإدارات، لو سألت احدهم أين المسجد لأشار إلى المكان الذي اتخذه مصلى مع انه لم يبنى فيه، ثم ساق ابن تيمية حديث"جعلت لي الأرض مسجدا.." ليستدل به على أن المكان الذي يصلى فيه يسمى مسجدا، سواء قصدا أو لم يقصد، بني عليه أو لا .

المسألة السادسة: خلاصة الباب تتبين بكلام الشيخ السعدي رحمه الله حيث قال: ما ذكر المصنف في البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم، وذلك أنه نوعان .

١- مشروع . ٢- ممنوع .

فالمشروع : ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي .

والممنوع نوعان :

ا- محرم ووسيلة للشرك : كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها والصلاة عندها وكإسراجها والبناء عليها والغلو فيها وفى أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

ب- شرك اكبر : كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم . وهو شرك اكبر وعين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم .

(٢٠) باب ما جاء أن الغلو

في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد {أفرأيتم اللات والعزى} قال: "كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره".

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: "كان يلت السويق للحاج". وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج" رواه أهل السنن.

عقد المصنف هذا الباب، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: مراد المصنف بالباب:

أراد المصنف بهذا الباب أمور .

١- التحذير من الغلو في قبور الصالحين، وهى داخلة فيما سبق لكنها خصت لأهميتها، وعظم خطرها وكثرة الضلال فيها .

٢- بيان أن الغلو فيها يؤول بالناس إلى عبادتها .

٣- بيان أنها إذا عبدت سميت أوثانا ولو كانت قبور الصالحين لأن الوثن كل ما عبد من دون الله من قبر أو حجر أو شجر .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب ما يدل على أن اتخاذ القبر مسجد يجعله وثنا يعبد، وفي الباب قوله ﷺ **"اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**

فدل على أن قبر الرسول لو عبد لكان وثنا كما قال " وثنا يعبد " وإذا كان هذا في قبر النبي ﷺ فما ظنك بغيره من القبور التي يدعوها ويعبدها الناس، لاشك أنها صارت بذلك أوثانا .

المسألة الثالثة: ورد في الباب ما يدل على أن سبب عبادة أهل القبور لهؤلاء هو غلوهم فيهم، حتى أوصلهم ذلك لأن يعبدوهم من دون الله.

وقد ذكر في الباب كلام مجاهد على قوله تعالى{**أفرأيتم اللات والعزى**} قال: "كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره".

فسبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثنا يعبد وحتى صار ذلك هو السبب في وقوع الشرك في قوم نوح، واليوم ترى من الأمة من يغلو في الأموات ويبنى عليهم القباب والمشاهد ونحوه .

المسألة الرابعة: أنه ﷺ نهى عن كل ما يكون سببا لتعظيم القبور، ومن ذلك جعل السرج عندها، وكذا تجصيصها والبناء عليها، لما يوقع ذلك من تعظيمها في نفوس بعض العامة.

وقد ساق في الباب حديث ابن عباس قال " **لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**" رواه أهل السنن .

قال ابن قدامه : لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله لأن فيه تضييعا للمال على غيره، وإفراطا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام .

باب ما جاء في

حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين: "أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال:لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم" رواه في المختارة

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بهذه الترجمة

ما سبق من الأبواب كلها في حماية النبي ﷺ للتوحيد، لكن في هذا الباب أراد أن يبين حمايته الخاصة للتوحيد، وما كان عليه ﷺ من المبالغة في التحذير من الشرك وحماية التوحيد، فذكر في الباب نصوصا تبين هذا الهدي من النبي ﷺ، وأنه حريص على أن يحمي الأمة من كل أمر قد يدخل عليهم الشرك من قبله، وذاك ناشيء من تعظيمه لربه، أن يشرك به، ومن رحمته بالأمة أن لا تزل بهم القدم في مهاوي الشرك .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى **{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}**

والمعنى: أن الله يقول ممتنا على الأمة أني أرسلت إليكم أيها العرب رسولا من جنسكم يخاطبكم بلسانكم، وأيضا هو من خالص العرب فلم يصبه من ولادة الجاهلية شيء . يشق عليه ما يشق عليكم، ولهذا بعث بالحنيفية السمحة وكان شريعته اسمح الشرائع في العمل وكان يترك أمورا لئلا يشق على أمته .

والشاهد: أن الله بين في الآية بعض أوصاف النبي ﷺ ومحاسنه التي تقتضى أنه ينصح لامته ويسد الطرق الموصلة إلى الشرك لئلا تقع الأمة في ذلك وهذا ما فعله ﷺ.

المسألة الثالثة: من حرصه ﷺ على إغلاق باب الشرك نهيه أن يتخذ قبره عيدا، وقد ورد في الباب حديثان يدلان على هذا:

١/ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ : "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" رواه أبو داود بإسناد حسن.**

وقوله " **لا تجعلوا بيوتكم قبورا**" : ذكر ابن تيمية أن هذه الجملة فيها فائدتان :

ا- النهي عن تعطيل الصلاة في البيوت لئلا تشبه القبور فأمر بتحري العبادة فيها.

ب- النهي عن الصلاة عند القبور وبيان أن القبور لا يتعبد فيها وعندها، فإذا كان النبي ﷺ شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر، ففيه أن القبر لا يتعبد فيه ولا عنده .

وقوله " **لا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**"

العيد : اسم لما يعود ويعتاد فعله ، قال بن القيم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان .... ا.ه.

ففيه : أن النبي ﷺ نهى عن زيارة قبره على وجه مخصوص واجتماع كالعيد الذي يكون على وجه مخصوص فيكون قبره مكانا يجتمع فيه للعبادة .

قال العثيمين : أي لا ترددوا على قبري ولا تعتادوا ذلك، سواء قيدوه بالسنة أو الشهر أو الأسبوع فإنه نهى عن ذلك إنما يزار لسبب كما لو قدم من سفر أو زاره ليتذكر الآخرة .

قال ابن باز : لا يدخل في هذا زيارته ﷺ بدون شد رحل وبدون غلوا فيها وعبادة عندها.

والشاهد في الحديث: أن فيه حماية النبي لجناب التوحيد فيما يتعلق بقبره وغيره من جوانب:

١- بيان أن القبر موضع لا يتعبد لله عنده .

٢- نهيه أن يجعل قبره عيدا .

٣- بيان انه ليس للصلاة عليه عند قبره خاصية بل إذا قصد القبر للصلاة عليه فهذا منهي عنه انما يقصد للسلام عليه بدون شد رحل، ويصلى عليه إذا قدم للمدينة بلا سفر لأجل ذلك إذا صليت عليه في أي موضع بلغه .

٢/ ما أورده عن علي بن الحسين **"أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال:لا تتخذوا قبري عيدا "**

هذا الرجل كان يتكرر ويتردد على هذا الموضع وذلك لاعتقاده أن له فضل ومزية، أو لم يكن يعتقد أن له مزية، إنما يتردد على قبر النبي ﷺ ليصلى عليه ويدعو عنده ربه، لكن هذا من وسائل الشرك، ويفتح بابا إلى الشرك، فنهاه على بن الحسين، وبين له أن صلاته على النبي ﷺ تبلغه أينما كان .

وفيه أيضا : الإنكار على من يأتي ويدعوا عند قبر النبي ﷺ.

باب ما جاء أن

بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا} .

وقوله تعالى: {قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت}.

وقوله تعالى: {قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا}.

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟" أخرجاه.

... ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله زوي لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا" ورواه البرقاني في صحيحه.

وزاد: "وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى".

عقد المصنف هذا الباب "باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان " والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب للتوحيد :

أراد المؤلف بهذا الباب أن يذكر ما ورد في النصوص أن الشرك سيقع في الأمة، وسيعود بعضهم إلى عبادة الأوثان .

وهذا الأمر فيه رد على من زعم – من خصوم الشيخ وغيرهم- أن الشرك لا يقع في هذه الأمة، وأن ما يكون من عباد القبور والأولياء ليس من الشرك لأن الأمة معصومة منه بحديث " إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب.."

المسألة الثانية: استدل المصنف على هذا المعنى بآيات وأحاديث:

أول الآيات: قوله تعالى {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت "

وقوله " ألم تر " هذا استفهام للتقرير : أي قدر رأيت يا محمد .

وقوله "يؤمنون بالجبت والطاغوت والطاغ" الجبت : عام لكل صنم أو سحر أو كهانه ونحوه .

والطاغوت : ما تجاوز به العبد حده من معبود كالأصنام أو متبوع كعلماء الضلال أو مطاع كالأمراء إذا كانت طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام .

ومناسبة الآية للباب : أن اليهود والنصارى مع أنهم أوتوا نصيبا من الكتاب آمنوا بالجبت والطاغوت، وهذه الأمة التي قال النبي ﷺ عنهم " لتتبعن سنن من كان قبلكم ...." سيكون فيهم من يكفر ويتبع سنن من قبلهم ويؤمن بالجبت والطاغوت .

وثاني الآيات: قوله تعالى: {قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدالطاغوت}

وقوله " قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله " أي قل يا محمد لهؤلاء اليهود – الذين ذموا دينكم وقالوا لم نر أهل دين شرا منكم– هل أنبئكم بشر جزاء وثوابا عند الله مما تظنونه بنا، هم أنتم الموصفون بهذه الصفات المذمومة في الآية .

*ومناسبة الآية للباب : أنه إذا كان أهل الكتاب فيهم من عبد الطاغوت فلابد أن يكون في هذه الأمة من يتشبه بهم ويعبد الطاغوت، لأنه ﷺ قال "لتتبعن سنن من كان قبلكم..".

وثالث الآيات: قوله تعالى: {**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا**}.

أي قال الذين اطلعوا على أمر أصحاب الكهف، وغلبوا على أمر القوم من السلاطين وأصحاب النفوذ؛ سنتخذ في موضع أصحاب الكهف مسجدا نعبد الله فيه .

ومناسبة الآية للباب : كما في سابقتها، أن الله بين أن من سبقنا بنوا على القبور مساجد، وهذه الأمة ستفعل ما فعلوا، وفعلا وقع، فقد بني على القبور مساجد ووقع الشرك في الأمة .

وأما الأحاديث فأولها حديث أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**"

وهذا إخبار من النبي ﷺ وهذه معجزة من معجزاته أن الناس سيتبعون سنن وطريق اليهود والنصارى، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوا معهم.

وإنما شبه بجحر الضب : لصعوبته وضيقه وتعرجه ومع ذلك تحصل المتابعة لهم وهذا لا يكون لجميع الأمة، لما تواتر أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، إنما يكون لأناس منهم .

* ومناسبة الحديث للباب : كما في الآيات قبله، فقد أخبر النبي ﷺ أن في هذه الأمة من سيتابع الأمم السابقة في كل شيء وقد وقع الشرك في الأمم السابقة وعلى هذا سيوجد هذا في هذه الأمة .

ثاني الأحاديث حديث ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الله زوي لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها. وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض** "

وقوله " **إن الله زوي لي الأرض** " يحتمل أمرين : ا- أن الله قوى له بصره حتى أبصر مشارق الأرض ومغاربها .

ب- أن الأرض جمعت له وطويت حتى رأى البعيد . وهذا اقرب لظاهر اللفظ وهو من معجزات النبي ﷺ .

قال القرطبي: ((هذا الخبر وجد مخبره كما قال ﷺ، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة، الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند والهند والصغد، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه)) .

- وقوله " **وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض** " قال القرطبي: يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم، وقصورهما وبلادهما، وقد قال: " والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله " وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم الذهب، وبالأبيض عن كسرى؛ لأن الغالب عندهم الجوهر والفضة.

-وقوله " **وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة** " أي الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط سنة، ويجمع على سنين كقوله: {ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين} أي الجدب المتوالي.

- وقوله " **وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم**" أي لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم من الكفار، فيستأصل معظمهم وجماعتهم، وبيضة كل شيء حوزته، سأل الله أن لا يسلط العدو على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم ما

داموا بهذه الأوصاف المذكورة، ولو اجتمع عليهم كل من بين أقطار الأرض حتى يقع منهم ما ذكر فقد يسلطون عليهم.وهو أن يهلك بعضهم بعضا ونحوه .

- وقوله " **وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد** " أي إذا حكمت حكما مبرما نافذا أو معلقا فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده، كما قال ﷺ " ولا راد لما قضيت".

- وقوله" **وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا**" أي إذا وقع ذلك من المسلمين فإنه قد يسلط الله عليهم عدوهم من الكفار فيستبيح معظمهم لا كل الأمة ثم تكون العاقبة للأمة إن رجعوا عما هم فيه من الأسباب الموجبة للتسلط، وقد وقعت هذه العلامة مرات منها أيام التتر .

- وقوله "**وزاد " وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين** " هذه الزيادة رواها أبو داوود وبن ماجة وصححها الحاكم وأبو نعيم في الحلية .

وهذا الأمر الذي خافه النبي ﷺ على الأمة وهو وجود الأئمة المضلين من علماء متبعين لأهوائهم أو جهال ينتصبون للناس أنهم علماء أو دعاة ضلال وهم خطر على الأمة وقد وجد من العلماء من يفتن بضلال ويجيز للناس الذهاب إلى القبور أو يذهب هو معهم . وهؤلاء العامة لولا إتباعهم لهذا لتركوا الباطل .

- وقوله " **وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة** " فإنه لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة دون أخرى.

-قوله" **ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**" والمعنى إما أن يلحقوا بهم ببلادهم أو يجلسوا في بلاد المسلمين ويوافقوا الكفار في أفعالهم وعقائدهم .

-قوله " **وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان** " فيه الإخبار أن الشرك سيقع في الأمة وقد وقع .

- قوله "**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي** " والمراد ممن تقوم لهم شوكة وتبدو لهم شبهة، وأما مطلقا فلا يحصون .

-قوله "**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**" أي قائمة بالعلم والجهاد والذب عن الدين، والمراد العاملون بكتاب الله وسنة نبيهم ﷺ ولا يلزم منه أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، ولا في قطر واحد، بل يجوز اجتماعهم في بلد وقطر وجهة، وافتراقهم في بلدان وأقطار وجهات من الأرض.

باب (٢٣) ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: {ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق} ، وقوله {يؤمنون بالجبت والطاغوت}.

قال عمر ﷺ: "الجبت السحر، والطاغوت الشيطان".

وقال جابر ﷺ: "الطواغيت كهان كان يتزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد".

وعن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".

وعن جندب ﷺ مرفوعا: "حد الساحر ضربه بالسيف" رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

. وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: "كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر".

وصح "عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت" وكذلك صح عن جندب قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

عقد المصنف بابا عن السحر، وهو من أبواب العقيدة المهمة، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف السحر.

السحر في اللغة : عبارة عما خفي ولطف سببه، أي صار سبب ذلك الشيء خفيا لا يقع بظهور، بل بخفاء، ولذا سمى آخر الليل سحرا.

وفى الاصطلاح : رقى أو عزائم وعقد ينفث فيها فيكون سحرا له حقيقة.

وحقيقة السحر: أنه استخدام للشياطين في التأثير.

ومناسبة باب السحر للتوحيد :

من جهة أن السحر نوع من الشرك، ففي الحديث " من سحر فقد أشرك "وذلك لأنه لا يمكن أن يسحر إلا بالتقرب إلى الشياطين، فهم لا يخدموه إلا إذا تقرب لهم، وهذا شرك.

المسألة الثانية: ذكر بعض أهل العلم أن السحر قسمان :

١- عقد ورقى وطلاسم : وهو ما يكون بواسطة الشياطين، وهذا شرك كما سيأتي .

٢- أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته : وهو ما يسمى عند البعض بالقمرة، ومنه بعض صور الصرف والعطف، فقالوا هذا عدوان وليس بكفر وشرك، لأنه مجرد تخييل.

لكن نبه صاحب التيسير وغيره : أن هذا ليس بسحر، وإن سمى سحرا فعلى سبيل المجاز، وفى الحقيقة فاعله مشعوذ لا يصدق عليه اسم الساحر، وفعله حرام لمضرته وخداعه وشعوذته، ويعزر تعزيرا بليغا .

- قوله " وقول الله تعالى: {ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق}.

- مناسبة الآية :.

المسألة الثالثة: ما حكم الساحر.

هو كافر بأدلة كثيرة، ساق المصنف بعضها، ومنها قوله تعالى **{ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق}** والمعنى فيها: أن الله قال فيمن اشترى السحر أي تعلمه واستبدل السحر عن متابعة الرسول أنه ليس له في الآخرة من نصيب وكل من لا نصيب له في الآخرة فعمله حابط باطل، وهذا دليل على كفر الساحر، فيؤخذ كفره من هذه الآية من مواضع .

ا- قوله " وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ".

ب- قوله "وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر " وعلى هذا يكفر من سحر وحتى من تعلمه ولو لم يسحر مجرد تعلمه كفر كما دلت عليه الآية .

ج- قوله " ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ".

المسألة الرابعة: أن مما ذم الله به أهل الكتاب إيمانهم بالجبت والطاغوت، كما في الآية التي ذكرها المصنف وهي قوله {**يؤمنون بالجبت والطاغوت**}

والجبت: فسره عمر بأنه السحر، والسحر من الجبت بلا شك .

وأما الطاغوت فقد نقل فيه تفسيرين

١/ أنه الشيطان، وهو تفسير عمر ﷺ

٢/ أنها كهان كان يترل عليهم الشيطان، في كل حي واحد، وهذا تفسير جابر، وهو تفسير بالمثال، ويأتي الكلام على الكهان.

وإذا تقرر أن مما ذم به الكفار إيمانهم بالسحر يتبين لك أن الإيمان به محرم، وأن تعاطيه والبحث عنه مذموم.

المسألة الرابعة: أن السحر قد عده النبي ﷺ من المهلكات الموبقات، في الدنيا والآخرة.

وقد ذكر في الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق** "

فعد السحر من الموبقات المهلكات في الدنيا والآخرة .

فإن قيل: كيف عطف السحر على الشرك وقد تقدم أن السحر داخل في الشرك ؟

= فالجواب : أن السحر لا يمكن الوصول إليه إلا بالشرك، والعطف في الحديث إما أن يقال لأن فيه شيء من المغايرة، ففي السحر لم يقصد الشرك بل دخل الشرك تبعا .

أو يقال هو من عطف الخاص على العام فعطف السحر على الشرك للتنصيص عليه .

المسألة الخامسة: هل يقتل الساحر

ذكر المصنف رحمه الله عدة نصوص في هذه المسألة

١/ حديث جندب مرفوعا "**حد الساحر ضربه بالسيف**" رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وجندب هو غير جندب بن عبد الله البجلي، وإنما يسمى جندب الخير، وقد روى أبو نعيم بسنده في معرفة الصحابة قال: جاء جندب وقوم يلعبون ويأخذون بأعين الناس يسحرون، قال : فضرب رجلا منهم ضربة بالسيف فقتله ، فرفع إلى السلطان وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حد الساحر ضربة بالسيف »

وقيل إنه قاله حين كان في مجلس الوليد بن يزيد الخليفة فجاء ساحر يوهم الناس انه يقطع رأسه ويعيده فقتله جندب وقال إن كان صادقا فليعد رأسه .

وقد أفاد هذا الخبر أن حد الساحر أن يضرب بالسيف، وهو كناية عن القتل.

٢/ عن بجالة بن عبدة قال: "**كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر**" ونقل ذلك عن البخاري.

والحديث بهذا اللفظ ليس في البخاري، إنما أصله عند البخاري وأما قول " اقتلوا كل ساحر" فليس عند البخاري، ورواه جمع منهم احمد وأبو داود والترمذي وإسناده حسن .

٣/ عن حفصة رضي الله عنها **أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت**"

ونقل عن أحمد قوله: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

فأفادت هذه النصوص أن الساحر يقتل.

وعلى هذا يقال: إذا ثبت أنه ساحر يستخدم في سحره ما يصدق عليه أنه سحر تأثير لا تخييل فهو ساحر يجب قتله وهذا قول الجمهور .

القول الثاني: رأي الشافعي أن الساحر لا يقتل بمجرد السحر، إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر، نقل ذلك عنه غير واحد، منهم الترمذي في سننه.

والأقرب ما عليه الجمهور، والنصوص صريحة في الأمر بقتله مطلقا، ولو لم يقتل بسحره، لما فيه من الضرر على الناس.

وأيضا يقول أهل العلم: أن الساحر يقتل ولا يستتاب لأنه ربما يكذب ويظهر التوبة ويبقى على سحره .

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺقال: "إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت".

قال عوف: العيافة: زجر الطير. والطرق: الخط يخط بالأرض.

والجبت: قال الحسن: "رنة الشيطان" إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صححيه المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ"من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد". رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ: "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك. ومن تعلق شيئا وكل إليه . وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة القالة بين الناس" رواه مسلم. ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "إن من البيان لسحرا"

عقد المصنف رحمه الله هذا الباب بعنوان "بيان شيء من أنواع السحر " والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب :

لما ذكر المؤلف السحر المعروف وحكمه وحكم فاعله، ذكر أن السحر قد يأتي في النصوص ولا يراد به السحر المعروف، بل يراد به أمورا أخرى هي من أنواع السحر، أو أمورا ليست من السحر، لكن فيها شبه بالسحر .

المسألة الثانية: من الأمور التي ذكرها في الباب العيافة والطرق والطيرة.

وقد أورد فيها حديث قبيصة العبدي أنه سمع النبي ﷺ قال "**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**"

ونقل عن عوف العبدي قوله: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض.
ونشير إلي هذه الأمور بما يلي:
أما **العيافة** : فهي زجر الطير للتشاؤم أو التفائل، فإذا أراد أن يقدم على شيء زجر الطير فإذا ذهبت شمالا تشاءم مما أقدم عليه وإن ذهب يمينا تفائل .

وأما **الطرق**: فهو نوع من الكهانة، والكهانة من السحر، وهو عبارة عن خطوط تخط بالأرض بطريقة يزعم من خطها أنه يعرف بذلك مكان المفقود، أو غير ذلك، فتجد أنه يخط خطوطا كثيرة، ثم يمسح منها بسرعة خطين خطين ونحو ذلك، ثم يزعم أنه يتعرف على بعض الأمور بما يبقى من الخطوط.
ومن صورها المعاصرة: ما يعرف بالأبراج، التي يزعم أصحابها أنهم يعرفون عن طريقها بعض ما يقع على صاحبها من أمور الغيب، وكل هذا من الكهانة، وسيأتي الحديث عنها بأوسع من هذا.
*وأما ما ورد في حديث معاوية بن الحكم ﷺ أن رسول الله ﷺقال " كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك " فيجاب عنه بجوابين :
١- أن النبي علقه بأمر لا يتحقق الوصول إليه لأنه قال " فمن وافق خطه فذاك" وما يدرينا انه وافق .
٢- انه إذا كان الخط بالوحي من الله فلا باس به كما هي حال النبي ﷺ لان الله يجعل له علامة يترل الوحي بها بخطوط يعلمه إياها، أما هذه الخطوط السحرية فهي من الشيطان .

وأما **الطيرة**: فهي مما نهي عنه، وسيأتي لها باب مستقل.

المسألة الثالثة: من مما يلحق بالسحر تعلم النجوم ليستدل بها على الحوادث الأرضية من أمور الغيب.

وقد أورد المصنف في هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**" رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

فبين أن من أنواع السحر تعلم النجوم، لأن كلا من المنجم والساحر يدعى علم الغيب الذي اختص الله بعلمه .

المسألة الرابعة: أورد المصنف حديث أبي هريرة رضي الله عنه "**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه**" رواه النسائي.

وفيه بيان أن من نفث في العقد فإنه ينطبق عليه أنه ساحر، وأن من تعاطى السحر فقد وقع في الشرك، والساحر متعلق بغير الله وهم الشياطين، ومن تعلق بغير الله وكل إليه.

فالساحر يوكل إلى شياطينه، ومن ذهب إلى السحرة والكهان فإنه يوكل إليهم .

المسألة الخامسة: أورد المصنف حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة القالة بين الناس**" رواه مسلم.

فذكر فيه النميمة في بيان شيء من أنواع السحر، فما وجه المطابقة بين النمام والساحر؟

= من جهة أن تأثير النمام في تفريق المجتمعين مثل أثر السحر، فلكل منهما أثر قوي وخفي في التفريق، بل قال يحى بن كثير : يفسد النمام والكذاب في ساعة مالا يفسده الساحر في سنة .

المسألة السادسة: أورد المصنف في الباب حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: "**إن من البيان لسحرا**" متفق عليه.

والبيان : هو التبيين عما في النفس بالألفاظ الفصيحة التي تأخذ السامع والقلوب فتسحرها.

فما وجه الشبه بين البيان وبين السحر؟

= قال ابن القيم : سحر البيان هو من أنواع التحيل .

ا- إما لكونه بلغ في اللطف والحسن إلى حد استمالة القلوب فأشبه السحر من هذا الوجه.

أقول وعلى هذا لا يكون مذموما بإطلاق، لأن استمالة القلوب لا تذم إلا إن كانت بالباطل.

ب- أو لكون القادر على البيان يكون قادرا على تحسين القبيح وتقبيح الحسن فهو أيضا يشبه السحر من هذا الوجه (إعلام الموقعين ٥/٢٩٧).

أقول: وهو على هذا المعنى يكون مذموما، لما فيه من جعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق

* **واعلم أن الحديث اختلف فيه :**

فقيل: جاء للذم .

وقيل: جاء للمدح لأن الله مدح البيان، وعزى ابن عبد البر هذا إلى أكثر العلماء .

ومنه أن عمر بن عبد العزيز سأله رجل عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله فقال : هذا والله السحر الحلال.

أقول: والذي يظهر أن دخول البيان في السحر هو من جهة التعريف اللغوي، فالبيان له أثر دقيق خفي، وبعد هذا فقد يكون هذا الأثر يراد به أمرا محرما كتزيين باطل ونحوه، فيكون مذموما، وقد لا يكون كذلك فلا يكون مذموما.

وعلى هذا ففي الحديث الذم لبعض البيان الذي فيه تصويب الباطل وتحسينه حتى يتوهم السامع انه حق أو يكون فيه بلاغة زائدة عن الحد أو قوة بالخصومة فيذهب بالحق أما غيره من البيان فلا يذم.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما".

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ". رواه أبو داود. وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة ﷺ ":من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ". ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مثله موقوفا.

وعن عمران بن حصين ﷺ مرفوعا: "ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له؛ ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ" رواه البزار بإسناد جيد. ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "ومن أتى" إلى آخره.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العراف: اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. وقال ابن عباس – في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: "ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق".

أورد المصنف رحمه الله هذا الباب "باب ما جاء في الكهان ونحوهم " والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالكهان والكهانة، ومناسبة الباب للتوحيد.

الكهان : جمع كاهن .

والكاهن : هو الذي يدعى علم المغيبات ويخبر بها الناس ويأخذها من مسترقي السمع من الجن .

وقد كان استراق السمع قبل البعثة كثيرا ولما جاءت البعثة منعوا ولما انتهت الرسالة عادوا لكن ليس كما كانوا في السابق لان الله حرسها بالشهب .

ومناسبة الباب للتوحيد :

من جهة أن الكاهن لا يعلم الغيب إلا باستخدام الجن وهم لن يخدموه إلا إذا تقرب لهم بشيء من العبادات أو ربما بالكفر بالله وهذا كله شرك اكبر .

وقوله في التبويب " **ونحوهم** " تشمل كل من ادعى علم شيء من الغيب وكل من مارس نوعا من الكهانة:

مثل: من يقرا الفنجان وقراءة الكف .

وما يسمى بالأبراج – أبراج الحظ- ويكثر ورود ذلك في الصحف وفى القنوات وانك إن كنت ولدت في برج كذا فسيحصل لك في هذا العام كذا أو إن ولد في هذا البرج فان هذا الشهر عليهم شهر رزق وغير ذلك من الضلالات.

وإن التمست ضابطا في هذا فقد يقال : **كل من ادعى علما من الغيب واستخدم في ذلك وسيلة ظاهرة ليوهم بها الناس فهي من الكهانة**، واستمدادهم هذا من الشياطين وهى لن تخدمهم إلا إذا تقربوا لها، وأخطر ما في ذلك إذا تولى مثل هذه الأمور أناس يظهرون للعامة أنهم أولياء لله وإنهم بقربهم لله نالوا ما نالوا، وهذا يزيد من افتتان الناس بهم، وتلبيسهم الباطل، ولاشك أن هؤلاء أولياء لكن ليس للرحمن بل للشيطان عصمنا الله من الضلال .

المسألة الثانية: أورد المصنف رحمه الله نصوصا تنهى عن الذهاب إلى الكهان، وتبين عقوبة من أتى إليهم

وهذه النصوص هي ما يلي:

١/ عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما**".

والعراف : يأتي بيان معناه في كلام المؤلف، وأنه يطلق على من يخبر عن الغائب عن الأعين مما حصل في الماضي كمن يخبر عن مكان الشيء المسروق ومن هو السارق والدابة الضالة ونحو ذلك ويعرفه بواسطة الجن.

٢/ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**" رواه أبو داود.

٣/ عن أبي هريرة رضي الله عنه "**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**" رواه الأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وكذا صحح إسناده الذهبي في الكبائر.

٤/ عن ابن مسعود رضي الله عنه مثله موقوفا، رواه أبو يعلى البزار، وقال ابن حجر والمنذرى إسناده جيد

٥/ عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا "**ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له؛ ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** " رواه البزار بإسناد جيد .

وقد خلص أهل العلم من مجموع الأحاديث إلى أن إتيان العرافين والكهنة والسحرة له حالات :

ا- **إتيانهم لسؤالهم وكشف باطلهم والإنكار عليهم**: فهذا جائز بل مشروع .

ب- **مجرد إتيانهم وسؤالهم بدون هذا القصد**: فالوعيد فيه أنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة، ولو أنه لم يصدقهم أو شك .

ج- **أن يسألهم ويصدقهم** : فيحمل عليه ما ورد في الحديث أنه كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

وهذا لأن في ذلك إعانة للكاهن على الشرك بالله ولأن فيه تصديق لمن ادعى علم الغيب.

* لكن هل هذا كفر اكبر أم اصغر ؟

القول الأول: انه كفر اكبر .

القول الثاني: بل هو كفر اصغر، وهذا رواية عن أحمد، صوبها ابن مفلح في الفروع .

وحجتهم في هذا أمران :

١- أن حديث بعض أزواج النبي ﷺ لفظه عند أحمد في المسند " من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما" فذكر التصديق وبين العقوبة له أنه لم تقبل له صلاة أربعين ليلة.

٢- أن هذا الذي صدق الكاهن والعراف هو صدق من أخذ الحجة ممن استرق السمع، فهو ليس كمن صدق من ادعى علما من الغيب بلا أي مستند.

لكن لاشك أن جرمه وذنبه أعظم ممن لم يصدق، ويكفيك أن جمع من العلماء حكموا بأنه كفر اكبر .

والقول الثالث: أنه يتوقف في تحديده، فيقال بأنه يكفر، ولا يقطع بأنه لا يخرج من الملة، وهذا رواية عن أحمد، والعلة في هذا أنه أوقع لهيبته في القلوب.

المسألة الثالثة: ذكر المصنف رحمه الله قول ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: "**ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق** ".

وهذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ " **عن ابن عباس ، قال : ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد ، قال : أرى أولئك قوما لا خلاق لهم**" وإسناده لا بأس به.

ورواه الطبراني بلفظ " **رب معلم حروف أبي جاد، دارس في النجوم، ليس له عند الله خلاق يوم القيامة** " وإسناده ضعيف؛ فيه خالد بن يزيد العمري : كذاب .

والمراد بهذا الأثر ذم من يصنع هذا؛ وهو تعلم الحروف الأبجدية، والاستدلال بكل حرف منها على أمور الغيب، ولهم في هذا طرق لا يدل عليها دليل، بل كل ذلك من ادعاء علم الغيب.

وعلى هذا فمن تعلم الحروف على وجه معرفة شيء من علم الغيب بها – وهو ما يسمى بعلم الحرف- فهذا محرم لا يجوز، وأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به.

وبهذا تعلم أن كل طريق يعتقد أن فيها معرفة شيء من أمور الغيب أنها لا تجوز.

قال الشنقيطي في أضواء البيان: لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله، كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين.

باب ما جاء في النشرة

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺسئل عن النشرة فقال: "هي من عمل الشيطان" رواه أحمد بسند جيد. وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله. وفي "البخاري" عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه.أ.ه

وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

إحداهما:...حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، ويبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف النشرة والمراد بها :

النشرة: في اللغة؛ بضم النون: من النشر، قال في تاج العروس:هي رقية يعالج بها المجنون والمريض ومن كان يظن أن به مسا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أي يكشف ويزال .

وفي الاصطلاح: حل السحر عن المسحور.

المسألة الثانية: أن النشرة أو حل السحر عن المسحور قسمان:

١/ جائزة: وهي حله بالرقية والدعاء ، وقد رقى النبي نفسه، ودعى حتى كشف عنه، وقد ورد في السنة عدة أمور تعالج بها السحر، ومنها الدعاء والرقية والتصبح بسبع تمرات،والحجامة لها أثر ظاهر، والإكثار من الطاعات كالقرآن والأذكار ونحوها نص عليها ابن القيم، وذكر ابن بطال عند كتاب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من

سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ عليه آية الكرسي، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ويغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى.

٢/ مختلف فيها: حله بالسحر، وفيها قولان

القول الأول: الجمهور: أنه لا يجوز، واستدلوا بأمور:

١- النصوص الداله على تحريم السحر، والذهاب إلى السحرة، وهذا الأمر سيترتب عليه ذهاب إلى السحرة.

٢- حديث جابر " **سئل عن النشرة فقال: "هي من عمل الشيطان"** وهذا الجواب هو على النوع المشهور من النشرة وهو فك السحر بالسحر، ولا يحمل على الجائز لأن الأدلة دلت على جوازه والأمر به.

٣- ورد في الحديث " إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها"

٤- وهو المروي عن ابن مسعود، والحسن وغيرهم

٥- ما يترتب على الذهاب للسحرة من مفاسد، كتصديق الساحر، والاستجابة له في بعض ما يطلب، وعدم الإنكار عليه فيما يفعل، وقد قال شيخ الإسلام: (من حضر إلى مكان فيه منكر لم يستطع تغييره لم يجز له الحضور)

٦- أن هذا فيه تنشيط للسحرة وترويج لهم.

القول الثاني: أنه يجوز للضرورة، روي ذلك عن أهل العلم، وينسب إلى ابن المسيب، والإمام أحمد.

أما ابن المسيب فهو ما نقل عنه المصنف هنا" **عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه"**

وأما الإمام أحمد فإنه سأله مهنا عمن تأتيه مسحورة فيطلقه عنها قال : لا بأس

ولكن هذين ليسا بصريحين عن ابن المسيب ولا أحمد، وعلى هذا فيحمل كلام ابن المسيب على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر؛ وهي الرقية أو النشرة الخالية من الشرك، وهذا هو الذي لا مفسدة فيه.

ولو صح عنه فهو مرجوح، لأنه خالفه غيره، بل هو خلاف النصوص.

والإمام أحمد فلم ينص على جوازه، بل إنه ورد في مسائل الأثرم عنه ما يدل على المنع منه، قال الأثرم : سمعت أبا عبد الله سئل عن رجل يزعم أنه يحل السحرقال: قد رخص فيه بعض الناس.

قيل: إنه يجعل في الطنجير ماء ويغيب فيه، فنفض يده، وقال: لا أدري ما هذا.

قيل له: أترى أن يؤتى مثل هذا؟ قال: لا أدري ما هذا.

وهذا صريح في النهي عن النشرة على الوجه المحرم، وبهذا تعلم أن ما ذهب إليه بعض فقهاء الحنابلة من الجواز عند الضرورة ضعيف، والله أعلم.

باب (٢٨) ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: {ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون} وقوله: {قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون}.

وعن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" أخرجاه. زاد مسلم "ولا نوء ولا غول".

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:"لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة". ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: "ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره

فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك" عن ابن مسعود مرفوعا: "الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل" رواه أبود داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود. ولأحمد من حديث ابن عمرو: "من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك".

وله من حديث الفضل بن عباس ﷺ: "إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك" .

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الطيرة والتطير

قال الراغب: أصله التفاؤل بالطير ثم يستعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم

المسألة الثانية: مناسبة ذكر التطير في كتاب التوحيد : أن التطير فيه تعليق القلب بما يكون من أمور وان ذلك علامة على خير أو شر . وهذا فيه منافاة لكمال التوحيد الواجب وفيه منافاة لكمال التوكل على الله .

المسألة الثالثة: حكم التطير:

الطيرة محرمة ولا تجوز، بل هي من الشرك، ولها حالتان:

١/ تكون شركا أكبر: إذا اعتقد أن الطير أو غيره هو الذي يجلب النفع ويدفع الضر.
٢/ تكون شركا اصغر: إذا اعتقد أن هذا سبب، وأن الله ربط النفع والضر بهذه الأسباب، فينهى عنه لما فيه من جعل أسباب أنها علامة خير وشر، وهي لم ترد في الشرع.

والأدلة على تحريم الطيرة مذكورة في الباب، ومنها:

أ- قوله {ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون} وقوله: {قالوا طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون}

بين الله فيها أن التطير من أفعال وصفات أعداء الرسل ومنهم قوم فرعون كما في الآية. أما عباد الله المؤمنين وأتباع الرسل فهم يعلقون قلوبهم بالله ويرضون بكل ما يصيبهم منه من تقدير .

ب- حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول اللهﷺقال: "لا عدوى ولا طيرة "

والمراد هنا النفي وهو ابلغ فيكون المراد انه لا طيرة مؤثرة وما يقع من الطيرة فهو شيء بتوهمه الإنسان وليس لها في حقيقة الأمر تأثير، فالموفق من لم ينظر إلى ما يقع من أمور وأشياء بل يتوكل على ربه ويمضى في دربه .

فإن قيل: ففي هذا الحديث قوله (لا عدوى) وإذا قيل أن المراد هنا النفي فالمعنى " لا يعدي شيء شيئا" وقد ورد في الحديث "فر من المجذوم فرارك من الأسد""لا يورد ممرض على مصح "فكيف الجمع ؟

= اختلف في ذلك على أقوال، اختار ابن رجب وابن القيم وغيرهم أن النفي هنا هو عن العدوى على الوجه الذي كان يعتقده أهل الجاهلية من أن الأمراض تعدى وتؤثر بطبعها ونفسها من غير إضافة الفعل إلى الله . فأبطل الله هذا الاعتقاد ولا يمنع بعد ذلك لن يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به عيب أو مرض سببا للعدوى بتدبير الله وتقديره .

وأما قوله " فر من المجذوم فرارك من الأسد " ونهيه أن يورد ممرض على مصح ونهيه عن إتيان بلد الطاعون . فيقال أن هذا كله من باب اجتناب الأسباب التي جعلها الله أسباب

للهلاك والإصابة بالأذى والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر كما انه ينهى أن يلقى نفسه بالماء أو في النار .

واعلم أن المنهي من التطير : ما أمضى وما رد، لاما يقع في القلب، بل إذا كان ما تشائم به رده عما يريد أو ما تيامن أمضاه لأجل ما رأى فهذا التطير المحرم، وقد روى عكرمة أنهم كانوا عند ابن عمر وبان عباس فمر غراب يصيح فقال رجل من القوم خير، خير فقال بن عباس لا خير ولا شر. (التمهيد ٢٢/٦٣٠) أى ليس لهذه الأمور ارتباط بأي حادث لا خير ولا شر .

وعلى هذا فيقال:

ضابط الطيرة التي تكون شركا : أن ترد المتطير عن حاجته، لقوله " **إنما الطيرة ما أمضاك وردك**" فما دامت لم ترد الإنسان فلا اعتبار بما وقع في قلبه

المسألة الرابعة: التطير له صور كثيرة :

– فمنها التطير بالطيور وهو أصل التطير عند أهل الجاهلية فيزجرون الطير فان ذهب ذات اليمين أقدم وان كان للشمال تشاءم .

– ومنها التطير بأشخاص معينين أو بحوادث معينة كمن يركب سيارته فيتعرض لحادث بها فيتشاءم من سفره . أو يفتح دكانه فيأتيه أول من يشترى اعور فيتشاءم ونحو ذلك .

المسألة الخامسة: أنه ينبغي إذا وقع في القلب شيء من الالتفات لمثل هذه الأمور أن يدعو بما ورد من الدعاء وذكر هنا دعوتين

" اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك"

" اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك "

المسألة السادسة: ورد في الحديث نفي أمور غير الطيرة، وهي

١/الهامة : بتخفيف الميم وقد تشدد: البومة، إذا وقعت إلى بيت أحدهم يقول: نعت إلي نفسي، أو أحدا من أهل داري، أو يخرب المترل، وقيل: إن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت، وقيل: روحه تنقلب هامة تطير، ولا تزال تنادي على قبره ونحوه، للأخذ بثأره .

٢/ صفر؛ قال " ولاصفر " واختلف في المراد به: فقيل المراد تأخيرهم المحرم إلى صفر،وكانوا يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم "قال بن رجب : ولعل هذا القول أشبه الأقوال " ا.ه.

وقيل: صفر حية في البطن، وهي دود تصيب الماشية والناس، وربما قتلت صاحبها، وكانت أعدى من الجرب عند العرب، وهذا المشهور عند أكثر أهل العلم، منهم: سفيان وأحمد والبخاري وجابر بن عبد الله وهو راوي الحديث، ويجوز أن يكونا مرادين معا، وأن الصفريين جميعا باطلان.

٣/ النوء: وقد كانوا يعتقدون أن المطر يكون بالأنواء، وأن بعضها أنواء نحس لا يأتي فيها خير وبعضها محمودة، ولهذا كانوا يسمون بعضها: سعدا أو سعد السعود، وبعضها يتشاءمون بها أشد التشاؤم كسعد الذابح، فيقولون: هذا نوء غير محمود، يعني: أنه لا يحصل فيه المطر ولا يحصل فيه الخير أو لا يحصل به الخير.

وقد ورد في الصحيح " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...."

٤/ الغول: جمعه غيلان، قيل: هم سحرة الجن، وهم يتغولون المسافر يعني: يتراءون للمسافر ليضلوه، وقد يأتونه بنار أو يأتونه بأمور تزعجه وتخيفه

وليس المعنى نفي وجود الغيلان، ولكن المعنى أنهم لا يستطيعون أن يضلوا أحدا إلا من تولى الشيطان، فإن هذا قد تضله الجن والشياطين، وأما المؤمن الذاكر فإنه يحفظه الله بالذكر

المسألة السابعة: أخبر النبي ﷺ أنه يعجبه الفأل، وبينه النبيﷺ بأنه الكلمة الطيبة يسمعها، فينشرح صدره ويحسن الظن بربه، ويزيل عن القلب ما يلقيه الشيطان من تخويف وتوهم .

فإن قيل: فما الفرق بينها وبين الطيرة؟

= قال السعدي: الفرق بينهما : أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله ، وليس فيه تعليق القلب بغير الله ، بل فيه من المصلحة : النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة .

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقدة من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة ثم يرى في تلك الحال ما يسره ، أو يسمع كلاما يسره مثل يا راشد أو سالم أو غانم ، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه ، فهذا كله خير وآثاره خير ، وليس فيه من المحاذير شيء .

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين وفي الدنيا ، فيرى أو يسمع ما يكره أثر في قلبه أحد أمرين ، أحدهما أعظم من الآخر .

أحدهما : أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازما على فعله أو بالعكس ، فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذي كان عازما عليه ، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه ، وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله

الأمر الثاني : أن لا يستجيب لذلك الداعي ولكنه يؤثر في قلبه حزنا وهما وغما ، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد ، وضعف لقلبه وموهن لتوكله ، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوي تطيره ، وربما تدرج إلى الأمر الأول .

باب (٢٩) ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدي بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به" انتهى.

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه". ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق، وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم" رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى : تعريف التنجيم المنهي عنه: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كالمطر والربيع والمحل وغير ذلك.

و قال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرا في السفليات

المسألة الثانية : مناسبة الباب لكتاب التوحيد :

التنجيم ينافى التوحيد لما فيه من ادعاء علم الغيب ولما فيه من تعلق القلب بغير الله .

المسألة الثالثة : مصطلح التنجيم يدخل فيه ثلاثة أنواع :

١- اعتقاد أن النجوم مؤثرة بنفسها ولها تصريف في الكون وهذا كفر اكبر وهو ماكان يفعله الصابئة . وهو كشرك قوم إبراهيم .

٢- علم التسيير : وهو أن يتعلم منازل النجوم وحركاتها ليستدل بها على أمور جائزة أو مشروعة كجهة القبلة والأوقات أو هبوب الرياح ووقته والوقت الذي جرت فيه سنة

الله في إنزال المطر ودخول الفصول ونحو ذلك. وهو جائز بل قد يكون مطلوبا إذا كان يستدل به على مصالح دينية كالاستدلال بالنجوم على معرفة جهة القبلة ونحوه .
قال ابن رجب : المأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فانه باطل محرم قليله وكثيره . وأما علم التسيير : نتعلم ما يحتاج منه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائزة عند الجمهور . وما زاد عليه لاحاجة إليه بشغله عما هو أهم منه .
٣- ما يسمى بعلم التأثير : وهو الاستدلال بحركة النجوم وطلوعها والتقائها ومواضعها على أمور غيبية مما يحدث في الكون والأرض من أحداث مستقبلة وهو ما يراد هنا وهو نوع من الكهانة لان النجوم ليس لها لا اى علامة ولكن الشياطين توحي إلى المنجم بما ستقع فيخبر به .
ومما يدل على النهي عنه:
١/ ما ذكره البخاري في صحيحه عن **قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدي بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به"** أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم وله تتمة عند ابن أبي حاتم في تفسيره " وان ناسا جهلة بأمر الله قد احدثوا في هذه النجوم كهانة : من اعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا .
ولعمري ما من نجم الا يولد به الاحمر والاسود والطويل والقصير والحسن والذميم . وما علم هذا النجم وهذه الدابة ، وهذا الطائر بشيء من الغيب "
٢/ الأدلة الدالة على تحريم السحر والكهانة، فالتنجيم نوع من الكهانة والسحر، ولذا أتى في الباب بحديث ""ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدق بالسحر، وقاطع الرحم" رواه أحمد وابن حبان في صححيه
المسألة الرابعة: من صور التنجيم المحرم مايسمى بالأبراج : إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا_فسيصيبه كذا

وكذا، ويضعون عليها دعايات تقول: من شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك، وهذا كثير الآن.

والتنجيم صار له رواج في الأزمان المتأخرة، فألف فيه مؤلفات مثل: كتاب مفاتيح الحظ، وكتاب حظك معك، وغيرها، بل وجدت معاهد تعطي شهادات في ذلك، وأنشئ اتحاد للمنجمين ويضم هذا الاتحاد خمسة وخمسين ألف عضو من جنسيات متنوعة، والغريب أن رئيس ونائب الاتحاد كلاهما عربي.

المسألة الخامسة: من حرص السلف على إغلاق باب التنجيم، ما نقل عن قتادة أنه كره تعلم منازل القمر، و لم يرخص ابن عيينة فيه".

والمراد بمنازل القمر: المنازل التي يترلها القمر في الشهر وهى ثمان وعشرون مترلة .

ويستفاد من معرفتها حساب الأيام ومعرفة الفصول وأوقات الصلوات ونحو ذلك .

وعلة الكراهة: ان ذلك وسيلة للاعتقاد فيها مالا يجوز فمنعوا من ذلك سدا للذريعة .

لكن أكثر أهل العلم على جواز ذلك بقدر الحاجة وهذا ما يسمى بعلم التسيير كما سبق.

باب (٣٠) ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}١.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة".

وقال: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب" رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: "صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب".

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه:

"قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات {فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون تجعلون رزقكم أنكم تكذبون}٢".

الأنواء : جمع نوء بالهمز . والمراد : طلب السقيا من الأنواء أو نسبة السقيا والأمطار إليها .

الاستسقاء : طلب السقيا، والأنواء: النجوم، وهذا الباب له اتصال بما سبق، وهو نوع مما كان يصنعه أهل الجاهلية تجاه النجوم، من الاعتقادات المحرمة.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: الاستسقاء بالنجوم له قسمان :

١- مايكون شركا اكبر وذلك ا- بان يسال الأنواء السقيا وإنزال المطر فهذا شرك اكبر لأنه دعاء لغير الله .

ب- أو : ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء على أنها الفاعلة بنفسها من دون الله فهذا شرك اكبر وان لم يدعها إنما هذا شرك في الربوبية .

٢- مايكون شركا اصغر : وهو أن يجعل هذه الأنواء سببا في نزول المطر مع اعتقاده أن الله هو المدبر الفاعل . فهذا شرك اصغر لان كل من جعل سببا لم يجعله الله سببا فهو شرك .

المسألة الثانية: الاستسقاء بالنجوم ونسبة المطر لها كان موجودا في الجاهلية فكانوا يقولون مثلا مطرنا بنوء الثريا .وذلك أن عندهم إذا سقط نجم وطلع نجم آخر قالوا لابد من مطر ورياح وينسبون كل مطر إلى النجم الساقط .

ولأجل ذلك جاءت النصوص محذرا منه، ومبينة بطلان من تعاطاه، ومنها:

١/قوله {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}

والمعنى:أنكم تجعلون شكركم لله على ما انزل عليكم من الغيث والمطر والرحمة أنكم تكذبون : اى تنسبونه لغيره. وقيل غير ذلك

٢/ حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب ".

فجاء الحديث على جهة الذم نسبة إلى الجهل، أي ستفعلها هذه الأمة إما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك، وهذا ما وقع.

٣/ حديث زيد بن خالد الجهني "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.." ففي الحديث النهي عن هذا القول، وذلك لما فيه من الالتفات إلى السبب ونسيان المنعم الحقيقي وهو الله جل جلاله، قال العثيمين: وصار كافرا بالله؛ لأنه أنكر نعمة الله ونسبها إلى سبب لم يجعله الله سببا؛ فتعلقت نفسه بهذا السبب، ونسي نعمة الله.

المسألة الثالثة: نسبة المطر إلى النوء تحتمل معان :

١- نسبة إيجاد: بأن ينسب المطر إلى هذا النوء، فهذا شرك أكبر، قال ابن رجب:

إضافة نزول الغيث إلى الأنواء ، إن اعتقد أن الأنواء هي الفاعلة لذلك ، المدبرة له دون الله عز وجل ، فقد كفر بالله، وأشرك به كفرا ينقله عن ملة الإسلام ، ويصير بذلك مرتدا ، حكمه حكم المرتدين عن الإسلام ، إن كان قبل ذلك مسلما .

٢- نسبة سبب: بأن يعتقد أن هذا النوء سبب وليس هو المسبب، وتكون الباء للسببية، فهذا شرك أصغر

٣- نسبة وقت: بأن يقوله ويريد أن الله أنزل المطر في وقت هذا النوء، وتكون الباء للظرفية، فهذا من حيث المعنى صحيح، فالله أنزل المطر في وقت هذا النجم، ولكن لما في هذه اللفظة من مشابهة للفظة المنهي عنها اختلف العلماء في حكم قولها على أقوال ثلاثة:

فقيل بالتحريم، :قال ابن رجب: وهو قول أكثر أصحابنا ، والنصوص تدل عليه ، لما فيها من إيهام المعنى المحرم

وقيل بالكراهة وهو قول الشافعي، وقيل بالجواز، قال البغوي :فأما من قال :مطرنا بنوء كذا ، وأراد : سقانا الله تعالى بفضله في هذا الوقت ،فذلك جائز

ومع هذا مع ذلك فالأولى أن يتجنبه وأن يقول (في نوء كذا)

باب (٣١) قول الله تعالى {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله}. وقوله: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره}.

عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار". وفي رواية: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..." إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك.

ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا" رواه ابن جرير. وقال ابن عباس في قوله تعالى: {وتقطعت بهم الأسباب} قال: "المودة".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب للتوحيد : من جهة أن المحبة عبادة وإذا كانت كذلك وجب صرفها لله وكان صرفها لغير الله شرك كما فعل المشركون الذين أشار إليهم في الآية " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله".

المسألة الثانية: المحبة أنواع، فهناك المحبة الطبيعية، ومحبة الزوج لزوجته، ونحو ذلك، ولكن المراد بهذا الباب المحبة الخاصة وهى محبة العبادة التي تستلزم الذل والتعظيم والخضوع والتعظيم لله محبة وذلا وإجلالا تقتضى فعل أوامره وطاعته وإيثاره على غيره فهذه المحبة لايجوز صرفها وتعلقها بغير الله، ويدل على هذا ما يلي:

١/ قوله {**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا**}فذم المشركين لأنهم اتخذوا أناسا يحبونهم كحب الله.

ومعنى (**يحبونهم كحب الله**) على الأرجح، وهو ما قرره ابن تيمية : أنهم يساوون بالله في المحبة والتعظيم فيجعلون معبوداتهم شركاء لله في المحبة فتكون محبة مشتركة . وقوله "والذين آمنوا اشد حبا لله " الأرجح في معناها أن الذين آمنوا اشد حبا لله من محبة المشركين بالأنداد لله فان محبة المؤمنين خالصة ومحبة هؤلاء مشتركة فقد ذهب حبهم لأندادهم بقسط منها

٢/ قوله {**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم... أحب إليكم من الله ورسوله**} فبين انه يجب أن تكون محبة العبد لربه مقدمة على كل شيء فالمحبة الصادقة تستلزم تقديم مراضي الله على هذه الثمانية كلها

٣/ حديث أنسﷺ أن رسول الله ﷺقال: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**" والمراد أنه نفي كمال الإيمان عمن قدم محبة غير الرسولﷺ عليه، وإذا كان هذا في محبة رسول الله -وهى تابعة لمحبة الله لا يكمل إيمان عبد حتى يحققها- فمحبة الله أعظم واجل .

٤/ قوله " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.." فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تكون بحتقيق المحبة لله، وذلك بثلاثة أمور:

ا- تكميل هذه المحبة . ب- وتفريغها . ج- ودفع ضدها . فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وتفريغها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار.

المسألة الثالثة:أن من أحب الله، ولم يقدم عليه غيره، فإنه ورد في النصوص له فضائل:

١/ أنه يحقق الإيمان، ولذا قال "لا يؤمن أحدكم حتى .."

٢/ أنه ينال لذة الإيمان، ولذا قال " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"، وقال ابن عباس" ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك"

٣/ أنه بهذا يكون من أولياء الله، وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولذا قال ابن عباس " من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك.

المسألة الرابعة: أن كثيرا من مؤاخاة الناس قد دخلها الخلل، و لم تصر لله حقا، ولذا قال ابن عباس في زمنه " وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا" ففتش عن نفسك، وعن محبتك، هل هي لله أو لغيره، قال يحيى بن معاذ: الحب في الله لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء.

٣٢باب قول الله تعالى

: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} وقوله: {إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين}.

وقوله: {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله} -.

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره".

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من التمس رضي الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضي الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" رواه ابن حبان في صححيه.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب للتوحيد، ولما قبله : أن الخوف نوع من أنواع العبادات وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك .

والمصنف ذكر المحبة ثم أعقبه بعد ذلك بما يتعلق بالخوف :

١- لان العبادة ترتكز على الحب والخوف والرجاء .

٢- لئلا يجنح احد فيتمسك بالحب فقط دون الخوف، فالمؤمن يجمع بين الحب والخوف والرجاء .

المسألة الثانية: أقسام الخوف

ذكر العلماء للخوف أقسام :١- خوف من الله .٢- خوف من غير الله.

١/**الخوف من غير الله**، وهو أقسام : ١- **الخوف الشركي** : وهو ما يسمى خوف السر بان يخاف من غير الله إما خوفا من إضراره به أو يعتقد انه بخوفه منه ينفعه في الآخرة .
مثاله : ما يقع من المشركين من خوفهم من الأولياء وأصحاب القبور وخوفهم أن يضروهم إن تركوا عبادتهم ونحو ذلك . وهذا الذي كان المشركون يعتقدونه ولذا يخوفون بهم أولياء الله كقوله (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء)(ويخوفونك بالذين من دونه) ولذا فهم يخافون الصالحين والطواغيت كما يخافون الله أو اشد .
٢- **الخوف المحرم** : وضابطه : الخوف من المخلقو خوفا يمنع من فعل الواجب أو ترك المحرم كمن يترك صلاة الجماعة خوفا من مخلوق أو يحلق لحيته خوفا من مخلوق والواجب ألا يخشى أحدا إلا الله .
٣- **الخوف الطبيعي** : كما يخاف المرء من عدو أو سبع أو غرق ونحو هذا لا ذم منه وهو الذي ورد فيه قوله " فخرج منها خائفا يترقب ".
٢/ **الخوف من الله** : وهو عبادة من اجل العبادات وهو خوف التعظيم والذل والخضوع لله سبحانه وقد اثنى الله على أهله (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، وأمر بالخوف منه في نصوص عدة، ومنها
١/ قوله (**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**) فجعل الخوف منه شرطا في الإيمان
٢/ قوله {**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله**...) والشاهد فيها: أن الله حينما ذم المشركين ونفى عنهم عمارة المسجد الحرام بقوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) اثبت ذلك للمؤمنين وأثنى عليهم وبين أن من اظهر خصالهم أنهم لا يخشون إلا الله والمراد خشية التعظيم والعبادة، وبه تعلم أن من صفات المؤمنين خشيتهم لله، وهذا دليل على أنهم مهتدون لقوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) قال ابن عباس : عسى من الله واجبة
المسألة الثالثة: اعلم العبد له مع الخوف من الله مقامان :

ا- **أن يكون مائلا عن الاستقامة ومقصرا:** فيخاف أن يعاقبه الله وذلك الخوف ناشئ من ثلاثة أمور ١- معرفته بجنايته وقبحها . ٢- تصديق الوعيد وان الله رتب على المعصية عقوبتها . ٣- انه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب .

ب- **أن يكون مستقيما** : فخوفه دائما يكون مصاحبا له لعلمه أن الله مقلب القلوب ويتأمل قوله " واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه " فاى قرار لمن هذه حاله ومن أحق بالخوف منه وقد كان الرسول يقول " لا ومقلب القلوب " طريق الهجرتين ٥١٢

واعلم أن نقصان الخوف من الله إنما هو بسبب نقصان معرفة العبد بربه

المسألة الرابعة: أن كثيرا من الناس يدعي أنه يخاف من الله، ولكن عند المحكات يتبين أن خوفه هو من الناس لا من الله، والدليل أنك تراه إذا أوذي على تمسكه بدين الله فإنه حينها لا يحتمل أذاهم، فيفر من ذلك بان يوافق هؤلاء في أهوائهم وما يريدون فيكون قد خاف من هؤلاء كما يخاف من الله والمؤمن لابد أن يعلم انه لابد أن يناله ماينال في طريق الدين .

أنه يجب على المرء أن يعلم أن العباد ليس بيدهم جزاء ولا حساب، وحينها فلا ينبغي أن يخاف منهم خوف تعظيم، ولا أن يسألهم

ولذا قال الله {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله}

المسألة الخامسة: أن الخوف من الله ينشأ في القلب إذا قوي اليقين بالله ربا خالقا دبرا، وإذا ضعف اليقين بالله تعلق بعباد الله، وحينها يخذله الله، ويكله إلى الناس.

ولضعف اليقين علامات.

١/أن تسعى لإرضائهم ولو على حساب سخط الله.

٢/ أنه إذا جاءه رزق ظن أنه من الناس فحمدهم، وإذا منع من أمر ظن أنه من الناس فسخطهم، وهذا نشأ من عدم معرفته بربه، ومن خوفه من خلقه، ولو علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وان المخلوق لايقدر على إعطائه شيئا لم يقدره الله له لما ذمهم .

ويدل على هذا ما ورد عن أبي سعيد " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره" وهذا الحديث أخرجه البيهقى في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية، وإسناده ضعيف، لكن معناه صحيح كما قال صاحب التيسير، ويروى موقوفا عن ابن مسعود

(٣٣) باب قول الله تعالى:

{وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمن}.

وقوله: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون}.

وقوله: {يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}.

وقوله: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل} رواه البخاري والنسائي.

الكلام على هذا الباب في عدة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف التوكل.

التوكل هو : صدق اللجأ والاعتماد على الله بجلب النفع ودفع الضر مع فعل الأسباب . فلا بد معه من فعل الأسباب، ثم التعلق بالله والاعتماد عليه.

والناس تجاهه أصناف .

١- قوم تعلقوا بالأسباب ونسوا التوكل .

٢- قوم تعلقوا بالله و لم يفعلوا الأسباب .

٣- التوسط وفعل الأسباب مع تعلق القلب بالله .

وصدق التوكل يكون : بان يوقن العبد أن كل ما في الكون فهو بتدبير الله وحينها يفوض الأمر إليه ويتزل به حاجته ثم يفعل الأسباب التي جعلها الله أسبابا لهذا الأمر .
وفى هذا يقول بن القيم مبينا أن التوكل يكون مع فعل الأسباب : منع الأسباب أن تكون أسبابا قدح في العقل والشرع وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن سببها قدح في التوحيد والتوكل والقيام به وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسببها وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد وبين والشرع والقدر وهو الكمال " طريق الهجرتين ٤٦٦ "
والخلاصة: أنه لابد في التوكل من أمرين: تعلق القلب بالله، وفعل السبب، وإذا تخلف أحدهما لم يصح التوكل، فمن توكل على ربه لوم يبذر أرضه و لم يغرسها فهذا بطال، ومن اعتمد على صنعه فهذا مخذول، والموفق من فعل السبب ثم توكل، فبذر أرضه ثم توكل على ربه.

المسألة الثانية: اعلم أن التوكل على الله من أجل القربات، وآكد العبادات، وقد ورد الأمر به في نصوص عديدة، ومنها:
١/ قوله {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمن}قال ابن القيم: جعل التوكل شرطا في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل .
٢/ قوله {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون} فذكر في الآية أعظم صفات المؤمنين والتي يدور عليها غيرها وهى هذه الخمس ومن أعظمها توكلهم على الله
٣/ وقوله: {يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}ووجه الدلالة منه: أنه إذا كان الله هو حسبك أي كافيك وناصرك فيتعين عليك أن تتوكل عليه، لا على غيره.

المسألة الثالثة: ورد في النصوص أن للتوكل فضائل ينالها المر بتوكله على ربه، ومنها
١/ أنه يدخل في زمرة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب، فقد ذكر الله صفاتهم، وهي ثلاث ترجع إلى التوكل، ونص عليه في الصفة الرابعة.

٢/ أن من توكل على الله كان الله حسبه وكافيه، قال {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}وما ظنك بمن يكون الله حسبه.

٣/أن التوكل على الله منجاة، فالله أنجى إبراهيم بتوكله على ربه، حين أرادوا إلقاءه في النار، ونجى موسى حين قال (كلا إن معي ربي سيهدين) ونجى محمدﷺ حين قال لأبي بكر (ما ظنك باثنين الله ثالثهما).

٤/ أن في التوكل قوة القلب، وفي الاعتماد على الناس ضعف القلب، وقد ورد عند الحاكم وغيره عن عمر بن عبد العزيز قوله" من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله"

المسألة الرابعة: التوكل على غير الله قسمان

١- شرك اكبر : بان يتوكل على احد من الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله .

٢- شرك اصغر : بالتوكل على المخلوق فيما يقدر عليه ، ومنه التوكل على السلاطين في الرزق ونحوه، ولذا منع جمع من العلماء من قول توكلت على الله ثم عليك لان التوكل عبادة لا دخل للمخلوق فيها .

المسألة الخامسة: اختلف أهل العلم في قول (توكلت على الله ثم عليك) على قولين:

منهم من أجازها، من جهة أن التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والاعتماد عليه، والتوكل على العبد بعد التوكل على الله جل وعلا تفويض العبد فيما يقدر عليه، فالمراد توكلت على لله ثم وكلتك بهذا الأمر أو اعتمدت عليك في إنجازه، ويشترطون هنا أن يكون فيما يقدر عليه المخلوق، وممن نقل عنه هذا القول ابن باز والغنيمان وبه أفتت اللجنة الدائمة

ومنهم من منع من ذلك: لأن التوكل عبادة قلبية فلا يصلح إلا لله، ولا يجوز هذا القول، وممن قال بهذا محمد بن إبراهيم، والأولى البعد عن هذا

* وإذا كانت هذه فيها خلاف، فقول توكلت على الله وعليك أولى أن ياق فيها بالمنع.

(٣٤) باب قول الله تعالى

{أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون}.

وقوله: {ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر؟ فقال: "الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله".

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله" رواه عبد الرازق.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى:المقصود بالباب : التأكيد على وجوب أن يكون العبد معلقا قلبه بين رجاء الله وعدم القنوط وبين الخوف من الله وعدم الأمن من مكره، ولقد ضل أقوام غلبوا الرجاء وأقوام غلبوا الخوف، فالمراد بالباب التنبيه على أن : الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه ينافي التوحيد،كما أن القنوط من رحمة الله كذلك، ولذا قال بعض السلف: ((من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن)).

واعلم: أن من صفات المكذبين للرسل أنهم يأمنون من مكر الله فإذا رأوا النعم تأتيهم اطمأنوا وأمنوا من عذاب الله مع أنهم مستحقون له . والواجب على المسلم أن يجعل في قلبه الخوف من الله لاسيما عند فعل المعصية وكذا الطاعة، وهذا هو هدي المسارعين للخيرات، ولذا ورد فى الحديث عن قوله " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة " قالت عائشة : أهم الذين يزنون .."

المسألة الثانية: ورد في نصوص الباب أمور من الكبائر، ولها ارتباط بالباب، وهي:

١/ القنوط من رحمة الله: وهو استبعاد الخير والإحسان منه، ومن ذلك استبعاد الفرج وتيسر الأمر المتعسر، ومن ذلك ما يقع من العاصي إذا كثرت ذنوبه، فربما قنط من رحمة الله أي توبته عليه.

والمسلم يسمع من النصوص ما يجعله لا يقنط، ومنها:

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ...)

"والذي نفسي بيده، لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده، لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم"

واعلم أن أقرب الناس للقنوط هم الذين لا يعرفون الله، فهم ظلموا أنفسهم، أما الذين يعرفونه فهم لا يقنطون لعلمهم بسعة رحمته

ولذا ورد أن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة وتأولوا قوله تعالى : { ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات } الآية فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتفق هو و علي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على استحلالها قتلوا وقال عمر لقدامة : أخطأت استك الحفرة أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قال بعض الصحابة : فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فأنزل الله هذه الآية بين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين كما كان من أمر استقبال بيت المقدس ثم إن أولئك الذين فعلوا [ذلك يذمون] على أنهم أخطأوا وأيسوا من التوبة فكتب عمر إلى قدامة يقول له : { حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب } ما أدري أي ذنبيك أعظم ؟ استحلالك المحرم أولا ؟ أم يأسك من رحمة الله ثانيا ؟

٢/ اليأس من روح الله: وقيل هو بمعنى القنوط، وقيل بينهما فرق، وهو أن القنوط اشد اليأس، وقيل بل المراد هنا بالقنوط القنوط من رحمة الله واستبعاد حصول المطلوب، وباليأس أن يستبعد زوال المكروه.

٣/ الأمن من مكر الله: وهو الأمن من استدراجه للعبد بالنعم حتى يأخذه على غرة.

وهذه الأمور وردت في حديث ابن عباس، رواه البزار والطبراني في الأوسط قال الهيثمي:ورجاله موثوقون، وورد عن ابن مسعود ما يشهد له، ويصح موقوفا عليه، وأعل الدارقطني رفعه.

المسألة الثالثة: ورد في الباب قوله (مكر الله) فهل يوصف الله بالمكر؟

=يقول أهل العلم: المكر في محله محمود وهو في مقابلة مكر الماكر يدل على القوة ولذا لا يجوز أن تصف الله بالمكر على سبيل الإطلاق، وإنما في مقابلة المكر " ومكروا ومكر الله " فمكر الله ورد في النصوص في مقابلة من مكر بأنبيائه وأولياءه، وهذا من الصفات التي تثبت لله مقيدة، قال ابن القيم: المكر إيصال الشيء الى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد والمخادعة ولكنه نوعان قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه وحسن وهو إيصاله الى مستحقه عقوبة له فالاول مذموم والثاني ممدوح والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده

(٣٥) باب من الإيمان بالله

الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى: {ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم} ١ قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺقال: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت".

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا: "ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية".

وعن أنس ﷺأن رسول الله ﷺ قال: "إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة". وقال صلى الله عليه وسلم: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط" حسنه الترمذي.

الكلام على الباب في مسائل:

الأولى: مناسبة الباب للتوحيد : من جهة أن الصبر على القدر مأمور به وواجب، فمن تركه يكون ناقص التوحيد، فيبقى معرضا لعذاب الله جل وعلا؛ لأن الذي يرتكب كبيرة، فإنه ينقص بذلك كمال توحيده، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فقد يتمادى به الأمر حتى يقع في الكفر، حينما يسب ربه، لأجل قدره، ولذلك نبه المؤلف على هذا.

المسألة الثانية: الصبر له شأن في دين الإسلام، حتى قال الإمام أحمد: ذكره الله في تسعين موضعا من كتابه، وفي الحديث " ما أعطى احد عطاء خير وأوسع من الصبر

واعلم أن الصبر ثلاثة أنواع: ١- على طاعة الله . ٢- عن معصية الله . ٣-على أقداره . والمراد هنا الثالث، وتعريفه: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما .

المسألة الثالثة: الإنسان له مع الصبر على الأقدار أربع أحوال: السخط ، الصبر ، الرضا ، الشكر

فالتسخط محرم، ودل على ذلك حديث أبي هريرةﷺ" اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب ، والنياحة على الميت " وحديث ابن مسعود مرفوعا: " ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب" وهذه الأشياء المذكورة هي من التسخط، وقد ورد الوعيد والذم لها من وجهين:

١/ **أنها من الكفر**: أي من خصال الكفر وشعبه، فأطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين الخصلتين، لكن ليس من قامت به شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق، حتى يقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس من قامت به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا الإيمان المطلق، حتى يقوم به أصل الإيمان. وفرق بين الكفر المعرف بأل وذلك المخرج من الملة، كما في قوله: " ليس بين العبد وبين الكفر والشرك إلا ترك الصلاة "، وبين الكفر المنكر في الإثبات فذلك يقتضي التشديد والتهويل والزجر.

٢/ **أنه ليس منا من فعل ذلك**: وهي من نصوص الوعيد ووردت في عدة أحاديث . واختلف الأئمة في تأويلها وذهب الثوري واحمد : إلى كراهة تأويلها لتكون ابلغ في الزجر وأوقع في النفوس .

وأما قوله "ودعى بدعوى الجاهلية " فقال شيخ الإسلام: هو ندب الميت. وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور. وقال ابن القيم: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية، ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشائخ، وتفضيل بعضهم على بعض، يدعو إلى ذلك ويوالي عليه . قال صاحب التيسير : والصحيح أن دعوى الجاهلية يعم ذلك كله .

المسألة الرابعة: أن المؤمن يرضى عن الله في أقداره، ويصبر على قضائه، ويدعوه لذلك أمور:

١/أنه يعلم أن ذلك بقدر الله {ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله} أي بقدره ومشيئته وإرادته الكونية القدرية، وحكمته التامة، {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها}

٢/ أن من صبر ، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرا منه .{ومن يؤمن بالله يهد قلبه}ولذلك قال علقمة: ((هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم))

٣/ أن مثل هذه المصائب هي مكفرات ذنوب، ولذا قالﷺ"إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا.."فكون التكفير يكون في الدنيا أهون، وقد نقل الشارح عن شيخ الإسلام قوله: المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر، فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له والإعراض عن الخلق.

٤/ أن الله يوقع الابتلاء على من يحبهم، ليرفع درجاتهم، ويختبر صدق محبتهم، ولذا في الحديث"إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضي، ومن سخط فله السخط" حسنه الترمذي

(٣٦)باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}.

وعن أبي هريرة مرفوعا: "قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه" رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعا: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل" رواه أحمد.

الكلام في الباب على مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب : لما كان العمل والعبادة إنما يقصد بها الله، كان من التفت قلبه لغيره، وقصد بالعبادة وجه غيره، واقع في الشرك، وهو ما يسمى بالرياء، ولذا نبه المصنف على هذا التوحيد.

المسألة الثانية: تعريف الرياء وحكمه

الرياء مصدر راءى يرائي؛ أي: عمل عملا ليراه الناس، فهو فعل الخير لإرادة الغير، قال ابن حجر: الرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، والفرق بين الرياء وبين السمعة: أن الرياء لأجل رؤية الناس، والسمعة هي العمل لإسماع الناس.

والرياء من أخطر أدواء القلوب، وباعثه في النفس ثلاثة أشياء، ذكرها ابن قدامة، وذكرها الحارث المحاسبي حين قال: فالذي يبعث على الرياء وقبول خطرات العدو هذه الثلاث خلال: حب المحمدة، وخوف المذمة والضعة، والطمع للدنيا، ولما في أيدي الناس جميعا، ويجمع ذلك كله: حب المحمدة وخوف المذمة؛ لأن العبد قد يعلم أنه لا ينال ما عند الناس بطاعة ربه إلا أن يحمدوه عليها فتبذل له أموالهم، وأنه إنما جزع من الذم للمحمدة

كراهية أن يزول عنه حمدهم، فتؤول هذه الخلال الثلاث إلى حب المحمدة، إلا أنها تشعبت وتفرقت على أقدار الناس وقدر مراتبهم

وأما حكمه: فهو شرك، ثم قد يكون شركا أكبرإذا كان القصد لغير الله خالصا، وليس في قلبه إرادة الله أبدا.

ويكون أصغر إذا قصد الله وغير الله.

وقد ورد النهي عنه في نصوص أشار لها المؤلف، وهي:

١/**{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}** فذكر الله أن قبول العمل يكون بأن لا يشرك به أحدا، وهذا ميزان الأعمال الباطنة، ويكون صالحا وهذا ميزان الاعمال الظاهرة

٢/ **أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"**

ففيه أن الله يرد عمل من أشرك معه في القصد غيره، وقد ورد في الحديث عند الطبراني وغيره إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : يا رسول الله ، وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم : اذهبوا على الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء.صححه الألباني

٣/"**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل"**

وسماه خفيا؛ لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره، أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله.

المسألة الثالثة: قال بعض أهل العلم، الرياء له أنواع:

١-**الرياء البدني:** وهو أن المرائي يظهر النحول والصفار على جسمه؛ ليوهم الناس شدة اجتهاده في العبادة، وخوفه من الله والدار الآخرة.

٢-**الرياء من جهة اللباس والزي**: وهو أن يلبس على خلاف ما يلبسه الناس من الثياب،التي يزعم أنه لايلبسها إلا العلماء وأهل الله وخاصته،لأجل أن يقال إنه عالم ومن العباد والزهاد.

٣-**الرياء بالقول**: وهو الرياء بالنطق والكلام وإظهار أنه حافظ للحديث، وإظهار الذكر لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام جمع من الناس، ومنه رياء أهل الوعظ والإرشاد الذين يظهرون للناس أنهم يحفظون الأخبار والآثار؛ لأجل محاورة العلماء وإظهار غزارة العلم، ومنه خفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن؛ ليظهر للناس الحزن والخوف ونحو ذلك.

٤-**الرياء بالعمل**: ومنه المراءاة بطول الصلاة والقيام والركوع والسجود وإظهار الخشوع، والمراءاة بكثرة الصدقة والحج وغيرها من الأعمال التي يراها الناس ويحمدونه عليها.

٥-**الرياء بكثرة الأصحاب والزوار**: وهذا كالذي يتكلف بدعوة العلماء والمشايخ والعباد؛ ليراها الناس ويقولوا: إن أهل العلم والدين يترددون عليه ويزورونه، فيحمدونه لأجل ذلك.

كل هذه الأنواع يقع فيها الرياء، ولذلك يجب على كل مسلم البعد عن الرياء والحذر منه، والحرص على إخلاص العمل لله عز وجل؛ لتكون أعماله مقبولة عند الله سبحانه وتعالى.

المسألة الرابعة: للعمل مع الرياء أحوال، أشار لها ابن رجب وغيره بما خلاصته:

١- **عمل المرائي الذي دخله الرياء من أساسه**، بحيث أنه لم يعمل العمل إلا من أجل الناس، وهو ما يسمى بالرياء المحض، فهذا العمل باطل مردود على صاحبه، وهوكحال المنافقين، قال تعالى: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا}وهذا لا يكاد يصدر من مسلم.

٢- **أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء**، فإن

ا- **شاركه من أصله** فالنصوص الصحيحة، تدل على بطلانه، قال ابن القيم عن هذا النوع: أن يبتدئها -أي العبادة -مريدا بها الله والناس، فيريد أداء فرضه والجزاء والشكور من الناس، وهذا كمن يصلي بالأجرة، فهو لو لم يأخذ الأجرة صلى، ولكن يصلي لله وللأجر، وكمن يحج ليسقط الفرض عنه، ويقال: فلان حج، أو يعطي الزكاة كذلك، فهذا لا يقبل منه العمل "

ب- **وإن كان أصله لله ثم طرأ عليه نية الرياء**، قال ابن رجب:فإن كان خاطرا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف.

وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء، ومنهم من يرى أن العمل إذا كان أوله مرتبط بآخره بطل، وإن كان غير متصل أجر على أوله، ومنهم من يرى أنه يثاب، وأنه يجازى بنيته الأولى، وقال ابن القيم: فهذا المعمول فيه على الباعث الأول ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها أعني قطع ترك استصحاب حكمها

فأما إذا عمل العمل لله خالصا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ففرح بفضل رحمته واستبشر بذلك لم يضره ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: " أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمن"

(٣٦) باب من الشرك:

إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون}.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب ومراد المصنف من الترجمة : أراد المصنف -رحمه الله- بهذه الترجمة أن يبين أن العمل لأجل حظ من الدنيا شرك، ينافي كمال التوحيد الواجب.

ومن أمثلة هذا: من يجاهد ليغنم، أو يحفظ القرآن لأجل الجائزة، ونحو ذلك.

فإن قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قبله؟

= بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في أن كلا منهما عمل لغير الله، ويختلفان في قصدهما، فهذا أراد الثناء، وهذا أراد الدنيا، وكلاهما خاسر، لكن الثاني أهون.

المسألة الثانية: اعلم أن الأصل أن المرء تكون أعماله لله، لا يريد بها أمرا من أمور الدنيا، وقد جاء ذم من عمل الطاعة وأراد بها أمرا دنويا، في نصوص ذكر المصنف منها آية وحديث.

أما الآية فقوله تعالى: "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون"

والمعنى:أن من أرادوا الدنيا فإننا نعطيهم ونوفر لهم ثواب أعمالهم في دنياهم، في الصحة والسرور في المال والأهل والولد، وهم لا ينقصون .

وقد سئل الإمام محمد بن عبد الوهاب عن الآية، فذكر أنها يدخل فيها أنواع مما يفعله الناس، وخلاصة كلامه :

١- العمل الصالح من صلاة وصدقة وصلة وإحسان وترك ظلم ونحو ذلك، لكن لا يريد به ثواب الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا هم له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا قد يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس .

٢- وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رئاء الناس، لا طلب ثواب الآخرة، وهذا ورد في الباب الذي قبله .

٣- أن يعمل أعمالا صالحة يقصد بها مالا، مثل أن يحج لمال يأخذه، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضا هذا النوع في تفسير هذه الآية، وكما يتعلم الرجل القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد.

٤- أن يعمل بطاعة الله مخلصا في ذلك، لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار ، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضا قد ذكر في هذه الآية عن أنس وغيره.

- وأما **الحديث** فقوله ""تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم،.."

وعبد الدينار طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه، لا يرضى ولا يغضب ولا يحب ولا يبغض إلا لأجله، سماه عبدا له لشدة شغفه وحرصه عليه، ولكونه هو المقصود

بعمله، وكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكا له في عبوديته، وخص العبد بالذكر دون المالك والجامع إيذانا بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها .

فدعى النبيﷺ عليه بأن ينتكس وإذا أصيب بشوكة فلا أخرجها، والمراد أن من كانت هذه حاله فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوءه في العواقب .

(٣٧)باب من أطاع العلماء والأمراء في
تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

وقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟".

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: "أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون} فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم" رواه أحمد والترمذي وحسنه.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة الباب للتوحيد : هذا الباب من مقتضى التوحيد إذ انه معلوم أن العبادة تكون بطاعة الله . قال الشارح " ولما كانت هذه الطاعة من أنواع العبادة، بل هي العبادة، فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسن رسله، نبه المصنف بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الرب تعالى بها، وأنه لا يطاع سواه إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال وتحليل الحرام.

المسألة الثانية: يدخل في الباب طاعة كل مخلوق في تحريم حلال أو تحليل حرام . وإنما ذكر في الباب العلماء والأمراء لأنهم أولى من يطاع في مثل هذا إذ هم أولى الأمر وحث

الله على طاعتهم " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم "لكن طاعتهم تبعا لطاعة الله .

المسألة الثالثة: إن قيل: كيف يكون من أطاع هؤلاء في التحليل اتخذهم أربابا؟

قيل: هذا يتبين من وجهين:

١-لأنه عدهم مشرعين مع الله والتشريع حق الله سبحانه .

٢- لأنه قدم طاعتهم على طاعة الله .

وهذا الأمر له واقع وأمثلته كثيرة، فمنها أن بعض الناس يطيع علماء السوء ، ويقدم أمرهم على ما ورد عن الرسول .

ومن ذلك أن من الناس من يسمع من النصوص الدالة على تحريم تعظيم القبور ونحو ذلك، ثم هو يخالف ذلك، لأجل هوى في نفسه، ويقول أن علمائنا يفعلون هذا، وهذا خلل كبير، والضابط في هذا أن يطيعهم في تحليل حرام وعكسه

وقد أنكر ابن عباس ﷺ على من قدم قول أبي بكر وعمر على النبيﷺ، فإنه لما قال : تمتع النبي ﷺ فقال عروة بن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، قال ابن عباس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال النبي ﷺ، ويقول نهى أبو بكر وعمر" رواه أحمد، وفي لفظ ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم " فقال ابن عباس : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، أحدثكم عن رسول الله ، وتحدثونا عن ابي بكر وعمر ، فقال عروة : لهما أعلم بسنة رسول الله ، وأتبع لها منك"

ومراد ابن عباس أن النص لا يعارض بقول أحد كائنا من كان، والشاهد : مقالة بن عباس وإلا فمسالة التمتع في الحج فيها خلاف . فإذا كان هذا قول ابن عباس في الخليفتين الراشدين، فكيف بمن ترك قول رسول الله ﷺ لقول من هو دونهم؟ وقال الشافعي: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وهنا ينبه: إلى أن اللفظ الذي ذكره المصنف "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟" ليس له وجود في كتب السنة، ولعله ساقه بالمعنى أخذا مما ذكرت قبل قليل،وقد ساقه قبله ابن تيمية وابن القيم بهذا اللفظ.

المسألة الرابعة: يدخل في الباب من يقلد إماما، وهو يرى نصا يخالف مذهبه، وقد أنكر الإمام احمد على أقوام ثبت عندهم الحديث بسند صحيح ثم هم يخالفونه إلى قول الثوري أو غيره مما يكون فيه مخالفة للحديث إما لعدم علمهم به أو عدم ثبوته عندهم أو لغير ذلك فالإمام معذور إذا لم يبلغه أو لم يصح عنده الخبر إنما الإشكال فيمن صح عنده ثم خالفه لقول بشر وإذا نوقش في هذا ربما قال : لابد أن الإمام مر على هذا الحديث فربما انه منسوخ أو متأول أو غير ذلك . وقال قائلهم كل حديث لم يأخذ به إمامنا فهو مؤول أو منسوخ . فهؤلاء يخشى عليهم من الفتنة وهى الشرك كما ورد في الآية .
وقد ورد عن الأئمة الأربعة وغيرهم : أنهم نهوا عن تقليدهم إذا خالف قولهم الدليل والآية وعن بعضهم إذا صح الحديث فهو مذهبي . وقد قال احمد : لاتقلدنى ولا تقلد مالك ولا الشافعي وخذ من حيث اخذوا .

المسألة الخامسة: أن الذين أطاعوا علمائهم وكبرائهم في تحليل الحرام **على ثلاثة أقسام:**
١- أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل، إتباعا لرؤسائهم مع علمهم بأنهم خالفوا دين الرسول ﷺ فهذا كفر، وقد جعلوهم أربابا مع الله وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون .
٢- أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

٣- أن يتابعهم جاهلا فيظن أن ذلك حكم الله فهذا: إن لم يمكنه التعلم فلا شيء عليه لحديث " من أفتى بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه "، وإن أمكنه معرفة الحق بنفسه فهذا مفرط آثم .

الخلاصة: أن التشريع والأمر كله لله، فهو المطاع بإطلاق، وكذا رسولهﷺ، وما عداه فطاعتهم مقيدة بحدود الشرع، مع اعتقادنا أنهم غير معصومين، وأن الميزان هو الشرع.

باب قول الله تعالى:

{ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا}.

وقوله: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون}. وقال الشعبي: "كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد – لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: {ألم تر إلى الذين يزعمون}" الآية.

وقيل: "نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر. فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله".

وقوله: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين}.

وقوله: {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون}

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به". قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

هذا الباب فيه الإنكار على من أراد التحاكم إلى غير الله ورسوله وبيان أن التحاكم يكون إلى رسول الله، وذلك من لوازم شهادة أنه رسول الله.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مناسبة هذا الباب للتوحيد : إما أن يقال

أ- انه لما كان التوحيد من مقتضاه الإيمان بالرسول وطاعته وتحكيمه وشرعه ذكر ذلك في التوحيد إذ بتحكيم شرعه تمام التوحيد .

ب- أو يقال : أن التوحيد مبنى على الشهادتين وما مضى من الأبواب هو في معنى شهادة أن لا اله إلا الله . نبه في هذا الباب على شيء ما يتعلق بشهادة أن محمد رسول الله وأنها تضمن تحكيم شرعه وطاعته .

المسألة الثانية:الباب هو فيما يتعلق بالتحاكم إلى الله ورسوله، والتحاكم إليهما تحاكم إلى الشرع كما هو معلوم، وخلاف ذلك التحاكم إلى غير الشرع.

واعلم أن الكلام في الحكم بغير ما انزل الله لابد أن يتناول ثلاثة أطراف ١- المشرع . ٢- الحاكم بذلك التشريع . ٣- المتحاكمين إليه .

أولا : المشرع ويراد به من شرع القوانين وخالف الشرع : فهذا يكفر لأنه ناقض الشرع وخالفه .

ثانيا : الحاكم بغير ما انزل الله : **له حالتان** ا- **أن يكون ذلك عاما** فهو يحكم بغير شرع الله كالذي ياتى بالقوانين ويجعلها محل الحكم بما انزل الله فالمقرر عند أكثر العلماء أن هذا كفر وردة وان حكمه حكم من سن القوانين .

ب- **أن يكون ذلك في قضايا قليلة** وليست دائمة وهو يعلم انه عاص بتحكيم غير شرع الله إنما ارتكبه لهوى أو ظلم ونحوه فهذا لايكفر بل حكمه انه مرتكب لذنب . قال ابن القيم : إن اعتقد وجوب الحكم بما انزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصيانا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر اصغر . ا.ه.

فإذن يكون كفرا اصغر بقيود ثلاثة :

١- إن يكون في قضية أو قضايا قليلة . ٢- أن يعلم انه مخطئ عاص مستحق للعقوبة ٣- أن يكون الدافع لذلك الهوى والعدوان ونحوه لا الاستخفاف أو الاستحلال أو اعتقاد أن غير شرع الله أفضل أو مساوي أو يجوز الحكم به .

ثالثا : من يتحاكم إلى من يحكم غير شرع الله : من ذهب إلى من يحكم غير شرع الله له أحوال :ا- أن يكون مجبرا ملزما بذلك : فليس عليه شيء، كم رفع به عند محكمة تحكم بالقوانين .

ب- أن يذهب باختياره ورغبته ويرى أن الحكم بذلك جائز سائغ فهذا كفر .

ج- أن يرى أن الحكم بذلك لا يجوز ومع هذا يذهب برغبته واختياره، فهذا ليس بكفر، لكنه على خطر عظيم، ومن هذا من يذهب ويرفع عند محكمة تحكم بالقوانين.

ويدخل في التحاكم إلى القوانين التحاكم إلى كل جهة شرعت أحكاما مخالفة لشرع الله، وقد انتقد بعض أهل العلم كالشيخ محمد بن إبراهيم بعض الجهات كنظام العمل والعمال في بعض جزئياته، والجامع لذلك هو أن من شرع أمرا مخالفا للشرع فهو من هذا، وما لم يدخل فالأصل أن ولي الأمر له أن يجعل من الأمور التي لا تخالف الشرع.

المسألة الثالثة: وردت آيات عديدة في القرآن تدل على وجوب التحاكم إلى شرع الله وحكمه، ومنها ما ذكره في الباب.

- ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به..**﴾ وقد ذكر المؤلف للآية سببي نزول، ما ورد عن الشعبي، والآخر، وورد غيرهما، وهى نماذج تعطى صورا للتحاكم الذي ذمه الله، ولذا قال ابن كثير بعد ذكر سبب النزول: والآية اعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواها من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا .ا.ه

- "**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول** " ثم علقه وقال " **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** " فهذا الشرط .وفيها انه لايجوز للمسلم التحاكم إلى غير الكتاب والسنة .

- أنه عد التحاكم إليه من تحقيق الإيمان، فلا يتم إيمان امريء إلا بذلك، قال تعالى﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ..**﴾

وسبب نزولها قصة الانصارى مع الزبير . وقيل بل نزلت في اليهودي والمنافق الذين تحاكما إلى الطاغوت كما في آخر الباب ورجح الطبري الثاني . وعلى القول انه في قصة الزبير وهو ثابت عند البخاري فإذا كان هذا الأمر نزل في مخاصمة في سيل ماء فما بالك بمن لم يرض بقضاء النبي وحكمه في أصول الدين وفروعه وصد الناس عن ذلك .

- وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**". قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.وضعفه جماعة منهم بن رجب في الأربعين، وذكر فيه ثلاث علل.

لكن قال الشارح : ومعناه صحيحا قطعا وان لم يصح إسناده وأصله في القران كثير كقوله "" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم .." "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم "ا.ه.

ومعنى الحديث أن الإنسان لا يكون مؤمنا كامل الإيمان حتى تكون محبته تابعة لما جاء به رسول الله من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه وهذا هو الواجب فان زاد في المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا، ومعلوم أن **المعاصي لاتنشا إلا من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله**

* بل إن الله عد التحاكم إلى غيره إفساد في الأرض، وتحاكم إلى حكم الجاهلية، فقال {**أفحكم الجاهلية يبغون**} قال ابن كثير: ينكر تعالى على كل من خرج عن حكم الله، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكسخان الذي وضع لهم كتابا مجموعا من أحكام اقتبسه من شرائع شتى، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، وصار في بنيه شرعا، يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة، ومن فعل ذلك فهو كافر، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله .

وقد أتى المصنف في الباب بقوله {**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**} وقوله: {**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**}من جهة أن التحاكم إلى

غير الله ورسوله هو من أعمال المنافقين، وهو من أعظم الفساد في الأرض، فالتحاكم إلى غير الله ورسوله فساد في الأرض، ولا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله وهو سبيل المؤمنين

المسألة الرابعة: ورد في الباب ما ورد عن عمر بن الخطاب أنه قتل من أراد التحاكم إلى غيره، وهذا الأثر أتى به الشيخ بصيغة التمريض(قيل) وقد ذكره الواحدي في أسباب النزول معلقا عن الكلبي عن أبي صالح، وهذا مع تعليقه إسناد ضعيف، لكن ورد له شاهد ذكره بان تيمية في الصارم المسلول، ومع هذا فهو ضعيف، لأنه مرسل، ومن رواية ابن لهيعة، نعم ساق صاحب التيسير له شاهد ثم قال: فهذه القصة مشهورة متداولة بين السلف والخلف تداولا يغني عن الاسناد ولها طرق كثيرة ولا يضرها ضعف إسنادها، لكن هذا فيه نظر والله أعلم، فليس للقصة طرق يعتمد عليها، ولذا قال ابن باز: القصة فيها نظر، وإنما يقال: القصة وقعت بسبب يهودي ومنافق قال اليهودي نتحكم إلى محمدﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى حكامكم، وقيل: أنه كعب بن الأشرف، لعلمه أن يأخذ الرشوة، فنزلت الآية، هذا أصح ما قيل، والله أعلم.

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: {وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب}.

وفي صحيح البخاري قال علي: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟".

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه "عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات – استنكارا لذلك – فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه" انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر " الرحمن " أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: {وهم يكفرون بالرحمن}

المسألة الأولى: مراد المؤلف بهذا الباب : بيان حكم من جحد شيئا من الأسماء والصفات إما بتكذيب أو تأويل وما جزاؤه .

وعلاقة الباب بالتوحيد: من جهة أن التوحيد من أنواعه : توحيد الأسماء والصفات، فلا يتم توحيد العبد حتى يؤمن بتوحيد الأسماء والصفات، فمن جحد بها أو شيئا منها فإنه لم يكمل توحيده .

المسألة الثانية : توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة يكون بأن يثبت المرء لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فمذهب السني بريء من التعطيل والتكييف والتمثيل والتحريف.

المسألة الثالثة: استدل المصنف للباب بقوله تعالى**{وهم يكفرون بالرحمن...)** وهذه الآية اختلف في سبب نزولها، فنقل عن ابن عباس أنها نزلت لما قال النبي ﷺ لكفار قريش : اسجدوا للرحمن ، قالوا : وما الرحمن؟ فنزلت

وقيل أنها نزلت لما أن المشركين أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية ، كتب علي ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة.

والشاهد في الآية: أن الله سمى إنكارهم لاسم الرحمن كفرا، ومن كفر باسم من أسماء الله أو جحده فقد كفر بالله

المسألة الرابعة: ورد في الباب أثر عليﷺ في البخاري " حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟" وهذا قاله حين كثر القصاص في خلافته وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة، ولهذا كثر الوضع بهذا السبب.

ويدخل فيما لا يعرفه الناس نوعان من الكلام:

١/ ما يستنكر من جهة عدم ثبوته

٢/ **ما لا تستوعبه عقولهم**، لئلا يفتنوا، وقد ورد عن ابن مسعود أنه قال "**إنك لن تحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**" وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فمنها ما يسيء بعض الناس فهمه، كما نقل عن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين لأنه اتخذها وسيلة الى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وكما يحصل من البعض أنه يحدث بأحاديث عند ناس فتكون سببا لأن يتركوا طاعة أو يقويهم على بدعة، ولذا كان بعض السلف لا يحدث في ديار الخوارج بمثل حديث " من ادعى لغير مواليه فقد كفر" ونحوه، ولذلك يقول بعض أهل العلم أنه لا ينبغي أن تحدث العصاة بنصوص الرجاء، ونحو ذلك، قال ابن حجر: وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد فالامساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب

إذا تقرر هذا: فإن نصوص الصفات نقل عن مالك أنها من هذا الباب أي لا ينبغي أن يحدث بها العامة، لأنها لا تستوعبها عقولهم، فقد يفهمون منها التشبيه.

لكن يقول صاحب التيسير ما معناه: ما أظن ذلك يثبت عن مالك، والقرآن مملوء من أيات الصفات فما ذا يقال؟ بل يقال: إن أحاديث وآيات الصفات مازالت تقرا على العوام بل من شرط الإيمان بالله الإيمان بالأسماء والصفات

وعلى هذا: **فيحمل كلام مالك** :على بعض نصوص الصفات مما قد يلتبس فهمها على العوام، أو ما يتعلق بدقائق البحث في مسائل الأسماء والصفات مما لايتصوره العوام وقد ورد أن مالك قال ذلك عندما حدث بحديث الصورة "أن الله خلق ادم على صورته" .

وقد ذكر المصنف عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات – استنكارا لذلك – فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه"

وقد قال الذهبي : حدث وكيع عن إسرائيل بحديث " إذا جلس الرب على الكرسي : فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها .

المسألة الخامسة: يرد على أثر ابن عباس " ويهلكون عند متشابهه" سؤال وهو: هل نصوص الصفات من المتشابه ؟ وإذا قلنا أنها من المتشابه فمعلوم أن منهم من قال: المتشابه لا يعلمه إلا الله.

= نصوص الصفات من المحكم، وإن قال السيوطي أنها من المتشابه، وأما أثر ابن عباس فيقال فيه: التشابه أمر نسبى فقد يكون متشابه عند قوم، بين جلي عند قوم آخرين، وبعض الناس يقصر فهمه عن إدراك المعنى أو يفهمه على معاني خطأ فيما يتعلق بالصفات فهو من المتشابه في حقه فيكون التشابه من حيث فهم بعض الناس وقصوره . أما من حيث المعنى فليست نصوص الصفات من المتشابه.

باب

قول الله تعالى: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}.

قال مجاهد ما معناه: "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي".

وقال عون بن عبد الله: "يقولون: لولا فلان لم يكن كذا". وقال قتيبة: " "يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا".

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: "أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" – الحديث وقد تقدم –: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

المسألة الأولى: المراد بالباب وعلاقته بالتوحيد

المراد بالترجمة : التأدب مع الله فى الألفاظ وان تنسب النعم إلى الله فهو المسبب الحقيقي .

و علاقة الباب بالتوحيد : أن إضافة النعم إلى غير الله ا-إن كان أضافها على أن المنعم بها غير الله فهذا شرك فى الربوبية لأنه أضافها إلى السبب على انه فاعل .

ب- وإن كان أضافها لغير الله على انه سبب : كما ورد من الألفاظ فى هـذا البـاب والذي بعده فهذا نوع من الشرك فى الألفاظ .

والواجب على العبد : ا-أن يشكر نعم الله عليه .

ب- ومن ذلك أن يضيفها إليه سبحانه وبهذين تدوم النعم .

وذكر ابن القيم فى الفوائد أن شكر النعم يكون بخمسة أمور .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى{**يعرفـون نعمـت الله ثم ينكرونهـا وأكثرهم الكافرون**} وهي دالة على ذم من أنكر نعمة الله و لم ينسبها له بعدما عرفها.

وذكر المصنف في الباب ثلاثة أقوال للسلف في ما يدخل في الآية، وكيف تنكر النعم:

الأول: ما ورد عن مجاهد : وساقه .بمعناه ولفظه ((هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، **يعرف هذا كفار قريش ثم ينكرونه، بأن يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا إياه**)) وهذا فيه تناسى للمسبب وهو الله . وفى هذا يقول ابن القيم ما معناه : لما أضافوا النعم إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره فان الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله غير معترف بها وهو كالأبرص والأقرع اللذين ذكرهما الملك بنعم الله عليهما فأنكراها وقالا إنما ورثنا هذا كابر عن كابر وكونها موروثة عن الآباء ابلغ فى إنعام الله عليهم إذ انعم بها على آبائهم ثم ورثهما إياها فتمتعوا هم وآبائهم بنعمه

القول الثاني في معنى الآية : أن يقول : لولا فلان ما حصل كذا ومثله قول لولا فلان قائد السيارة لهلكنا أو لولا فلان ما نجحت في تجارتي، ومنه قول عون بن عبد الله: "**يقولون: لولا فلان لم يكن كذا**، فمثل هذه الألفاظ :

ا- إن كان أراد بها السبب فلا ينبغي له قولها، سواء كان السبب خفيا أو لا اعتبار له، أو كان السبب ظاهرا، ولو أراد الاخبار وكان الخبر صدقا مطابقا الواقع، فالأولى أن لا يقولها، وأجازه بعضهم للإخبار.

ب- وان كان أراد أن هذا هو المسبب : فلا يجوز لأنه نسب النعم لغير الله وهو المنعم الحقيقي والمدبر .

القول الثالث: ما ورد عن قتيبة أنهم اذا حصلت لهم نعمة أو مطر أو مال أو غيره قالوا : **أن الآلهة شفعت لنا أو الولي بشفاعته حصل لنا كذا** . وهذا لاشك انه شرك .

واختار ابن جرير الأول، وذكر غير واحد أن الآية تعم الثلاثة وهذا أقرب

باب

قول الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} ١.

قال ابن عباس في الآية: "الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل". وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا ؛ هذا كله به شرك " رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب ﷺأن رسول الله ﷺ قال: "من حلف بغير الله قد كفر أو أشرك" رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا".

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان" رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي: "أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا ولولا الله وفلان".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مراد المؤلف بالباب : ذكر صورة من صور جعل ند لله معه، ومعلوم أن الند هو المثل والنظير : وجعل الند لله : صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله .

واتخاذ الأنداد نوعان : ١- شرك اكبر : كمن يدعو غير الله ونحو ذلك من العبادات .

٢- شرك اصغر : وهو ما كان من نوع الشرك الأصغر كقول ما شاء الله وشئت ونحو ذلك وهو المراد هنا .حيث ساق ألفاظا يجب لمن أراد تحقيق التوحيد التحرز منها ولو لم يقصد بها معناها إذ هي من الشرك فى الألفاظ

و **علاقة الباب بالتوحيد** ظاهرة: فالمرء ينبغي أن يحقق توحيده، وأن يتحرز من كل لفظ يخالف التوحيد، ومن ذلك ما ذكره في هذا الباب.

المسألة الثانية: ذكر المصنف عدة عبارات فيها إشكال، وهي

١/ قول(**والله وحياتك يا فلان، وحياتي**) وهذه فيها حلف بغير الله، وتسوية لغير الله بالله في هذا، والصواب أن يحلف بالله وحده.

وقد ورد النهي عن الحلف بغير الله في الحديث الذي ذكره المصنف وهو عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعا، -وليس عن عمر كما ذكر المصنف- " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"

ولذا يرى جمهور العلماء، بل حكى ابن عبد البر الإجماع عليه أن **الحلف بغير الله لا يجوز**، خلافا لمن رأى أنه مكروه، لأن الحلف عبادة، وفيها تعظيم للمحلوف به، فلا تصرف لغير الله، لأنه هو المعظم.

* **وإذا كان الحلف بغير الله شركا** -كما ورد في الحديث- **فهل هو أصغر أو أكبر ؟**

يقول أهل العلم ا- **إن اعتقد أن المحلوف به مساو لله فى التعظيم** والحق فهو شرك اكبر .

ب- **إن لم يعتقد ذلك** : فهو شرك اصغر.

* ولأجل خطورة الحلف بغير الله قال ابن مسعود " **لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا**" وذلك لأن الحلف بالله كاذبا كبيرة، والحلف بغير الله شرك وكفر، وإن كان أصغر فهو أكبر من الكبائر بإجماع السلف، قال ابن تيمية معلقا على كلام ابن مسعود : **لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك**

٢/ قول (**لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص**) وهذه فيها نسبة عدم وقوع السرقة للكلب حين نبح، وهذا خلل، فالله هو المسبب، ولو شاء لما نبح الكلب، فالصواب هنا أن يقول : لولا الله وحده، أو يقول:لولا الله ثم كذا، لأن (ثم) تفيد التراخي فى المرتبة، وأما التشريك بالواو فلا يجوز، **فالمراتب ثلاث**:١- لولا الله وحده، هذا الكمال ٢- لولا الله ثم فلان: يجوز إذا كان سببا ٣- لولا الله وكذا: لا يجوز.

٣/ قول (**ما شاء الله وشئت**) وقد ورد عن حذيفة ﷺعن النبي ﷺ قال: "**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**" رواه أبـــو داود وغـــيره، والإشكال في هذه الكلمة أنه عطف بالواو، والعطف بالواو يقتضي المساواة، لأنها لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا، وتسوية المخلوق بالخالق في نوع من أنواع العبـــادة شرك.

٤/ قول (**أعوذ بالله وبك**) ففيها ما في سابقتها، وقد نقل المصنف عن إبراهيم النخعـــي أنه كان **يكره أن يقول أعوذ بالله وبك حتى يقول ثم بك**" أخرجه عبد الرزاق

والسلف يطلقون الكراهة ويريدون بها التحريم غالبا، كما هنا وكما ورد في أول الكتاب " كانوا يكرهون التمائم كلها " وقد ورد فى القران الكراهة وأريد بها التحريم " كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها

باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: "لا تحلفوا بآبائكم؛ من حلف له بالله فليصدق ؛ ومن حلف له بالله فليرض ؛ ومن لم يرض فليس من الله" رواه ابن ماجه بسند حسن.

مراد المؤلف بالباب : أن الإنسان إذا حلف له بالله فليقنع وليرضى لان الحالف أكد حلفه بالله فمن تعظيم الله أن تقنع بمن حلف لك بالله .

لكن هل هذا على إطلاقه ؟

للعلماء في الحديث أقوال :

والظاهر والله اعلم : **أن الأمر لا يخلو من حالين** :

ا- **أن يكون الحالف بالله هو فى حالة الدعاوى والخصام والتحاكم**: فمن حلف له عند القاضي اذا توجهت اليمين عليه فان على خصمه المحلوف له أن يرضى باليمين ويلتزم بمقتضاها .

ب- **أن يكون فى غير ذلك** : أي في عامة أمور الناس وأحوالهم فإذا حلف لك احد بالله فالأصل انه يجب أن ترضى، إلا إن علمت أو غلب على ظنك وترجح عندك انه كاذب إما القرائن، أو لأنه معروف بالكذب ونحو ذلك فلا يجب حينها أن تصدقه وترضى ولا تأثم بذلك والله اعلم . مثاله : قال لك خادمك : والله ما سرقت، والقرائن تدل على انه هو السارق فلا تأثم بعدم تصديقه بحلفه .

باب

قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة: "أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺإذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت" رواه النسائي وصححه.

وله أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله ندا؟ ما شاء الله وحده"

ولابن ماجه عن الطفيل – أخي عائشة لأمها – قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحدا؟ قلت: نعم قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده"

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: مراد المؤلف بهذا الباب بيان حكم قول القائل **ما شاء الله وشئت** ونحوها من الألفاظ، وبيان أن قولها لا يجوز وأنها من الشرك كما اقر النبي ﷺ قول اليهودي على قول: إنكم تشركون .

وعلاقة الباب بالتوحيد ظاهره، فان المرء مأمور بان يوحد الله في أفعاله وأقواله وهذا اللفظ فيه إشراك كما سبق

المسألة الثانية: ذكر المصنف الحديث عن قتيلة، والدلالة فيه على المنع من قول (ما شاء الله وشئت) ظاهرة، وإذا كان قد ورد فى الحديث النهى عن قرن مشيئة العبد بمشيئة الله وأنها من الشرك، مع أن الله اثبت للعبد فى القران مشيئة فما بالك بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك ونحوها، أو يقول : أنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي فى السماء وأنت لي فى الأرض ونحوها من الألفاظ فلا شك أنها أفحش من قول ماشاء الله وشئت .

وفيه ايضا: تحريم الحلف بغير الله وبالكعبة وانه من الشرك بالله

* وكون الأمر ورد من يهودي: لا يمنع أن يكون النبيﷺ نبه على النهي عن ذلك قبل كلامه، والكلام هنا اكتسب المشروعية بإقرار النبيﷺ له

المسألة الثالثة : ذكر المصنف حديث الطفيل، وهو حديث ساق متنه أحمد في المسند، و لم يسقه ابن ماجه، إنما ذكر سنده فقط، والشاهد أنه فيه بيان لما سبق أن قول " ما شاء الله وشئت " شرك لأنها تقتضى التسوية.

* فإن قيل: **هل يمكن أن يمنع النبي الحياء من إقرار الحكم ؟**

= الحياء لا يمنعه وإنما ما ورده عن الله ما يقتضى المنع وأراد أن ينهى عنها لما فيها من المبالغة في تعظيمه الذي لم يرد في الشرع النهى عنه، والإنسان السوي لا يرتاح لتعظيمه والمبالغة في هذا، لكن لما كان الدافع لهذه الكلمة تعظيمة لم يقدم ﷺ على ردهم، فلما سمع الرؤيا جاءه الخبر بالتحريم فجزم و لم يتردد .

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى وقالوا: {ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون}.

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺقال: "قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار" وفي رواية: "لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر"

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: بوب المصنف للباب بمن سب الدهر فقد آذى الله، ومتقرر أن العباد لا يملكون أن يضروا الله بشيء، وفي الصحيح" يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني.." ولفظ الأذى في اللغة: هو لما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه، وهو بخلاف الضر، فقد أخبر سبحانه، أن العباد لا يضرونه، لكن يؤذونه إذا سبوا مقلب الأمور.

والمراد بهذا الباب : النهى عن سب الدهر ، وهذا أمر كان موجودا عند أهل الجاهلية، يقول أحدهم: أصابته قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، ويا خيبة الدهر، ويقع نحو هذا كثيرا على ألسنة الشعراء.

والدهر: هو الزمن والوقت، وسبه : بتنقصه وشتمه ولعنه ونسبة الشر إليه وهو درجات، أعلاها لعن الدهر .

المسألة الثانية: علاقة الباب بالتوحيد :من جهة أن سب الدهر ينافى كمال التوحيد، لأن فيه أذية لله، حيث إنه في الحقيقة سب للمتصرف فى الدهر وهو الله .

المسألة الثالثة: سب الدهر له حالتان :

١- **أن يسب الدهر على انه هو الفاعل** : فهذا شرك اكبر لأنه اعتقد مع الله متصرفا فنسب الحوادث لغير الله، وهذا مذهب من يسمون بالدهرية .

٢- **أن يسب الدهر لا على انه الفاعل بل يعتقد أن الله هو المدبر المصرف لكن سب الدهر لأنه كان محلا وزمنا للأمر المكروه عنده** : فهذا حرام . والعلة : لان هذا سفه فى العقل فقد سب ما ليس محلا للسب، وهو ضلال وتنقص لله لان السب يعود إلى المتصرف بالدهر وهو الله، فالدهر لا يقدر شيئا بل الله هو الذي يقدر.

ونظير هذا أن رجلا حكم عليه القاضي بأمر، أو أفتاه مفت بفتوى، فجعل يسبه، وهو إنما قضى أو أفتى بكلام النبيﷺ، فيكون كأنه سب الرسولﷺ .

ومن ذلك قول: الزمان غدار، يوم أسود أو شهر نحس، ونحوه.

ولذلك ذكر ابن القيم أن سب الدهر فيه ثلاث مفاسد :

١- سب من ليس أهلا للسب؛ فإن الدهر خلق مسخر.

٢- أن سبه متضمن للشرك، فإنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم.

٣- أن السب إنما يقع على من فعل هذه الأفعال، ورب الدهر هو المعطي المانع الخافض الرافع، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبته مسبة لله عز وجل .

٣- **أن يقصد الخبر المحض دون اللوم والسب** : فهذا جائز كما ورد عن قوم لوط " هذا يوم عصيب " " في أيام نحسات " فالمراد هنا أن الأيام التي أوقع الله فيها العقوبة بأعدائه، وأعداء رسله كانت أياما نحسات عليهم، لأن النحس أصابهم فيها، فالمراد وصف ما وقع لهم، وإن كانت أيام خير لأوليائه المؤمنين، فهي نحس على المكذبين سعد للمؤمنين، وهذا كيوم القيامة فإنه عسير على الكافرين، يوم نحس عليهم، يسير على المؤمنين، فالمتكلم قصد الإخبار، لا السب والتسخط.

ونظير هذا قول : تعبنا من شدة البرد أو الحر ونحوه، وقول يوسف ﷺ { ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد }

المسألة الرابعة: أتى المصنف بقوله تعالى (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)

ووجه الشاهد فيها :أن الله اخبر عن المشركين أنهم قالوا ليس هلاكنا إلا بمرور الزمن وما يهلكنا إلا الدهر فنسبوا الإهلاك إلى الدهر فمن سب الدهر أو نسب التصرف إليه فقد شابههم أو شاركهم فى هذا السب .

المسألة الخامسة: ورد في الحديث "وأنا الدهر" فهل الدهر من أسماء الله ؟

= قال بذلك نعيم بن حماد، وكذا ابن حزم، ولكن أكثر أهل العلم أنه ليس من اسماء الله، لأمرين:

١/ أن سياق الحديث يأبى ذلك ، لأنه قال: " أقلب الليل والنهار " والليل والنهار هما الدهر فكيف يمكن أن يكون المقلب بفتح اللام – هو المقلب – بكسر اللام – ؟!

٢/ أن أسماءه سبحانه وتعالى حسنى ، أي بالغة في الحسن أكمله، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات، فلا يحوي صفة من صفات الكمال.

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك. لا مالك إلا الله".

قال سفيان مثل: شاهان شاه.

وفي رواية: "أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه"

قوله: " أخنع " يعني: أوضع.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى : المراد بهذا الباب : بيان النهى عن التسمي بالأسماء التي حوت أوصافا لا تكون إلا لله، كقاضي القضاة أو سلطان السلاطين وملك الأملاك، وشاهان شاه، أي قاضي القضاة، ومثل حاكم الحكام ونحوها .

وعلة النهى : منافاة ذلك لكمال التوحيد إذ التوحيد يقتضى أن لا يعظم مخلوق ويجعله في منزلة الله فيما يختص به .

المسألة الثانية : دل حديث أبي هريرةﷺ على النهي عن التسمي بمثل هذه التسميات، وأن من تسمى وتلقب بهذه الألقاب فانه قد تسمى باوضع اسم عند الله واتصف باوضع وصف وهو أغيظ رجل وأخبث رجل .

والعلة : ١- لأنه قد كذب حين تسمى بما ليس له بل هو حقيق برب العالمين . ٢- لأنه رجى العز والشرف والتعظيم بهذا الاسم فعومل بنقيض قصده فصار أوضع اسم عند الله .

فان قال قائل : أن المقصود بهذه التسمية ما يستحقه المخلوق : فقولنا : ملك الأملاك : أى ملك على ملوك الأرض وهذا قاضى على قضاة الدولة ونحو ذلك فهل يجوز بهذا القصد ؟

= قال ابن أبي جمرة ما ملخصه : الوعيد على هذه التسمية يقتضى المنع مطلقا سواء أراد من تسمى بذلك انه ملك على ملوك الأرض أم على بعضها وسواء أكان محقا فى ذلك أم مبطلا مع انه لايخفى الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقا . ومن قصده وكان فيه كاذبا ا.ه.

المسألة الثالثة: قال ابن القيم: ويلي هذا الاسم فى القبح والكراهة والكذب سيد الناس وسيد الكل وليس ذلك إلا لرسول الله ﷺ خاصة فلا يجوز لأحد أن يقول عن غيره هو سيد الناس .

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن "أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله هو الحكم، وإليه الحكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: ما أحسن هذا فما لك من الولد؟ قال شريح ومسلم وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح" رواه أبو داود وغيره.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بهذا الباب : بيان وجوب احترام أسماء الله والحذر من امتهانها أو احتقارها أو تسمية غير الله بها فهذه الأسماء مختصة بالله ولذا شرع تغيير الاسم لاحترامها وتعظيمها .

وأسماء الله نوعان :

١- خاصة بالله لا يصح أن يسمى به غيره : فهذه لا يجوز تسمى غيره بها ويجب تغييره لو وجد، مثاله : الله – الرحمن – رب العالمين .

٢- ما يصح أن يسمى به غير الله : وهى ما دلت على صفة للمخلوق فيها نصيب فيصح التسمي بها بدون تعريف (أل) وان يقصد به التسمي على انه علم محض : مثاله سميع – بصير، ونحوها .

* وأما حديث الباب في خبر أبي شريح ﷺ: فإن النبيﷺ غير اسمه من أبي الحكم إلى أبي شريح، وسبب التغيير :

١- أن الحكم هو الله فإذا قيل أبا الحكم كأنه قيل أبا الله .

٢- أن هذا الاسم الذي كنى به الرجل لوحظ فيهم الصفة وهى الحكم فصار ذلك مطابقا لاسم فيه .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون}.

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض – أنه "قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ : {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} ما يلتفت إليه وما يزيده عليه".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى : المراد بالباب : أن من هزل بشيء من الدين أو القران أو بالله أو برسوله عليه السلام فانه يكفر بذلك ولو كان قال انى هازل لا اقصد حقيقة.

وعلاقة الباب بالتوحيد : من جهة أن من هزل بشيء من ذلك فانه انتقاص لله الذي أتى بهذا الدين واستخفاف بجناب الربوبية والرسالة، ولذا فإن المصنف ذكر في نواقض الإسلام الناقض السادس : الاستهزاء بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر، وهذا ظاهر بدلالة الآية .

المسألة الثانية : الاستهزاء له صور :

١- الاستهزاء أو الهزل به سبحانه : فكفر ظاهر .

٢- الاستهزاء بأحكام الدين : وأراد بذلك دين الإسلام : فهذا كفر سواء هزل واستهزاء أو سب الدين أو لعن .
٣- الاستهزاء بالنبي ﷺ : فهذا كفر وردة .
٤- الاستهزاء بأهل الدين والصلاح : فهذا إن كان لأجل صلاحهم وأهل العلم لأجل علمهم : فهذا كفر لأنه يرجع إلى دينهم وصلاحهم لا إلى أشخاصهم وان كان الاستهزاء بصفاتهم الخلقية أو الخلقية لا لأجل ما هم عليه من الدين فهذا حرام وليس بكفر .

المسألة الثالثة: ذكر العلماء أن الاستهزاء نوعان :
ا- صريح : وهو الذي لا يلتبس ، كما قال المنافقون في الآية " ما رأينا مثل قرانا ارغب بطونا واكذب السنا واجبن عند اللقاء ".
ب- غير صريح : كالغمز باليد وإخراج اللسان عند ذكر القران أو شعائر الدين وغير ذلك .

المسألة الرابعة: ذكر المصنف الأحاديث في خبر مقال الرجل في غزوة تبوك، وفيه إنكار عوف بن مالك على القائل، وقوله له " كذبت، ولكنك منافق ".
وفيه : ١- المبادرة بالإنكار. ب- والشدة على المنافقين. ج- وجواز وصف الرجل بالنفاق إذا ظهر منه ما يدل عليه.

المسألة الخامسة: أن الرجل اعتذر للنبيﷺ بقوله "يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق"ولم يعبا النبي ﷺ باعتذارهم:
إما لأنهم كانوا كاذبين فيه ، أو لان الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذور.
وفي الآية ما يدل على أن هؤلاء كفروا بقولهم هذه المقولة، بعدما كانوا مؤمنين.

باب

قول الله تعالى: {ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ}.

قال مجاهد: "هذا بعملي، وأنا محقوق به". وقال ابن عباس: "يريد من عندي".

وقوله: "إنما أوتيته على علم عندي" قال قتادة: "على علم مني بوجوه المكاسب".

وقال آخرون: "على علم من الله أني له أهل" وهذا معنى قول مجاهد: "أوتيته على شرف".

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال الإبل أو البقر – شك إسحاق – فأعطي ناقة عشراء وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلوغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال:

كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله (المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك"

مراد المؤلف بهذا الباب : متقرر أن النعم على العباد كلها من الله (وما بكم من نعمة فمن الله) والعباد منهم من يشكر النعم وينسبها لربه، ومنهم من يزعم أن النعمة حصلت له لمعرفته، أو لأن له على الله حق، فأراد المصنف أن يبين أن من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكده وفطنته لا من الله، أو انه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحق فهذا منافي للتوحيد، لان الموحد من يعترف بنعم الله ويعتقد أنها من فضله سبحانه، والحديث المذكور ظاهر فى أن من نسب النعم لغير الله فقد كفر بها ففيه وعيد لمن أنكر نعم الله أو أضافها لغيره ..

وما حكم هذا الصنيع ؟

= قال العثيمين: إن أضاف النعمة إلى عمله وكسبه ففيه نوع شرك فى الربوبية ، وان أضافها إلى الله لكنه زعم انه مستحق لذلك وان ما أعطاه الله فليس محض تفضل لكن لأنه أهل فهذا ترفع فى جانب العبودية.

ولأجل هذا : فالواجب التحرز فى أقوال اللسان فربما أودت إلى مهاوي .

باب قول الله تعالى: {فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون}

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب. وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله {جعلا له شركاء فيما آتاهما}" رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته".

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: {لئن آتيتنا صالحا}قال: "أشفقا أن لا يكون إنسانا" وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : أن من شكر نعمة الله على عبده إذا انعم عليه بالأولاد وأصلح أبدانهم أن لا يعبدوهم لغير الله في التسمية، فان ذلك كفران للنعم، مناف للتوحيد

وعلى هذا يقال: بأن تعبيد الأسماء لغير الله :

ا- إن كان المقصود تعبيد التأله لغير الله فهو شرك اكبر.

ب-وان كان المقصود مجرد التسمية : فهذا نوع شرك لكنه ليس اكبر . وهو كفر بالنعمة التي أنعمها الله على عبده .

المسألة الثانية: قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب .

وهذا الكلام من ابن حزم يشتمل على أمرين

١/ **اتفاق العلماء على انه لا يجوز التسمي بما عبد لغير الله** كعبد الحسين وعبد الكعبة وعبد النبي وغير ذلك .

***فان قيل** : كيف الجواب عن حديث " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم " ؟

=فالجواب : أن هذا أريد به الوصف والدعاء على من يعبد قلبه الدينار والدرهم فرضي بعبوديتها عن عبودية الله وليس المراد التسمي .

٢/ قرر بعد ذلك **أن العلماء لم يتفقوا على تحريم التسمي بعبد المطلب** بل اختلف العلماء في ذلك فكرهه بعض العلماء .

والصواب : انه محرم كذلك ولا يجوز لأنه تعبيد لغير الله وأما قوله ﷺ" أنا بن عبد المطلب " فليس هذا من إنشاء التسمية بذلك، بل من باب الإخبار بالاسم الذي عرف المسمى به دون غيره، والإخبار على وجه تعريف المسمى لا يحرم فباب الإخبار أوسع من الإنشاء فيجوز منه ما لا يجوز فى الإنشاء، وقد قال العلماء أن حاكى الكفر لا يعد كافرا بذلك إن لم يعتقده، فالتسمي بعبد المطلب حرام من وجوه :

١- الإجماع منعقد على تحريم التسمي بعبد محمد وعبد النبي وعبد المسيح وعبد على وعبد الكعبة وهى أولى بالجواز من عبد المطلب لو جازت التسمية به .

٢- نص النبيﷺ على أن التسمي بعبد الحارث من وحي الشيطان وأمر عبد المطلب كأمر عبد الحارث لا فرق بينهما .

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب قصة ادم وحواء، وقد اختلف العلماء في ثبوتها على قولين .

القول الأول : أنها قصة باطلة ولا تصح. وممن قال بذلك الحسن البصري وابن كثير وعلل بعض العلماء لهذا بعلل منها

١- أن مثل هذه الأخبار لا تتلقى إلا بالوحي وليس في هذه القصة إسناد صحيح .

٢- أن الأنبياء معصومون من الشرك .

٣- لو كانت ثابتة فلماذا لم يذكر الله توبتهما من الشرك .والله إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ذكر توبتهم .

٤- أن فيها أن إبليس جاء إليهما وقال أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة وليس هذا بمدخل لمن يريد الإغواء .

٥- أن الناس حين يأتون آدم للشفاعة يعتذر يذكر ذنبه حين أكل من الشجرة ولو ثبت هذا الشرك لكان أعظم فلم لم يذكره .

٦- قال إبليس " لا جعلن له قرني أيل ..." فان كانا صدقاه فى ذلك انه قادر فهذا شرك في الربوبية، وان كانا لم يصدقاه فلا يمكن أن يقبلا قوله .

٧- قوله " فتعالى الله عما يشركون " بضمير الجمع ولو كان ادم وحواء لقال عما يشركان .

فما توجيه هؤلاء للآية : قالوا أن المراد:تعالى الله عما يشركون : أى ذرية ادم وحواء .

القول الثاني : أن القصة ثابتة بتعدد أسانيدها. وهؤلاء وجهوا ما وقع من ادم وحواء: بأنه تشريك فى الطاعة، وكل طاعة للشيطان أو للهوى ففيهما نوع من التشريك، ولم يقع منهما شرك اكبر ولا اصغر وليس في القصة نقص في مقام ادم وحواء . ويشهد له تفسير قتادة : شركاء فى طاعته ولم يكن فى عبادته ..

وأما قوله " عما يشركون " فهذا عائد إلى المشركين من القدرية حيث استطرد من ذكر الشخص إلى الجنس ولهذا نظائر فى القران .

باب

قول الله تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه }

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ؟"{يلحدون في أسمائه}: يشركون". وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".

عقد المصنف هذا الباب المرتبط بالأسماء والصفات لله تعالى، والكلام عليه في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : بيان أن المشروع هو التوسل بالله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، والرد على من توسل بعباده أحياءا وأمواتا، وبيان أن أسماء الله حسنى أي بالغة الحسن، فيجب تعظيمها والإيمان بها.

وعلاقة الباب بالتوحيد : من جهة توحيد الأسماء والصفات، وكذا من جهة توحيد العبادة، فإن من سمى الأصنام بأسمائه فقد أشرك بالله سبحانه .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب قول الله تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه }

وفي الآية إشارة إلى أمور ثلاثة :

١/ **لله الأسماء الحسنى** : وهذا متفق عليه، وتأمل كيف قال الحسنى و لم يقل الحسنة، وذلك لأن الحسن من صفات المعاني، فكل لفظ له معنيان : حسن وأحسن : فالمراد الأحسن منها حتى يصح جمعه على حسنى .

وضابط الأسماء الحسنى : كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، قاله السعدي .

٢/ **الأمر بدعاء الله بأسمائه الحسنى:** وقد ذكر ابن القيم أن الدعاء بها على مرتبتين

١- دعاء وثناء وعبادة : فلا يثنى على الله إلا بأسمائه وصفاته .

٢- دعاء طلب ومسالة : فلا يسأل الله إلا بها ، وينبغي أن يكون ما يثنى به على الله من أسماء موافق لما يدعو به ويطلبه فلا يقل يا رحيم اهلك أعداء الدين .

٣/**النهى عن الإلحاد فى أسماء الله:** والإلحاد فى أسماء الله هو العدول بها عن حقائها إلى ما لا يليق بالله وله صور :

١- أن يسمي الأصنام بها كتسمية اللات من الإله، وقد نقل المصنف عن ابن عباس قوله عن المشركين: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

٢- تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبا والفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة.

٣- وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول اليهود: {إن الله فقير}، وقولهم: {يد الله مغلولة}

٤- تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول الجهمية: إنها ألفاظ مجردة، لا تتضمن صفات ولا معان، فيطلقون اسم السميع ويقولون: لا سمع له، ونحو ذلك.

٥- تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله وتقدس عن قولهم علوا كبيرا، فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه.

باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود ﷺقال: "كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي ﷺ: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: أراد المصنف بالباب : النهى عن أن يقول الإنسان : السلام على الله، ووجه ذلك : أن من أسماء الله " السلام " وله معنيان :

١- السالم من كل نقص وعيب فله الكمال المطلق من جميع الوجوه .

٢- المسلم لعباده من كل الآفات: أي منه السلام ولذا قال " ومنه السلام"

فلا يقال إذن السلام على الله، لأن هذه صيغة دعاء، وهذا فيه نقص له سبحانه، فهو سبحانه غني عن كل احد، وليس بحاجه إلى دعاء الناس أن يسلم من الآفات والنقائص . ويقال للمخلوق " السلام عليك " لأنه محتاج، ولذا فأهل الجنة حين يسلم عليهم الله يقولون " اللهم أنت السلام ومنك السلام ".

المسألة الثانية: علاقة الباب بالتوحيد من جهتين:

١- من جهة أن الأدب مع أسماء الله وصفاته ألا يخاطب الله بهذا الخطاب فهو الغنى عن عباده وفى هذا اللفظ تنقص فى تحقيق التوحيد .

٢- ومن جهة أن أسمائه سبحانه وصفاته كاملة فليس بحاجة إلى من يسلمه من النقائص وأعقبه بالباب السابق والمناسبة فيهما ظاهرة .

المسألة الثالثة: مما يتبع هذا أن الناس عند التقاءهم ندب لهم أن يقولوا "السلام عليكم "، وفي معنى السلام في التحية قولان:

الأول: **السلام هنا هو الله عز وجل**، ومعنى الكلام: نزلت بركته عليكم، ونحو ذلـــك، فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: **السلام مصدر بمعنى السلامة**، وهو المطلوب المدعو به عند التحية، قال ابن القيم: وفصل الخطاب أن يقال: **الحق في مجموع القولين**، فكل منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما.

فتضمن معنيين :(أحدهما) ذكر الله، (والثاني) طلب السلامة، وهو مقصود المسلم.

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة ؛ فإن الله لا مكره له".

ولمسلم: "وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: : المراد بالباب : أن المرء ينبغي إذا أراد تحقيق التوحيد أن يتضرع لله بتمام الذل والخضوع والتعظيم لله، ومن ذلك أن لا يقول في دعائه اغفر لي إن شئت، وعلة النهى من وجهين:

١/ لأن العبد لا غنى له عن الله، وتعليقه الدعاء بالمشيئة فيه إيهام بالاستغناء عن ذلك فكأنه يقول إن شئت فافعل وإلا فلا تفعل.

٢/ ولأنه يشعر بأن هناك من يكره الله على ذلك فقال " إن شئت ".

المسألة الثانية: علاقة الباب بالتوحيد : من جهة

١- أن تعليق الدعاء بالمشيئة سوء أدب مع الله حيث يوهم الاستغناء عن المغفرة وهذا ينافى كمال التوحيد .

٢- وأيضا : فان من أتى بما يشعر بان الله له مكره لم يقم بتمام الربوبية، لان تمام الربوبية انه لا مكره له بل لا يسئل عما يفعل .

المسألة الثالثة: ورد في الحديث النهى عن هذه الكلمة، واختلف في الحكم، فظاهر كلام ابن عبد البر : انه للتحريم، وذهب النووي: إلى انه للتنزيه، قال ابن حجر: وهو أولى "فتح الباري ١١/١٤٤".

المسألة الرابعة: أمر النبيﷺ الداعي أن يعزم المسألة، وأن يعظم الرغبة، والعزم في المسألة: الجزم فيها، مع الإلحاح، وتيقن الإجابة، وهذا دليل على اهتمامه بما يطلب، قال القرطبي: نهى عن هذا القول؛ لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب.

وأما تعظيم الرغبة: فهي الطلبة والحاجة التي يريد في سؤاله ربه، لأن الله عنده خزائن السماوات والأرض، ولا يعجزه شيء، ولا مكره له، وهذا من أدب الدعاء.

باب لا يقول: عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: معلوم أن الإنسان ينبغي أن يوحد الربوبية لله بقلبه، وأن يتحرز من الألفاظ التي توهم جعل شيء من الروبية بلسانه، **فالمراد بالباب** : النهي عن هذه الألفاظ، وبيان أن تحقيق التوحيد وكماله يكون بالتحرز منها ، وترك قولها هو أدب مع الله وحماية لجناب التوحيد .

المسألة الثانية: نهى في الحديث عن قول " أطعم ربك، وضئ ربك " لما فيها من إضافة الرب لغير الله، والرب هو المالك المدبر القائم بأمور العباد، وهذا لا يكون حقيقة إلا في الله سبحانه، وهذه أمثلة، وإنما ذكرت دون غيرها لكثرة استعمالها في المخاطبات، وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الإضافة لها حالات :

ا- **إضافة الرب إلى ضمير المخاطب** كقول : اطعم ربك ونحوها، فينهي عن ذلك لان الإنسان مربوب له، وإطلاق هذا اللفظ على المخلوق فيه مضاهاة بالاسم لله.

وهل النهى للتحريم ؟

قال ابن مفلح : ظاهر النهى للتحريم ، ويحتمل انه للكراهة، ورجحه السعدي والعثيمين .

فإن قيل: أليس هذا اللفظ صحيح لغة، فهو ربه أي سيده ؟

= أنها وان كانت تطلق لغة فالنبي ﷺ نهى عنه تحقيقا للتوحيد، وسدا لذرائع الشرك أما لو قالها معتقدا الربوبية فبلا شك أن هذا إشراك أكبر.

ب- **إضافة الرب إلى الاسم الظاهر** : فان كان لغير أدمى فيجوز: كرب الدار ورب السيارة ورب السفينة، وان كان لآدمي، كقول : هذا رب الغلام، فظاهر الحديث

الجواز، مالم يوجد محذور، فيمنع، كما لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق، ونحو ذلك المفيد ٢/٣٤٠ ".

المسألة الثالثة: كيف جاز أن يقول " سيدي ومولاي " ولم يجز قول " ربك "ونحوها مع أنه ورد في الحديث "السيد الله "؟

ا- أن المراد بقول "السيد الله "أي انه الأحق بهذا الاسم ولا يعنى أن غيره لا يطلق عليه ذلك .

ب- أننا إن قلنا أن السيد ليس من أسماء الله فلا إشكال، وإن قلنا انه من أسماء الله فهو ليس في الشهرة والاستعمال كلفظ الرب فيحصل الفرق.

ج- أن السيد يطلق على معاني منها الزوج والشريف المطاع والمالك، والسيادة هنا ليست مطلقة بل مضافة لياء المتكلم فجاز .

* تنبيه: الرجال هم الأسياد لا النساء خلافا للمنتشرة عند الناس وفى الآية " وألفيا سيدها"

المسألة الرابعة: في الحديث النهي عن قول (عبدي وأمتي)، والاستغناء عنها بقول (فتاي وفتاتي وغلامي).

والنهي هو للتتزيه بإجماع العلماء، حكاه ابن حجر (الفتح ٥/١٧٨)، وقد ورد في القرآن (والصالحين من عبادكم وإمائكم) وقد بوب البخاري على الحديث"باب كراهة التطاول على الرقيق، وقوله عبدي وأمتي"

وعلة النهى قريب مما سبق: أن هذه الألفاظ فيها إشعار بالعبودية لغير الله، والأصل أن العبودية يستحقها الله، ولان فيها تعظيم لا يليق بالمخلوق، ولان فيها تشبه بالله فهو سبحانه يقول " عبدي استطعمتك ...."قال الخطابي: المعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر، والتزام الذل والخضوع لله، وهو الذي يليق بالمربوب.

وله أن يقول (فتاي، وغلامي، وجاريتي) لأنها ليست دالة على الملك كدلالة عبدي وأمتي، وإن كان قد ملكه امتحانا وابتلاء من الله لخلقه

المسألة الخامسة: ما سبق هو في نهي الإنسان أن يقول مثل هذه الألفاظ، فما حكم قول الغير " هذا عبد فلان ":

= نقل صاحب التيسير عن صاحب مصابيح الجامع قوله: النهي إنما جاء متوجها إلى السيد، إذ هو في مظنه الاستطالة، وأما قول الغير: هذا عبد زيد، وهذه أمة خالد فجائز، لأنه يقول إخبارا أو تعريفا، وليس في مظنة الاستطالة، قلت- أي صاحب التيسير:وهو حسن.

والخلاصة : انه يجب على المسلم يتحرز فى ألفاظه ويصون لسانه عن كل لفظ يشعر بانتقاص ربوبية الله أو تعظيم المخلوق فوق مترلته .

باب
لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : أن من تعظيم الله وإجلاله أن السائل إذا سأل بالله أن يجاب إلى طلبه ولا يرد، لأن رده – وقد سأل بالله– فيه منافاة لكمال التوحيد، من جهة أن هذا دليل على عدم إعظام الله تعالى.

ومن هنا نقول: إن من سأل بالله فإنه تجب إجابته وإن لم يكن مستحقا، لأنه سال بعظيم فإجابته من تعظيم الله، إلا إذا سأل إثما أو ما في إجابته ضرر على المسئول فلا يجاب.

وهل هذا على إطلاقه ؟

= قيد ابن تيمية الوجوب بما إذا سأل معينا في معين، أي توجه بالسؤال لإنسان معين و لم يتجه لعموم الناس، وسأله أمرا معينا، وكان المسئول قادرا، فيجب إجابته، نقل ذلك عنه صاحب التيسير " التيسير ٥٦٢ ".

فإن لم يجب من سأل بالله فإنه ليس عليه كفارة، لأن هذا الكلام سؤال، وليس بقسم، كما قرر ذلك ابن تيمية . مجموع الفتاوى ٢٠٦/١

المسألة الثانية: ذكر في الحديث أمورا أخرى غير داخلة في الباب، وهي

١/ قوله " **ومن دعاكم فأجيبوه**"أي من دعاكم إلى طعام فأجيبوه، والحديث أعم من الوليمة وغيرها، وهو يدل على الوجوب إلى وليمة العرس وغيرها، وإن كانت وليمة العرس آكد وأوجب، ومن أهل العلم من أوجب وليمة العرس دون غيرها.

٢/ قوله "**ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه** " والمعروف: اسم جامع للخير، أي من أحسن إليكم أي إحسان فكافئوه على إحسانه بمثله أو خير منه .

٣/ قوله " **فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**" أي بالغوا في الدعاء له جهدكم حتى تحصل المكافأة، ولعل ذلك لأنه لما عجز عن مباشرة مجازاته أحالها إلى الله ، وهو نعم المجازي سبحانه، وقد روى الترمذي وغيره وصححه النسائي وابن حبان عن أسامة مرفوعا " **من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء** " .

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ؟"لا يسأل بوجه الله إلا الجنة" رواه أبو داود

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: أراد المصنف بالباب: أن يبين أن من كمال التوحيد وتعظيم الله ألا يسال بوجه الله العظيم إلا العظيم، وهى الجنة وما يقرب لها، فلا يسأل بوجهه سبحانه أمرا دنيويا ونحو ذلك، بل يعظم الله عن ذلك.

المسألة الثانية: إذا كان هذا في من يسأل بوجه الله، فما حكم السؤال بوجه الله ؟

= له حالتان:

ا- أن يتوجه به للمخلوق : كأن يقول:أسالك بوجه الله أن تعطيني كذا، أو أعطني كذا بوجه الله، فهذا منهي عنه، لان المخلوق ليس بيده إلا الدنيا، والله أعظم من أن يسال به الدنيا .

ب- أن يتوجه به للخالق : فيجوز إذا سأل الله الجنة، أما ما عداها فلا، للحديث .

فإن قيل: ما المراد بالجنة التي يجوز أن يسأل الله بها، ولماذا أجيز السؤال بها دون غيرها ؟

= الأقرب أن المراد الجنة وما يقرب إليها وما هو وسيلة لها، وحينها فيجوز السؤال بوجه الله الجنة وما يقرب لها، ومنه الاستعاذة بوجه الله من غضبه، كما قال رسول الله ﷺ"أعوذ بنور وجهك ...أن يحل على سخطك "وإنما أجيز الجنة دون غيرها : لأن الجنة هي أعلى المطالب وفيها النظر لوجه الله والنعيم المقيم، ووجه الله له شرفه العظيم فلا يسأل به إلا الجنة وما يقرب إليها كالإخلاص والتوفيق للخير والاستقامة على الطاعة ونحوه.

باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: {يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا}.

وقوله: {الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا}.

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: أراد المصنف بالباب : أن يبين ما جاء في قول "لو" عند الأمور المكروهة والمصائب ونحوها من النهى .

ومناسبة الباب للتوحيد : من جهة أن كمال التوحيد يكون باستسلام المؤمن لقضاء الله وقدره ورضاه به ويقينه أن ما أصابه فهو بقضاء الله وقدره، ولن يعجز على رد أمر قدره ربه .

وأيضا : لأنه ربما فهم من قوله " لو " اعتراض على القدر، ومن اعترض على القدر فهو لم يرض بالله ربا، و لم يحقق توحيد الربوبية .

المسألة الثانية: ذكر بعض العلماء أن استعمال " لو " له حالات ثلاث:

١- **مذموم** : وهذا له صور :

ا/ **أن تستعمل في الندم** : وذلك كما إذا عرض له مصيبة أو وقع في بلية قال : لو فعلت كذا لما وقع لي كذا فهذا : منهي عنه وفيه محذورين :ا- أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي إغلاقه وليس فيه نفع.

ب - أن في ذلك سوء أدب مع الله وعلى قدره فان الأمور كلها والحوادث كلها بقضاء الله وقدره .

٢/ **أن يقولها متمنيا الشر** : كقوله لو أن لي مال فلان لفعلت به فعل فلان فهو بنيته فهما فى الوزر سواء .

٢- **محمود** : وذلك بان يقولها متمنيا الخير، كما في حديث أبي كبشة الأنماري" « إنما الدنيا لأربعة نفر .. وعبد رزقه الله علما و لم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء..." رواه الترمذي، وحديث " لو صبر موسى لقص الله علينا من نبأهما "

٣- **جائز** : وذلك ١/ **إذا استعملها على سبيل الإخبار المحض، وليس في قصده تندم أو تحسر أو تمنى أو غيره:** فهذا جائز، ومنه قول الإنسان : لو أني وصلت قبلك لهيأت المكان، أو لو حضرت الدرس لاستفدت، وليس في قلبه ندم وتحسر ونحوه، فالفارق بين هذا وبين المذموم ما يقع في القلب من الندم والاعتراض على القدر ونحوه، ومع هذا فالأولى تركها.

٢/ **قولها على أمر مستقبل**، ومنه " لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت ." وحديث " لولا أن اشق على أمتى ...." فهذا أمر مستقبل لا اعتراض فيه على قدر لأنه اخبر عما يعتقد ويريد، لولا المانع .

المسألة الثالثة: أن الله ذم في النصوص من تحسر على الماضي، أو اعترض على القدر، بقول (لو) وساق المصنف في الباب بعض النصوص:

١/ قول الله تعالى{**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا**}.

فذم الله المنافقين على الاعتراض على القدر ب " لو " ورد الله عليهم بأن هذا قدر لا يمكن التخلف عنه .

٢/قوله {**الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا**}.

وهذه الآية قالها المنافقون ومن رجع من المؤمنين معهم من الجيش يوم أحد تحسرا على الماضي، فرد الله عليهم بقوله (لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت).

٣/ حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**". **ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان**".

(**احرص على ما ينفعك واستعن بالله**) أمر ﷺ بالحرص، مع الاستعانة بالله: لأنه لا يحصل له ذلك إلا إذا كان مستعينا بالله، فإذا كان حريصا على ما ينفعه، وكان مستعينا بالله وحده، معتمدا عليه، تم مراده بإذن الله

(**وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت**) أي وإن غلبك أمر و لم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستطاعة فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، فإنه لا يجدي عليك شيئا، (**ولكن قل: قدر الله**) لأن ما قدره لا بد أن يكون، والواجب التسليم للمقدور.

(**وما شاء فعل**) لأن أفعاله لا تصدر إلا عن حكمه.

والحديث دل على تحريم الاعتراض على القدر، والنهى عن قول " لو " والأمر بالاستسلام للقدر لأنه من تمام التوحيد.

قال ابن القيم معلقا على الحديث: والعبد إذا فاته المقدور له حالتان: **حالة عجز** وهي عمل الشيطان ، فيلقيه العجز إلى (لو) ولا فائدة فيها، بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والحزن، وهذا من عمل الشيطان، فنهاه عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح، وأمره بالحالة الثانية وهي **النظر إلى القدر وملاحظته**، وأنه لو قدر لم يفته و لم يغلبه عليه أحد، فقال: " وإن أصابك " الخ، فأرشده إلى ما ينفعه حال حصول مطلوبة وحال فواته، ونهاه عن قول " لو "، وأخبره أنها تفتح عمل الشيطان، لما فيها من التأسف على ما فات، والتحسر والحزن ولوم القدر، فيأثم بذلك، وذلك من عمل الشيطان.

وما ذاك لمجرد لفظ (لو)، بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه، المنافية لكمال الإيمان، الفاتحة لعمل الشيطان، وأرشده إلى الإيمان بالقدر، والتفويض والتسليم للمشيئة، فهذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد، وهو يتضمن إثبات القدر، وإثبات الكسب، والقيام بالعبودية.

باب النهي عن سب الريح

عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺقال: "لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به" صححه الترمذي.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : بيان ما ورد من النهى عن سب الريح ويدخل فيها سب غيرها مما يقدره الله ومن جنود الله .

ومناسبة الباب للتوحيد : من جهة أن سب الريح وغيرها من المخلوقات نقص في الإيمان، وقدح في التوحيد، فسبها اعتراض على الله، إذ هي مدبرة من الله سبحانه، فهو الفاعل.

المسألة الثانية: حكم سبها ؟

=النهى للتحريم لأنه سب للفاعل، وهو الله، ويدخل في سبها شتمها ولعنها ونحو ذلك . ولا شك أن سبها نقص في التوحيد وفي العقل، فهي مأمورة، ولهذا في الحديث عند أبي داود وغيره عن ابن عباس أن رجلا لعن الريح حين نازعته رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها فقال النبي ﷺ« لا تلعنها فإنها مأمورة وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه ».

المسألة الثالثة: ساق المصنف في الباب قوله ﷺ " **لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به"** صححه الترمذي.

وفي الحديث إشارة إلى أمرين :

أولا : **النهى عن سب الريح**، لما سبق من أنها مأمورة لا تدبير لها إلا بأمر الله فسبها سب للمدبر وهو الله.

قال الشافعي : لا ينبغى شتم الريح فإنها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها الله رحمة إذا شاء ونقمة اذا شاء ا.ه.

ثانيا : **ماذا يفعل الناس عند هبوبها** :

١- **الدعاء الوارد في الحديث** : وفيه من الحكمة أمر النبي ﷺ بالرجوع إلى خالق الريح فهو الذي بيده كل شيء

وفى حديث أبى هريرة عند أبى داود " الريح من روح الله فروح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فإذا رأيتموها فاسألوا خيرها واستعيذوا من شرها " صححه الالبانى

٢-**التعوذ بالمعوذتين وغيرها** : لحديث عقبة بن عامر : أنهم غشيتهم ريح وظلمة فجعل رسول الله يتعوذ بهما ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما ".

المسألة الرابعة: الريح لا تأتى بالشر فقط، بل فيها من المصالح للعباد والأرض ما لا يحيط به إلا الله سبحانه، ولو ركد الجو للحق العباد من المشقة والبلاء ما لا يعلمه إلا الله .

ومع هذا فينبغي على المرء عند تغيير الأجواء والحوادث أن يخاف كما كان النبي ﷺ إذا تخيلت السماء، ولذا فربما أتت الريح بأمر الله بعذاب من الله للعباد وقد قال الله عن قوم " فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم ..."

باب

قول الله تعالى: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور}.

وقوله: {الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء}.

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر.

وفتش نفسك، هل أنت سالم.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا.

الكلام على الباب في مسائل

المسألة الأولى: المراد بالباب : تنبيه المؤمنين إلى وجوب حسن الظن بالله وان ذلك من واجبات التوحيد، فالموحد هو الذي يعتقد أن الله كامل في أسمائه ، وفى أفعاله، ولازم ذلك أن يحسن الظن بالله سبحانه، ويعتقد أن أفعاله تامة الحسن.

وعلاقة الباب بالتوحيد : من جهة أن ظن السوء بالله ينافي كمال التوحيد له والتسليم له، وينافى الإيمان بأسمائه وصفاته.

المسألة الثانية: ساق المصنف قول الله تعالى: ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ﴾

وظن الجاهلية: هو الظن المنسوب إلى أهل الجهل، الذين يعترضون على القدر ويسيئون الظن به، ويزعمون أن الأمر لو كان إليهم لما نفذ القضاء، ولما قتلوا هنا .

وسبب نزول الآية : ما نقل عن ابن عباس قال أن معتب قال يوم احد " لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هنا فانزل الله ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ... ﴾

المسألة الثالثة: ساق المصنف كلام ابن القيم، وقد اختصره، وهو مذكور بأطول من هذا في زاد المعاد، والشاهد : أنه ذكر في ظن السوء وظن الجاهلية ثلاث تفسيرات وصور :

١/ أن يظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق وهذا ظن المشركين والمنافقين " **بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول** ....".

٢/ إنكار القدر : بأن ينكر أن ما وقع هو بقضاء الله وهذا يتضمن أن يكون في ملكه مالا يريد .

٣/ إنكار الحكمة : بأن ينكر أن يكون ما قدره قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، لأن هذا يقتضى أن يكون تقديره لعبا بلا حكمة وقد قال " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق " " وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ".

ثم قال ابن القيم : وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصفه به رسله فقد ظن به ظن السوء

ثم ذكر البيت من كلام الفرزدق:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة

وإلا فإني لا إخالك ناجيا زاد المعاد ٣/٢٠٩

أي لا أظنك ناجيا من الاعتراض على القدر، بل أكثر الخلق إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء بلسان حاله أو مقاله.

* خلاصة الباب : أنه يجب على المؤمن الموحد أمور

١- حسن الظن بالله: وفى الخبر " أنا عند ظن عبدي بي ".

٢- عدم الاعتراض على قدر يقدره الله وان يرضى ويسلم وان لا يسخط شيئا قدره الله عليه .

٣- أن يعتقد أن ما يفعله الله فإنما ذلك لحكمة ربما علمناها وربما لم تبلغها عقولنا .

٤- أن يتعاهد المرء نفسه وقلبه فكم من صالح وقع فى سوء ظن بالله .

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني". وفي رواية لأحمد: "إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة".

. وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ "فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار".

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: "أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ" حديث صحيح. رواه الحاكم في صحيحه.

الكلام على الباب في عدة مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : بيان ما ورد في النصوص من الوعيد الشديد على من أنكر القدر الذي قدره الله.

وعلاقة الباب بالتوحيد : من جهة أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، وإنكاره منافي للتوحيد، ومن جهة أن تعظيم الله يكون بالتسليم له، والإيمان بربوبيته يقتضى عدم إنكار ما يقدره، ومن أنكر القدر فقد تنقص ربوبيته .

المسألة الثانية: القدر لغة : له عدة معاني ترجع إلى التقدير .
وشرعا : تقدير الله الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له ووقوعها على حسب ما قدرها.
وقد حوى التعريف مراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والخلق، والمشيئة.

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في أول الباب كلام ابن عمر، وهو حديث رواه مسلم كما ذكره المصنف، وأهل السنن وغيرهم عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي فقلت: أبا عبد الرحمن إنه " قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف.
فقال: **إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برآء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.**
ثم ذكر ابن عمر حديث عمر رضي الله عنه في قدوم جبريل المشهور، وفيه"قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل..".والشاهد منه : انه ذكر أن الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان الستة، فمن أنكره وجحد به لم يكن مؤمنا لان الكافر بالبعض كافر بالكل .

المسألة الرابعة: ذكر المصنف حديث عبادة بن الصامت، وقد بين فيه عبادةﷺ لابنه : أن الإيمان له طعم حلو لا يناله كل احد، بل يناله من حققوا الإيمان الحق، وذلك بخصال من أعظمها : **الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره**، ولازم ذلك : أن تعلم أن ما أصابك فلا يمكن أن يخطئك، بل لابد أن تجرى المقادير ليقع عليك، وما أخطأك و لم يتحصل لك فلا يمكن مهما فعلت من أسباب أن يقع لك، وهذا الإيمان يريح المرء ويجعله راضيا بتقدير الله، ويغلق عليه باب "لو" وتسويل الشيطان وتأسيفه.

ولذا ورد في الصحيح من حديث العباس بن عبد المطلب ﷺمرفوعا« ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا »

المسألة الخامسة: ورد في حديث عبادةﷺ أن الله لما خلق القلم وكان ذلك قبل خلق الناس جرى بتقدير الله وأمره بكتابة كل ما سيكون، فالقدر متقدم على خلق الناس .

وقد اختلف أيهما خلق أولا العرش أم القلم ؟

والجمهور : أن العرش خلق أولا، ويدل له حديث عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعا "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة [قال] : وعرشه على الماء" فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم.

وأما حديث " أول ما خلق الله القلم " فإما أن يقال بأن المراد أن أول ما خلق الله القلم قال الله له اكتب، ولا يلزم من ذلك أنه أول المخلوقات، فتكون كلمة (أول) منصوبة، لا مرفوعة، وإما أن يحمل على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، قال ابن القيم :

والناس مختلفون في القلم الذي *** كتب القضاء به من الديان

هل كان قبل العرش أو هو بعده *** قولان عند أبي العلا الهمداني

والحق أن العرش قبل لأنه *** عند الكتابة كان ذا أركان.

المسألة السادسة: أفاد حديث عبادةﷺ أن في القدر خيرا وشرا، وهذا بالنسبة للعبد، أما الرب سبحانه، فأفعاله خير محض لا شر فيه ولا يقدر على عباده إلا خيرا إن عاجلا أو آجلا، ولذا ورد في الآية (**ظهر الفساد في البر...**" فظهور الفساد شر لكنه بالنسبة لتقدير الله خير، لأنه يترتب عليه تكفير الذنوب، ولعل الناس يرجعون، قال ابن القيم : فالشر راجع إلى مفعولاته لا إلى ذاته وصفاته

المسألة السابعة: في حديث عبادةﷺ قوله " لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر" وهذا فيه تمثيل على سبيل الافتراض، أي لو فرض أن أنفقت مثل احد فلن يقبل منك، ففيه مبالغة في البيان وإنما لا يقبل الله منه لأن من أنكر القدر فهو كافر،والله لا يقبل من الكفار " **وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم** ..".

المسألة الثامنة: لفظ الحديث عند ابن ماجه فيه زيادة " لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم "
ولابن القيم كلام نفيس على هذه الجملة، حيث قال: وليس المراد به لو عذبهم لتصرف في ملكه، والمتصرف في ملكه غير ظالم، كما يظنه كثير من الناس، فإن هذا يتضمن مدحا، والحديث إنما سيق للمدح بغير استحقاق، فإن حقه سبحانه عليهم أضعاف أضعاف ما أتوا ولهذا قال بعده ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم يعني أن رحمته لهم ليست على قدر أعمالهم إذ أعمالهم لا تستقبل باقتضاء الرحمة وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها فلو عذبهم والحالة هذه لكان تعذيبا لحقه وهو غير ظالم لهم فيه ولا سيما فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم فإذا عذبهم على ترك شكرهم وأداء حقه الذي ينبغي له سبحانه عذبهم و لم يكن ظالما لهم ..طريق الهجرتين٤٢٨

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة" أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺقال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله".

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺيقول: "كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم". ولهما عنه مرفوعا: "من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ".

ولمسلم عن أبي الهياج قال: "قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : التصوير: هي جعل شيء على صورة شيء، والمراد هنا: من يصور شيئا على هيئة ما خلق الله تعالى.

فأراد المصنف هنا أن يبين ما ورد من الوعيد والعقوبة للمصورين، وأنهم من اشد الناس عذابا .

وعلاقة الباب بالتوحيد من جهات ثلاث:

١- من جهة أن التصوير فيه مضاهاة لخلق الله، فالمصور جعل فعله ندا لفعل الله، فشاركه في ذلك، وإذا كان هذا فيما صور على شكل ما خلق الله، فكيف بحال من سوى المخلوق بالله وشبهه بخلقه .

٢- من جهة أن التصوير وسيلة للوقوع في الشرك، والوسائل للمحرم يجب سدها، وأصحاب الأصنام كان مبتدأ أمرهم التصوير ، عين عظموا الأموات فصوروهم، ثم جاء من بعدهم فعبدهم، ولأجل مثل هذا نهي عن زيارة القبور في أول الأمر سدا للذريعة في تعظيمهم، ثم لما تمكن التوحيد في القلوب أذن لهم.

٣- أن التصوير من الكبائر لأنه توعد عليها، والكبائر تقدح في كمال التوحيد لا أصله وتعرض صاحبه للوعيد .

المسألة الثانية: قرر المصنف في الباب حرمة التصوير، وحينما يطلق التصوير فإن الذي يراد به النحت وصنع الصور المجسمة، ويلحق به من يصور بيده ويرسم، والخلاف في الآلات الحديثية مشهور هل تلحق بالتصوير أولا؟ وهذا محله كتب الفقه.

المراد أنه رحمه الله استدل على حرمة التصوير بأحاديث:

١/ حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**" متفق عليه.

وفي الحديث أمران :

١- بيان عظيم ظلم المرء حين يذهب ليخلق خلق الله وأن هذا من أعظم الظلم .

٢- فيه تحدى الله لخلقه أن يخلقوا كخلقه، فتحداهم أن يخلقوا ذرة وهى صغار النمل أو يخلقوا حبة ينفلق منها النبات، وهذا في أقل الأشياء فما هو أكبر منها هم أعجز عن خلق مثله .

ووجه الشاهد من الحديث: أن المصور بتصويره شيئا كخلق الله صار مضاهيا لله في خلقه.

٢/ حديث عائشة ﷺأن رسول الله ﷺقال: "**أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**".

وفي الحديث : بيان أن اشد الناس عذابا هم الذين يضاهئون بخلق الله أي يشابهون بخلق الله وهم المصورون، لكن : المضاهاة التي يكفر صاحبها وتوعد بأشد العذاب نوعان :

١- أن يصور شيئا من صنم وغيره ليعبد : فهذا شرك اكبر .

٢- أن يصور صورة ويزعم أنها أحسن من خلق الله : فهذا كفر .

أما كون الإنسان يصور بيده وينحت ونحوه : فهذا لاشك أنه ارتكب كبيرة ومتوعد بالعقوبة لكنه لا يخرج من الدين .

٣/ حديث ابن عباس مرفوعا "**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**".

وفي الحديث : بيان أن كل من صور لما له روح ونفس فانه يدخل النار، ويجعل له بكل صورة صورها نفس، ويقال له انفخ فيها الروح ويعذب لذلك، وهذا الدخول في النار ليس مؤبدا لأن فاعل الكبيرة لا يخلد في النار، بل هو تحت المشيئة، والحديث يدل على طول تعذيبه، وإظهار عجزه عما كان تعاطاه، ومبالغة في تحريمه، وبيان قبح فعله.

٤/ حديث أبي الهياج قال "قال لي علي: **ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته**".

وفي هذا الحديث أمران :

١- أمر النبي ﷺ لعلى بأن لا يدع صورة إلا طمسها، والطمس : إزالة معالم الوجه، وسواء كان هذا الطمس بقطعها أو حفرها أو لونها بلون آخر يزيل معالمها .

٢- أن لا يدع قبرا مشرفا مرتفعا – والإشراف هو الارتفاع- إلا سواه بالأرض على وفق الشرع، وليس المراد تسويته بالأرض، وإنما تسوية على سمت القبور المشروعة، وذلك بان لا يرتفع أكثر من شبر، وأن يرد إليه قبره كما قال بعض الفقهاء، وذلك يرفعه قدر شبر.

ومعلوم أن رفع القبور أوقع البعض في الفتنة بها وتعظيمها، وتطور الأمر بهؤلاء إلى بناء الأبنية عليها ثم تزيينها بالأنوار وبالأطياب وبالسرج والزخارف، وهذا كله – كما قرر الشوكاني- قد يوقع في نفوس الضعفاء من العامة تعظيمها، فلذلك أمر النبي ﷺ عليا لأن لا يدع قربا مشرفا إلا سواه على سمت الشرع، وفيه الإنكار باليد للقادر على ذلك.

* **فإن قيل**: فهل يستثنى من ذلك ما لا روح فيه ؟

= استدل بعض السلف بقوله في الحديث " أو ليخلقوا حبة .." على دخول تصوير ما لا روح فيه، ولكن فيه حياة وهو من خلق الله كالزروع والأشجار في المنع .

لكن: الجمهور على خلاف ذلك، وأن التحريم هو لما فيه روح، ويشهد له قوله " كلف أن ينفخ فيها الروح ...".".احيوا ما خلقتم "

وأما هذا الحديث فهو على سبيل التحدي والتعجيز

وقد ورد في الصحيح قول ابن عباس رضي الله عنهما " فإن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا روح له".

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: {واحفظوا أيمانكم}.

عن أبي هريرة ﷺقال: سمعت رسول الله ﷺيقول: "الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب" أخرجاه.

وعن سلمان: أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل (الله) بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه" رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين ﷺقال: "قال رسول الله ﷺ خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم – قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا – ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن".

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: "خير الناس

قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته".

وقال إبراهيم: "كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : ذم إكثار الإنسان من الحلف، وعلاقته بالتوحيد : من جهة أن الإنسان لا يحلف إلا بمعظم وهو الله، والمعظم لله كمال التعظيم لا يكثر الحلف به سبحانه، لأن كثرة الحلف يترتب عليها أن يتساهل المرء فيها فيكذب أو يقع فيها حنث، وهذا فيه عدم تعظيم لله وهو منافي لكمال التوحيد، ولأجل ذلك ذكر في الباب ما يدل على أنه ينبغي حفظ اليمين، وأن لا يحلف إلا عند الحاجة لذلك .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب عدة نصوص في الأمر بحفظ اليمين، وهي:

١/ قول الله تعالى {**واحفظوا أيمانكم**}.

وللمفسرين في تفسير الآية أقوال: والأولى أن يقال حفظ اليمين يكون بأمور ثلاثة
١- حفظها قبل الحلف بان لا يحلف إلا على أمر شرعي بين ولا يكثر من الحلف.
٢- حفظها بعد الحلف بان لا يحنث، مالم يحلف على معصية .
٣- حفظها بعد الحنث بعدم تركها بلا تكفير .

٢/ حديث أبي هريرة ﷺقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**" أخرجاه.
والمراد: أنه إذا حلف على سلعة أنه أعطي فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقا فيما حلف عليه، فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع إما أن يكون كاذبا في ذلك، وإنما حلف طمعا في الزيادة، فيكون قد عصى الله، وإما أن يكون صادقا فالإشكال من جعل الحلف على اللسان وهذا ينافي كمال التعظيم، ونتيجة لكثرة الحلف، إما صادقا أو كاذبا فالسلعة قد تنفق وتباع، لكن يعاقبه الله بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة .

٣/ حديث سلمان ﷺ " **"ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم:.. ورجل جعل (الله) بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه" رواه الطبراني بسند صحيح**
وفيه توعد من تعامله لا يتم إلا بالحلف، فهو لا يشترى ولا يبيع ولا يتعامل إلا بحلف، وإنما ذم هذا لأنه لا يخلو – كما سبق-:
ا- إما أن يكون كاذبا : فلكذبه وأكل أموال الناس بالباطل واستخفافه باليمين .
ب- وان كان صادقا : فلأن كثرة الحلف تشعركما سبق باستخفافه بالله، ولأنه اذا تعود كثرة الحلف في الدنيا ربما حلف كاذبا .
وإنما ذكر هؤلاء الثلاثة في الحديث لأن داعي المعصية في حقهم ضعيف، ومع هذا فعلوها، فاستحقوا تغليظ العقوبة.

٤/ حديث عمران بن حصين ﷺوفيه " **ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**".

والشاهد فيه: أن القرون المفضولة – وهي التي بعد القرون الثلاثة- يكون فيهم من يستخف بالشهادة، والشهادة يقترن بها الحلف غالبا.

أو يقال: بأن من سمات هؤلاء استخفافهم بأوامر الشرع، ولذا فهم يستخفون بالشهادة وبالأمانة وبالنذر، وقد يدخل في ذلك الحلف، ولذلك في حديث ابن مسعود ﷺ بعده قوله " **ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**" فيخف أمر اليمين والشهادة عندهم تحملا وأداء، لقلة خوفهم من الله، وعدم مبالاتهم بذلك.

* قوله " **وينذرون ولا يوفون** ": وهذا لا ينافي حديث النهي عن النذر، وأنه لا يأتي بخير، وإنما هو تأكيد لأمره، وتحذير من التهاون به بعد إيجابه .

* في الحديث قوله (**ويظهر فيهم السمن**) فهل يذم الإنسان على ظهور السمن،مع انه قد يكون بغير اختياره، فكيف يجاب عن الحديث ؟

= يذم من ذلك الاعتناء بأسباب السمن من الإكثار من المآكل والمشارب والاشتغال بإصلاح الأبدان والغفلة عن الآخرة فهذا هو المذموم، وإنما إذا حدث السمن لا عن قصد واختيار، ولا عن انشغال بالمتع الدنيوية عن الآخرة فلا يذم .

المسألة الثالثة: ذكر في الباب قول إبراهيم النخعي "**كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار**" لأن الصغير إذا تعود الإقدام على الشيء استهان به، وإذا غرس فيه منذ الصغر التحرز والاحتياط من هذا الشيء كبر عليه.

والسلف كانوا يحرصون على أن يربوا أبنائهم على فضائل الأمور منذ صغرهم، فلا يتركون شيئا مما يكره إلا أنكروه، وما يحب إلا أمروا به، وفيه تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله: {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون}.

وعن بريدة ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال

اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا و لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا »رواه مسلم.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بذمة الله ضمانه وعهده، ومنه قولهﷺ "من صلى الصبح فهو في ذمة الله "

الذمة: هي العهد، وذمة الله عهده، وإخفار الذمة: نقضها وعدم حفظها، فأراد المصنف بالباب : أن يبين أنه يجب على المسلم حفظ ذمة الله وذمة نبيه والوفاء بهما، والتحذير من

إخفارها أو جعلها للناس، وأن ذلك عدم تعظيم لهما وأن ولى الأمر لا ينبغي أن يجعل للناس ذمة الله وذمة نبيه، بل يجعل لهم ذمته وذمم أصحابه، لأن في انتهاكهم وإخفارهم لذمة الله وذمة نبيه تهوين للإسلام في نفوس الكفار وتزهيد به من جهة، وقرينة على استخفاف من نقضه من المسلمين بربه من جهة أخرى، إذ لو عظمه لما نقض عهده، إلا أن نقض عهد الله لا يصدر ممن تمكن الإيمان من قلبه، ولكن قد يقع من بعض الأعراب أو من لم يتمكن الدين من قلبه .

ومناسبة الباب للتوحيد : أن عدم الوفاء بعهد الله تنقص له وهو دليل على عدم تعظيمه وهو قادح فى التوحيد .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب قوله تعالى {**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**}.

وفي الآية : أمر من الله بالوفاء بالعهود والمواثيق التي يجعلها المسلم على نفسه، سواء كان فردا كما يحصل في العقود ونحوها، أو كان عن جماعة المسلمين وهذا أشد، كما يحصل من المعاهدات بين المسلمين وبين الكفار، فإذا عاهدوهم على شيء فلا يجوز أن ينقضوه إلا بموجب معتبر، فالمسلم ليس بخوان ولا ناقض للعهود.

وفي الآية أيضا: الأمر بالمحافظة على الأيمان المؤكدة وتحريم نقضها، والوفاء بالعهود، وعدم نقض الأيمان المؤكدة يدل على تعظيم الله.

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب حديث بريدةﷺ، والشاهد فيه قوله " **وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله**"

والمراد أنه إذا حاصر المسلمون عدوهم فطلبهم العدو أن يتزلوهم على عهد الله ورسوله فانه لا يجوز لهم ذلك، لأنه إذا فعلوا ذلك فحصل من المسلمين إخفار للذمة فكونها لذمة

الله ورسوله عظيمة عليهم، ولها أثر على عدوهم كونهم أخفروا ذمة ربهم وذمة نبيهمﷺ، وهذا قد يرجع على الإسلام بالنقص .

فإن قيل: فهل إخفار الذمة يجوز ؟

= إخفار الذمة كله لا يجوز، لكن لو حصل فأن تخفر ذمة المجاهدين أهون من أن تخفر ذمة الله ورسوله، فبعض الشر أهون من بعض .

ثم قال في الحديث " **وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا** "

وذلك لأنه إذا حصل غلط فيكون الغلط منسوبا إلى حكم البشر لا إلى حكم الله فيصد الناس عن دين الله .

باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله (: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك" رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: "تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته".

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب: الإقسام على الله: هو الحلف على الله أن يفعل كذا، كأن يقول: أقسمت عليك يارب أن تفعل لي كذا، ونحو ذلك، فالمصنف ذكر في الباب ما جاء من الأدلة على تحريم الحلف على الله، لأن من تألى وحلف على الله فقد أساء الأدب معه سبحانه وتجرأ عليه.

وعلاقة الباب بالتوحيد: من جهة :

أن الإقسام على الله غالبا يقع من باب العجب بالنفس والإدلال على الله وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله " قاله السعدي "

ولما فيه من التحجير على الله، كما فعل الذي قال " والله لا يغفر الله لك" .

المسألة الثانية: قال بعض العلماء : إذا كان الإقسام على الله هو على جهة حسن الظن به، وصادر من عبد من أولياء الله، وفي أمر طاعة ومصلحة، لا في معصية؛ فيجوز، وقد يجيب الله قسمه لكرامته عليه، وسابقة طاعاته، وخبيئة من صالحاته.

ويدل له قوله ﷺ في حديث أنس بن مالك " إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره"

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب قوله " من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك "

والحديث يظهر منه : أن هذا الذي حلف على الله حلف متحجـــرا نعمـــة الله وفضـــله ومغفرته، ففيه تحجير على الله، ولا يصدر ذلك من قلب معظم لله كمال التعظيم فعاقبـــه الله بما ذكر، وهو إحباط عمله.

وهذا الإحباط يحتمل أن إحباط لجميع العمل وذلك لأنه لم يذل لله.

ويحتمل أن المراد: أحبطت عملك الذي كنت تفتخر به على هذا الرجل، لكـــن ظـــاهر الحديث الأول .

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم ﷺ قال: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: سبحان الله ! سبحان الله ! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد" وذكر الحديث، رواه أبو داود.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب: الاستشفاع: طلب الشفاعة، والأصل أن الشفاعة تكون من الأسفل لأعلى، فالإنسان قد مثلا من الوصول إلى الوزير، لكنه لا يملك أن يصل إلى الملك، فيطلب من الوزير أن يشفع له عند الملك، وملوك الدنيا يشفعون من له عليهم حق، أو من محتاجون له.

ومن عرف ربه وقدره حق قدره علم أن شأن الله عظيم، فالخلق كلهم بيده، وكلهم محتاجون له، وليس لأحد عليه حق.

فالمراد بهذا الباب : بيان أنه لا يجوز أن يجعل أحد الله شفيعا على الخلق، يشفع له عندهم، لأن شان الله أعظم وأجل من أن يجعل بينه وبين خلقه .

وعلاقة الباب بالتوحيد : من جهة أن هذا الفعل فيه تنقص لله وسوء أدب معه سبحانه وهذا ينافى كمال التوحيد .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب حديث جبير بن مطعم ﷺ، وفيه " **فقال النبي ﷺ: سبحان الله ! سبحان الله ! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**"

حيث أنكر النبي ﷺ على هذا الرجل قوله "نستشفع بالله عليك" وعاتبه في ذلك وسبح حتى عرف كراهة ذلك في وجوه أصحابه، وذلك لشناعة الكلمة ثم قال " إن شان الله أعظم من ذلك ...."

فالمراد: ا- **أن كون الإنسان يجعل الله شفيعا له على أحد من الناس:**لا يجوز، وذلك : لأنه سوء أدب مع الله وتنقص له لأنه سبحانه أعظم شأنا من أن يتوسل به إلى خلقه، إذ رتبة المتوسل به غالبا تكون دون رتبة المتوسل إليه .

ب- أما **التوسل برسول الله ﷺ أو الاستشفاع به عند الله:** ففي حياته يجوز ذلك، وتكون شفاعته بطلب الدعاء منه.

وأما بعد حياته فلا يجوز، ولو كان جائزا لفعله الصحابة حين اشتدت بهم الأمور، وعمر رضي الله عنه حين أراد الاستسقاء توسل بدعاء العباس رضي الله عنه، ولو كان الاستشفاع بالرسول ﷺ جائز بعد وفاته لطرقوه وهم في تلك الحالة الشديدة، ولذا فما يقع من بعض الناس اليوم من الاستشفاع بالنبي ﷺ، والطلب منه أن يشفع لهم عند ربهم؛ كل هذا من الخطأ الفادح التي انحرف فيه فئام من المسلمين اليوم والله المستعان .

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان" رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس ﷺ: "أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا. وابن سيدنا فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق مترلتي التي أنزلني الله " رواه النسائي بسند جيد.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : من تأمل في سنة محمد ﷺ وجد من النصوص الشيء الكثير الذي يدل على حرصه ﷺ على حماية حمى التوحيد والسعي لصد طرق الشرك وإغلاق منافذه، وأنه ربما منع من أشياء سدا لذريعة الوقوع في الشرك، وما ذاك إلا لنصحه للأمة، ولعلمه أن الشرك إذا وقع فهو ذو اثر شنيع ، وفى هذا الباب ذكر المصنف بعض النصوص الدالة على حرصه على حماية حمى التوحيد .

وهكذا ينبغي أن يكون عليه : أتباع الأنبياء وورثتهم .

المسألة الثانية: ذكر المصنف في الباب حديث عبد الله بن الشخير، وفيه قوله " **فقلنا: أنت سيدنا. فقال السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**".

وفي هذا الحديث أمور :

١/ إثبات أن السيادة المطلقة الكاملة إنما هي لله سبحانه.

٢/ لماذا لم يقرهم النبي ﷺ على قولهم "سيدنا " مع أنه ﷺ قال " أنا سيد ولد ادم " ؟

أجيب عن هذا بأجوبة:

ا- من باب التواضع

٢- وخوفا عليهم من الغلو وتطور الأمر واستجراء الشيطان لهم حتى يقعوا فيما هو محرم، ولذا قال ﷺ " قولوا بقولكم أو بعض قولكم..".

٣- أن الذي نبه إليه رسول الله ﷺ هو أن السيادة بلفظ السيد لفظ مطلق يدل على السيادة المطلقة العامة وهى لا تكون إلا لله، أما إذا أضيفت وخصصت، كسيد ولد ادم، أو سيد الخلق أو سيد بني فلان فهذا جائز، فنهاهم ﷺ لئلا ينسبوا له السيادة المطلقة.

٣/ وفي الحديث تحذير رسول الله ﷺ أمته من أن يستجرهم الشيطان ويوقعهم في الضلال عبر بوابة تعظيم الصالحين والمرسلين .

٤/ انه ينبغي لمن قيل له "سيدنا" أن يقول السيد الله .

المسألة الثالثة: ذكر المصنف في الباب حديث أنس رضي الله عنه "**أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا. وابن سيدنا فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** " .

وهذا الأمر الذي ذكره هؤلاء في رسول الله ﷺ هو به، ومستحق له، لكنه ﷺ خشي أن يتدرج بهم الشيطان حتى يقعوا في الغلو، ولربما صرف مثل هذا المدح لأحد فافتتن.

وبين لهم الميزان الذي يجب عند التعامل مع رسول الله:أن لا يرفع فوق ما جعل الله له من المنزلة، ولا يجفى فيه ﷺ، ويكون ذلك باعتقاد انه عبد الله ورسوله ﷺ.

وإذا كانت هذه الأحاديث منه ﷺ لسد ذريعة الشرك في الأقوال، فإن في الشريعة نهي عن أفعال عديدة سدا لذريعة الوقوع في الشرك، فنهى ﷺ عن الصلاة في المقابر، وعن تجصيص القبر وعن اتخاذ السرج على القبور، ونهى عن التصوير، وكل هذا ليسد على المسلم كل باب قد يلج فيه الشيطان إلى قلوب العباد بالشرك بالله سبحانه.

باب ما جاء في قول الله تعالى: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون}.

عن ابن مسعود ﷺقال: "جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة}.

وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله".

وفي رواية للبخاري: "يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع" أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر ﷺ مرفوعا: "يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

. ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

وروى عن ابن عباس ﷺ قال: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم".

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ : "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس".

وقال: قال أبو ذر ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض".

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي

والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى. قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم بني" أخرجه أبو داود وغيره.

الكلام على الباب في مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالباب : جعل المصنف رحمه الله هذا الباب خاتما للكتاب والأبواب وهو من أجل الأبواب، إذ فيه بيان شيء من عظمة الله وقدرته وملكه، وأن كثيرا من العباد ما قدروه حق قدره، وما عظموه حق تعظيمه، وإلا فلو أن العباد عظموه وخضعوا له وذلوا له حقا، لما وقعوا في شيء من الشرك به سبحانه .

المسألة الثانية: ذكر في الباب حديث ابن مسعود ﷺ في خبر الحبر مع رسول الله ﷺ، وفيه أن الله يجعل السماوات على إصبع والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك .."

وهذا الحديث فيه شاهد لعظمة الله، حيث كانت هذه المخلوقات العظيمة كل واحد منها على إصبع، أو على كفه وفي قبضته، وإذا كانت هذه الأشياء على كبرها في كفه وقبضته فغيرها اقل وأحقر .

وفيه إثبات الأصابع لله سبحانه، وقد أقر النبي ﷺ اليهودي على هذا، وأهل السنة يعتقدون أنها أصابع حقيقية، وأنها كف حقيقية، لكن لا يعلم صفتها إلا الله، وهي لا تشابه كف المخلوق .

وكذلك الأحاديث الأخرى يظهر فيها عظمة الله وقدرته، وأنه ضعيف أمام قـــدرة الله، وقد أخبر ﷺ كما في حديث جابر رضي الله عنه « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » رواه أبو داود، وعند الطبراني في الأوسط زيادة " خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة.." فهذا ملك من الملائكة، فكيف بالعرش، وكل هذا يدل على عظمة الله.

فأين يغيب العبد عن سمع السميع وعن بصر البصير وعن رقابة الرقيب، ومن الذي يقف أمام قوة الله وقدرته، وقد قالت عائشة رضي الله عنها كما في قصة المجادلة " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا في ناحية البيت ، تشكو زوجها ، وما أسمع ما تقول ، فأنزل الله : {قد سمع الله قول الـــتي تجادلـــك في زوجها}رواه البخاري وغيره.

والمراد: أن العبد إذا عرف نفسه بضعفها، وعرف ربه بعظمته فلن يقع في الشرك، ولا في المعصية، فما أشرك من أشرك إلا حين جهل بربه، وما عصى من عصى إلا بجهالة، وقـــد قال مجاهد وغيره: كل من عصى الله، فهو جاهل.

هذا ما تيسر ذكره، اسأل الله أن ينفع بهذا الكلام، وأن يجعله خالصا لوجهه، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.